

الأمير قتيبة بن مسلم

وجهوده في نشر الإسلام في آسيا الوسطى



تأليف الدكتور

محمد ثروت السيد عبد الرحيم



أصل هذا الكتاب رسالة علمية نال بها الباحث درجة التخصص (الماجستير)

في الدعوة والثقافة الإسلامية من كلية الدعوة جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة

سنة 1429هـ/2008م، بتقدير (ممتاز)



**الأمير قتيبة بن مسلم
وجهوده في نشر الإسلام في آسيا الوسطى**

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى:

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

فرع الأزهر : شارع محمد عبده
خلف الجامع الأزهر

هاتف : 0 2 2 5 1 1 7 7 4 7

فرع المنصورة : عزبة عقل
بجوار جامعة الأزهر

هاتف : 0 5 0 2 3 5 7 9 7 9

@DarElollaa [f](#) [t](#)
Dar_elollaa@hotmail.com

لطلبات الشحن والتوصيل
داخل مصر : 01050144505

لطلبات الشحن والتوصيل
خارج مصر : +201032057053

للإطلاع
على قائمة
الإصدارات
قم بمسح QR Code



جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك دون الحصول على إذن خطي من المؤلف والناشر.

الأمير قتيبة بن مسلم وجهوده في نشر الإسلام في آسيا الوسطى

تأليف
الدكتور
محمد ثروت السيد عبدالرحيم

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

الإهداء، إلى

حبيب القلب وهادي البريات
وخير الرسل وخاتم الرسالات
وأول شافع لنا في يوم المذلات
أهديه كتابي بكل إخلاص وثبات
مصليا عليه في كل الأزمنة والأوقات
فاقبله ربي وانفع به المسلمين والمسلمات

الدكتور / محمد ثروت السيد عبدالرحيم



المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

فلقد أتم الله ﷺ النعمة على عباده فبلغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار،
وأضاءت أنواره ظلمات الكون كله، حيث حمل الفاتحون الأولون راية
الإسلام بصدق وعزيمة، حتى أخضع الله لهم العباد والبلاد، ودخل الناس في
دين الله أفواجًا، وانتشر الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين يعلمون المسلمين
الجدد دينهم وقرآنه ولغتهم، واستطاعوا بناء حضارة إسلامية أصيلة، شملت
كافة العلوم والآداب، وانتشرت في كافة الأصقاع الإسلامية.

ومما لا شك فيه أن الفضل في صول الإسلام إلى بلاد آسيا الوسطى يرجع
إلى الله ﷺ ثم إلى هذا القائد العظيم المحنك "قتيبة بن مسلم بن عمرو بن
الحصين بن ربيعة الباهلي"، أحد الأبطال والشجعان ومن ذوي الحزم والدهاء
والرأي والغناء.

ولد في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عام تسعة وأربعين هجريًا، ونشأ في

الدولة المروانية فولى الري في أيام عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللهُ، وولى خراسان في أيام ابنه الوليد، ووثب لغزو بلاد ما وراء النهر فتوغل فيها وافتتح كثيرًا من المدائن كخوارزم وسجستان وسمرقند، وغزا أطراف الصين وفرض عليها الجزية، وخضعت له بلاد ما وراء النهر كُلِّهَا؛ فَيُعتبرُ بحقٍ من أعظم القادة الفاتحين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي بصفة عامة، وتاريخ الدولة الأموية بصفة خاصة.

ولقد حمل الأمير قتيبة راية الفتوحات في وقتٍ ملائمٍ تمامًا، حيث تغلبت الدولة الأموية على جميع مناوئها، واستقرت أمورها، وأصبحت قادرة على استئناف الفتوحات، كما أفاد من جهود القادة الذين سبقوه ومهدوا له الطريق على مدى ما يزيد على الأربعين عامًا أمثال القعقاع بن عمرو التميمي، وضرار بن الخطاب الفهري، والأحنف بن قيس التميمي، والقيس بن الهيثم، وعبيد الله بن زياد، والمهلب بن أبي صفرة، وغيرهم كثير.

هؤلاء وأمثالهم كانوا هم الشهب التي أضاءت سماء المشرق، وانفتحت أمام عزيمتهم أبواب الدنيا؛ ولكن أحدًا منهم لم يتمكن من الوصول إلى ما أنجزه قتيبة بن مسلم؛ الذي استطاع أن يفتح أقاليم واسعة تزيد على ما فتحه أسلافه كُلِّهم، ويزيد الأمر أهمية طبيعة الإقليم الصعبة ومناخها القاسي، وطبيعة سكانها المقاتلين الأشداء.

ولقد اتخذ الأمير قتيبة أسلوبًا فريدًا في فتحه لهذه البلاد ينبغي على القادة أن يحذوا حذوه فيه؛ الأمر الذي جعل الأمراء الأمويين يباركون صنعه ويعطونه الكثير من الصلاحيات، وكان من أبرزهم والى العراق القوي الحازم اليقظ

"الحجاج بن يوسف الثقفي" الذي وضع ثقته فيه، وواصل إمداده بالرجال؛ فاجتمعت لقتيبة شجاعة القائد وإقدامه، وعزمُ الوالي وتصميمه، وقوة الدولة؛ فكانت أعماله الرائعة في بلاد ما وراء النهر.

ولقد برهن الأمير قتيبة على أنه لم يكن قائداً عسكرياً فذاً فقط، بل كان رجل إدارة وسياسة وتنظيم، فكان يعرف خراسان قبل أن يدخلها وما فيها من عصبية قبلية وخلافات حزبية، فعمل على إزالة هذا المرض الفتاك، ووجد صفوف العرب تحت راية الجهاد، كما ظهر جهده البارز في الإصلاح الديني والاجتماعي والفكري في البلاد المفتوحة، فاستطاع في فترة وجيزة - لا تساوي في عمر الزمن شيئاً - أن يجعل الإسلام هو الدين الرسمي لهذه البلاد.

وما كاد الإسلام يستقر في هذه البلاد حتى انتشر بسرعة فائقة، فأمن أهلها وأخلصوا له، وظهرت على الفور مدن إسلامية أخذت صفة العالمية، فأصبحت قلاعاً حصينة للإسلام وموتلاً لنشر علومه في مختلف الفنون، وقصدها الطلاب والباحثون من شتى بقاع الأرض، ونبغ منها عمالقة العلم أمثال: الإمام البخاري، والترمذي، والخوارزمي، والطبري، وابن سينا، الذي ظل كتابه العالمي المشهور "القانون" مرجعاً في الطب لبلدان العالم أكثر من سبعة قرون.

كما أنجبت هذه الديار الكثير من القادة الفاتحين أمثال الظاهر بيبرس وسيف الدين قطز الذين تصدوا بدورهم للزحف المغولي وانتصروا عليهم في موقعة عين جالوت، كما انحدرت من هذه الديار سلالة سلاطين آل عثمان مؤسسي الخلافة العثمانية وأصحاب فتح القسطنطينية.

لذا كان من الضروري دراسة الشخصيات الفاتحة للأمصار الإسلامية شرقاً

وغرباً، خصوصاً تلكم الشخصيات التي لم تنل حقها من عناية الباحثين، أو حظيت بدراسة بعض جوانب تاريخها وبقيت الجوانب الأخرى غامضة مبهمة لم تخرج إلى النور بعد، ومن تلك الشخصيات العظيمة "قتيبة بن مسلم الباهلي". وهي الشخصية التي تم اختيارها لتكون بحثاً علمياً تحت عنوان:

(الأمير قتيبة بن مسلم وجهوده في نشر الإسلام في آسيا الوسطى)

▣ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

ولهذا الموضوع أهمية كبرى في تأصيل الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي، وكانت هناك عدة أسباب وراء اختيار هذا الموضوع، منها:

أولاً: إن الأمير قتيبة بن مسلم يعتبر من النماذج الفريدة في القيادة، والأثر الذي تركه في هذه البلاد يشهد بذلك؛ لذا كان من الضروري إلقاء الضوء على جهوده العظيمة في نشر الإسلام في المنطقة مع بيان الأسلوب الفريد الذي انتهجه لدعوة أهل هذه البلاد إلى الإسلام.

ثانياً: إبراز الجوانب المشرقة في سير هؤلاء الدعاة الفاتحين من الصبر والجلد وقوة التحمل؛ ليقندي بها الناس عامة والدعاة إلى الله خاصة.

ثالثاً: ضرورة الرد على الشبهات المغرضة من قبل بعض المستشرقين لتشويه صورة الأمير قتيبة ومن ثم تشويه صورة الجهاد في سبيل الله.

رابعاً: التعامل مع التاريخ والحضارة الإسلامية بصورة عامة من القضايا التي يحتاج إليها كل مسلم في كل عصر ومصر، ولذا فإن جمعه في مؤلف واحد عن طريق الرسائل العلمية الجامعية الهادفة البناء يوضح الطريق ويسر

الاستفادة؛ أمر يستحق الاهتمام وخاصة في عصرنا الحاضر المليء بالنظريات الهدامة.

خامساً: لم يأخذ البحث التاريخي والحضاري حتى الآن حقه الكامل في الحفاظ عليه من عبث العابثين وتنطع المتنطعين وتحريف المغالين، وخصوصاً جهود تلكم الشخصيات التي ما زالت مجهولة عند كثير من المسلمين وخصوصاً غير المتخصصين، فكان لزاماً أن يتصدى أبناء هذا الدين المخلصين المتخصصين لدراسة تاريخ تلك الشخصيات الإسلامية الهامة بنزاهة وموضوعية بعيداً عن الميول والأهواء، مع بيان جهدهم في تبليغ الدعوة الإسلامية ودفاعهم عن الإسلام.

سادساً: إن الأمم العظيمة لا تُعرف إلا بتاريخ أمجادها وإن أعظم الأمم - بشهادة الأعداء - هذه الأمة، فلقد استطاعت في حقبة زمنية لا تساوى شيئاً في عمر التاريخ البشري أن تبنى حضارة امتدت من أطراف الصين شرقاً حتى الأندلس غرباً، ولم يشهد العالم كله تسامحاً وعطاءً ورُقياً علمياً وحضارياً وأخلاقياً وسلوكياً وعقدياً وسلمياً وحربيّاً مثلما شهدته في ظل المسلمين الأوائل.

سابعاً: تعريف الخلف بتراث وتاريخ وحضارة السلف أمر لا بد منه إذا أردنا العودة إلى المجد والعز والنصر والنجاح الباهر المشرق الذي صنعه الأجداد؛ لذا كان من الضروري دراسة الشخصيات الإسلامية الهامة التي كان لها أثر كبير في حياة الناس وسلوكهم وأخلاقهم وقيمهم، مما ينبغي على الأمة أن تعني به، حتى يعطى أبنائها الثقة بأنفسهم وحضارتهم لإعادة تجديد تلك

الحضارة، وطرد السلبية والانزامية أمام الحضارة الغربية المتقدمة حالياً. ثامناً: وهناك فريق من المسلمين يغالون في التعامل مع تاريخهم الإسلامي، ويتصورون المغالاة ديناً، وذلك بعدم التحقق من المصادر الأولية، وكتب التراجم المعنية، وكتب التاريخ العامة والخاصة، ورحلات العلماء وتجارهم، معتمدين على ما كتبه الحاقدون والمغالون من المستشرقين المجحفين والعلمانيين المستغربين، بلا فحص ولا تمحيص، ودون علم وتدقيق، ولذا وجب أن يحدد التعامل المطلوب بدليله الصحيح لتبطل المغالاة، ويستقيم الناس على الحق والصواب، ويعرفوا الحق من منبعه الحقيقي.

تاسعاً: كذلك كان من دوافع اختيار هذا الموضوع: الإسهام في استنهاض همم شباب وجيل هذا الإقليم، ليوصل مسيرة الماضي بإمكانيات الحاضر لآمال المستقبل، حتى تُستكمل الحلقات، ويكمل البناء، وليتذكر الشعب المسلم مجد أسلافه السابقين، وروعة أعلامه المخلصين، فيتشجع لتقليدهم، ويفخر بأدائهم.

▣ منهج البحث:

ولتحقيق تلك الأهداف التي أشرت إليها آنفاً اتبعت منهجاً علمياً يعتمد على الأسس التالية:

(أ) قسّمتُ البحثُ إلى فصول ومباحث حسب ما تتطلبه الدراسة وعلى ضوء التسلسل العلمي السليم.

(ب) انتهى من كل مبحث - في أغلب الأحيان - ببيان يوضح خلاصة ما توصلت إليه ونتيجته.

(ج) حاولت - قدر الاستطاعة - استخراج الحقائق التاريخية من المادة العلمية لمواطن الدراسة، ووضعها في مكانها المناسب، وربما تكررت المادة العلمية في عدة مواطن حسب ما تقتضيه الحاجة.

(د) اعتمدت على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعلى عديد من المصادر والمراجع الأصلية التي لها صلة بالموضوع ككتب التاريخ العام والخاص، وكتب التراجم والبلدان، والطبقات، وكتب السنة وشروحاتها، وغيرها من الكتب.

وسوف أقوم أيضاً بعزو كل نص مقتبس إلى موضعه الأصلي وفق المنهج الآتي:

أولاً: النصوص القرآنية: أُشير في الهامش إلى اسم السورة ورقم الآية.

ثانياً: أما النصوص النبوية فسوف أقوم بعزوها إلى مصادرها الأصلية مع الإشارة إلى اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة في الهامش. وبالنسبة لدرجة الحديث، فسوف أذكر من نص من الأئمة على ذلك صحةً وضعفًا إذا كان في غير الصحيحين لاتفاق الأمة على قبول ما ورد فيهما مرفوعاً مسنداً.

(ط) توضيح أسماء الأعلام، والبلدان، والأماكن، وبعض المؤلفات، التي ترد في المتن وذلك بذكر تعريفها في الحاشية، مع غض الطرف عن ترجمة مشاهير الأعلام من الأنبياء (عليهم جميعاً الصلاة والسلام)، وبعض مشاهير الخلفاء، والصحابة (رضوان الله عليهم).

(ي) رُتبت مصادر البحث حسب الحروف الهجائية للمؤلف، ورُتبت مؤلفاته حسب نفس المنهج، مع ملاحظة استبعاد ذكر وفاة المؤلفين بالتاريخ

الميلادي وتأخيرها في قائمة المصادر.

مع محاولة إيجاد التناسق، والتوافق في عدد الصفحات، وكان لابد - مع هذه المحاولة - من وجود بعض التباين بالزيادة أو النقص بين الفصول، وهو ما فرضته المادة العلمية المتوفرة عن كل فصل ومبحث، مع مراعاة الترتيب الموضوعي العام، بإتباع سلم تدريجي لفكرة البحث، بحيث يسلم كل فصل لما يليه، ويكون أساساً لما بعده، ومبنياً عليه وموضحاً وممهداً له.

هذا هو المنهج الذي اتبعته مع النصوص الواردة في هذا البحث، وقد جاء شتملاً على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرسٍ عام. وقبل التعرف على خطة البحث يجدر بنا أن نشير إلى أهم:

▣ الدراسات السابقة:

لم تكن هناك دراسات صريحة خاصة بالأمير قتيبة - على حد علم الباحث - ومع ذلك لا ينبغي لباحث أن يظن في نفسه الكمال، وينسب لها الفضل في إنجاز عمل لم يسبقه فيه أهل الفضل والعلم، إنما يُحمد له جهد الجمع والترتيب والانتقاء والتنظيم والتصحيح والتنقيح؛ فإن بضاعته في الأصل من متاجر قوم سهروا على جمعها، وأفنوا أعمارهم لأجلها، فأودعوها أسفارهم، وتركوها لأحفادهم.

وكل ما يعتمد عليه الباحث من فروع المصادر والمراجع هو فضل يُشكر عليه أهله، وسبق يُذكر لأصحابه، وما دون ذلك غمط للحق، وإنكار لفضل أهل السبق^(١)، وقد أفاد هذا البحث من بعض الدراسات السابقة في موضوعه؛

(١) يُنظر: عبدالمعز فضل عبد الرازق محمود: الحركة العلمية في إقليم الغربية في مصر في عصر

ومنها:

١. كتاب بسام العسلي: "قتيبة بن مسلم الباهلي"، والذي أفاد البحث في تحليل بعض الأحداث الهامة في حياة الأمير قتيبة، إلا أنه قد اعتمد في مؤلفه هذا على كتابي الطبري وابن الأثير في التاريخ، فكانت آراءه في أغلب الأحيان مقيدة بما جاء فيهما، كما أنه اقتصر على جانب واحد من حياة الأمير قتيبة وهو جانب الفتوحات وبعض الشيء عن استراتيجيته العسكرية، فلم يتطرق إلى الحديث عن التعريف به ومولده ونشأته أو صفاته وأخلاقه اللهم إلا في بعض العبارات المجملية في أسطر معدودة لا تفي بالمقصود؛ كما أهمل -أيضاً- الحديث عن الجهود العظيمة للأمير قتيبة في الدعوة إلى الله -تعالى- وإرساء دعائم الإسلام في تلك البلاد.

٢. دراسة الباحث: أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى (دراسة حضارية معمارية أثرية)، رسالة دكتوراه مقدمة لمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الحضارات الآسيوية، جامعة الزقازيق، سنة، ٢٠٠٢م، تناول فيها الباحث الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة آسيا الوسطى، ومجمل أحداث الفتح، ثم أهم المؤسسات العلمية فيها، حتى وصل إلى الغزو الروسي لتركستان في القرن السادس عشر الميلادي، وهذه الدراسة على ما فيها من جهد مشكور، وعطاء مبذول، افتقدت تحديد الفترة

الماليك، ص (ك). وخشية الإطالة فقد اكتفيتُ بذكر اسم المُصنَّف فقط واسم كتابه في كل حواشي هذه الدراسة، وبقية بطاقة الكتاب وبياناته فقد اكتفيتُ بذكرها كاملة في قائمة المصادر والمراجع في آخر الدراسة لمن أراد الرجوع إليها، كل ذلك خشية تضخم الحواشي السفلية.

الزمنية، بل كانت مبهمة غامضة، وقد أفاد البحث منها في وصف بعض بلاد ما وراء النهر أيضًا.

▣ صعوبات البحث:

ولا شك أنّ عملاً كهذا يتطلب جهداً كبيراً لإنجازه حتى يخرج إلى حيز الوجود في أكمل صورته؛ وقد بذلت جهداً متواصلًا تجاه هذا البحث غير أنني لاقيتُ صعوبات كثيرة وأهمها ما هو متعلق بمراجع الموضوع من بحث وتنقيب في المصادر والمراجع، ومن تنسيق وترتيب واستنباط وغير ذلك. وأخيراً: أسجل هنا أهم الصعوبات التي واجهتني:

(أ) لم أجد من تكلم عن هذا الموضوع في مؤلف واحد مما كلفني مراجعة بطون الكتب التي لها صلة بهذا الموضوع من قريب ومن بعيد، ككتب التاريخ العام والخاص والتراجم والطبقات والبلدان.

(ب) الذين تطرقوا إلى موضوع من مواضيع هذه الرسالة ينقسمون إلى فئتين:

الفئة الأولى: تذكر النصوص الواردة في فضل بلاد ما وراء النهر وأنها بلاد زاهرة بالعلم والعلماء، وقد فتحت بواسطة قتيبة بن مسلم وكل ذلك سردًا دون تعليق وتمحيص وشرح وتوضيح، فتخصص المكان بكلام عام.

وأما الفئة الثانية: فهي على نقيض ذلك إذ تخصص رسالة علمية تتحدث فيها عن المنطقة كلها دون تحديد الفترة الزمنية والمنطقة المكانية، فيكون الحديث شاملاً لمنطقة آسيا الوسطى عامة، وحينئذٍ أجد صعوبة في استخلاص المعلومات التي تتماشى مع رسالتي.

(د) فقد أو عدم العثور على بعض النقاط الضرورية المتعلقة بحياة الأمير قتيبة، خصوصاً في كتب التاريخ الهامة مثل كتاب "تاريخ الأمم والملوك" للطبري، مما جعلني أتابع البحث عن المفقود في كتب التاريخ والتراجم الأخرى.

(ح) كذلك من هذه الصعوبات التي واجهتني أن المصادر التاريخية قد أمسكت في الحديث عن الجوانب الدعوية للأمير قتيبة، وأغفلت في حين آخر الجوانب الحضارية، وأصبح على الباحث تمحيص الروايات المختلفة وتحليلها من أجل الحصول على إشارات هنا أو هناك، وزاد من صعوبة الأمر عدم وجود مصادر خاصة بهذا القائد العظيم، أو بتاريخ البلاد التي فتحها، حيث أن كل ما كتب عنها في الماضي قد فقد - على حد علم الباحث -، وكل ما وصل إلينا عبارة عن شذرات بسيطة في ثنايا مؤلفات أخرى، وعندما يأتي ذكرها يكون أحياناً مرادفاً لإقليم خراسان ككل وأحياناً يأتي العكس، الأمر الذي تطلب التعامل بدقة مع المصادر.

▣ دراسة تحليلية لأهم مصادر ومراجع البحث:

اقتضت فصول البحث ومباحثه تنوع المصادر والمراجع التي يعتمد عليها، ويستمد منها المادة العلمية، على أن أهم المصادر في مثل هذه الدراسات هي مصنفات التاريخ العام والخاص والتراجم والطبقات، التي تمد البحث بالكثير من الجوانب الهامة، والإشارات المتنوعة عن حياة هؤلاء القادة العظام، والجوانب الاجتماعية والثقافية في حياتهم؛ وتميزت هذه المصادر - برغم الشذرات المتناثرة - بالكثرة والدقة والتنظيم حسب تنوعها على الأسس

الزمنية، أو المكانية، أو الطبقيّة، أو الحولية، ونحو ذلك^(١).

أولاً المصادر:

لقد تنوعت المصادر والمراجع المطبوعة التي أفاد منها البحث، ومن أهمها:

* كتاب تاريخ الأمم والملوك، لمؤلفه محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) الذي اهتم بذكر أخبار بلاد ما وراء النهر اهتماماً كبيراً خاصة أحداث الفتوحات والفتن، وأعطى معلومات تفصيلية عن سير الأحداث بتلك البلاد، فأفادني ذلك في معرفة بدايات الفتح الإسلامي لتلك البلاد، ثم الفتح الحقيقي والمنظم لها على يد الأمير قتيبة بن مسلم، كما أفادني أيضاً في معرفة بعض الجوانب الهامة عن حياة هذا القائد العظيم، فيعتبر من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث.

* كتاب "الكامل في التاريخ"، لابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، وترجع أهمية هذا المصدر في شموله للتاريخ العام للعالم الإسلامي، ووصفه للأحداث التاريخية الهامة لتلك المنقطة وغيرها، وكذلك القادة الفاتحين.

* كتاب "تاريخ بخارى"، لأبي بكر محمد بن جعفر النرشخي، وقد انتهى من تأليفه عام ٣٢٢هـ / ٩٤٣م) وقدمه إلى الأمير عبد الحميد أبي محمد نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل السّاماني (٢٨٦-٣٤٨هـ / ٨٩٩-٩٥٩م).

(١) يُنظر: عبدالمعز فضل عبد الرازق محمود: الحركة العلمية في إقليم الغربية، ص (س).

وترجع أهمية الكتاب إلى أنه يُلقى ضوءاً كاشفاً على ماضي بلد كان قديماً جزءاً من أراضي تركستان، وقد أصبح بعد الفتح الإسلامي - على يد الأمير قتيبة - من أهم الحواضر الإسلامية، وخرج الكثير من العلماء والمحدثين والفقهاء، وقد تحدث عن مدينة بخارى قبل الإسلام وبعد الفتح من النواحي الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية؛ والكتاب مثل كثير من الكتب القديمة يخلط الحقائق التاريخية بالروايات الأسطورية، ويروي أحاديث موضوعة عن بخارى وفضائلها، ورغم ذلك فقد اعتمدت عليه في كثير من أجزاء البحث لأصالة المادة التاريخية به.

* كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وينسب لمؤلفه "عبد الرحمن بن محمد بن خلدون" الحضرمي الأصل، وقد امتاز ابن خلدون عن كثير ممن كتبوا في التاريخ من قبله ببراعة التنظيم والربط، وحسن السبك والوضوح والدقة في تبويب الموضوعات والفهارس، وقد استفدت منه في الكتاب الثاني في وصف بعض الأحداث التاريخية المتعلقة بفتوحات الأمير قتيبة.

وتُعد كتب "الرحلات والبلدان" من أهم مصادر هذه الدراسة، وتتميز هذه الكتب بما تمدنا به من صورة حقيقية من شهود عيان عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية للبلدان، كما تمثل زاداً طيباً عن تراجم كثير من العلماء والقادة الكبار الذين غفلت عنهم كتب التراجم، ولم تفهم حقهم، أو ربما غفلت عنهم تماماً، ومن أهم هذه الكتب: "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، وقد تناول فيه العديد من مدن ما وراء النهر، إلا أنه يمكن الاستفادة منه في معرفة الفتوح، فهو يتحدث عنها بإسهاب في

بعض البلدان، كما يتحدث كثيراً عن المشهورين المنسوبين إلى كل بلد، وقد استفاد البحث منه في كثير من جوانبه المهمة.

* كتاب "صورة الأرض"، لابن حوقل (ت ٣٧٠هـ/ ٩٩٢م) وقد تطرق المؤلف في كتابه هذا إلى كل ما يتعلق بالبلدان والأقاليم، سواء في صفتها أو مقدارها في الطول والعرض وما يحيط بها من الأماكن والبقاع، وما تحتوي عليه المدن الكبار أو الأقاليم من كور ومدن أصغر، وما فيها من الأنهار والبحار، وقد استفاد البحث منه كثيراً في وصف بلاد ما وراء النهر.

* كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، للمقدسي البشاري، وقد وضع المؤلف إقليم ما وراء النهر ضمن ما أسماه أقاليم الأعاجم الثمانية وفي الجزء الثاني منه، وأسماه إقليم الشرق، وتحدث فيه عن فضل أهل هذه البلاد، ومميزات كل مدينة من مدنها، وعيوب كل مدينة بها عيب، وقد استفاد منه البحث في بعض جوانبه أيضاً.

* ومن أهم كتب "الطبقات والتراجم" التي استفاد منه البحث كثيراً كتاب "وفيات الأعيان وأنباء الزمان"، لابن خلكان، وهو يتحدث عن العديد من الشخصيات الإسلامية في كل المجالات، من حيث المولد والمنشأ والأعمال والوفاء، حيث استقيت منه بعض المعلومات الهامة المتعلقة بشخصية الدراسة وبعض الشخصيات الأخرى المتعلقة بها.

هذا بالإضافة إلى مصادر أخرى مذكورة في مواطنها التي أفادت البحث بكثير من المباحث المختلفة.

ثانياً المراجع:

ولا يُغفل في هذا المقام الكثير من المراجع العربية والمترجمة التي تميزت بعمق البحث والموضوعية والتخصصية والآراء القيمة، التي استأنستُ بها في العرض والحكم على بعض قضايا وجوانب هذه الدراسة، من هذه الكتب، كتاب: "أ.د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي" والذي تناول فيه بالدراسة الجانب السياسي للعالم الإسلامي في عصر الدولة الأموية، وقد استفاد منه البحث كثيراً عند الحديث عن فتوحات الأمير قتيبة وسياسته في نشر الإسلام في البلاد المفتوحة، وذلك من خلال الفصل الثالث والرابع من الكتاب.

وكتاب: "د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز"، والذي أعطى تصوراً مجملاً عن أحوال بلاد ما وراء النهر وكيفية دخولها للإسلام، وبعض الجهود العظيمة للأمير قتيبة في نشر الإسلام هناك.

وكتاب: "د/ حسين طنطاوي: الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي" وقد استمد منه كثيراً من المعلومات عن القبائل العربية التي هاجرت إلى خراسان، والموقف العام من مقتل الأمير قتيبة وخاصة موقف الشعراء من المؤيدين والمعارضين على حد سواء.

وكتاب: "محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ"، والذي أعطى تصوراً للمسلمين في خراسان عبر التاريخ، وكتاب: "د/ عصام عبدالرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق"، والذي أفاد البحث

في معرفة بعض الدول المستقلة التي تعاقبت على بلاد ما وراء النهر بعد وفاة الأمير قتيبة.

هذا بالإضافة إلى المراجع الأخرى التي أفادت البحث كثيرًا.

ثالثًا الرسائل العلمية:

وبالنسبة للرسائل العلمية فقد اعتمد البحث على بعض الأطروحات التي تناولت جوانب ذات صلة بموضوع هذه الدراسة، ومن هذه الرسائل:

١. الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه للباحث محمود زيادة.
 ٢. التراث الحضاري الإسلامي في جمهوريات وسط آسيا للباحث مصطفى شوقي.
 ٣. التطورات الحضارية في خراسان في العصر السلجوقي للباحث إبراهيم البهي.
 ٤. المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى للباحث أحمد أمين محمد جمعه.
 ٥. مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية في خراسان وما وراء النهر في القرنين (٣-٤هـ) للباحث عبدالباري محمد الطاهر الشرقاوي.
- وغيرها من الرسائل العلمية التي أفادت البحث في أحد جوانبه، وساعدت في تصور المنهجية والترتيب والصف والإخراج مما سيرد ذكرها في ثنايا البحث.

تقسيم البحث وخطته:

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والمنهج الذي اتبعت في بحثه، والدراسات السابقة، وأهم المشاكل التي واجهتني، وتحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وخطة البحث بإجمال، ثم شكر وعرفان لكل من عاون وساهم في إخراج البحث.

الفصل الأول التمهيدي وعنوانه: التعريف بآسيا الوسطى، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لآسيا الوسطى قديمًا، وتحدثت فيه عن التعريف ببلاد ما وراء النهر وذلك بذكر أسمائها، والتعريف بجغرافيتها في القديم، مع الحديث عن فضلها ومكانتها بين الأقاليم الأخرى، ثم أردفت ذلك بالحديث عن أشهر قبائها، والنشاط الاقتصادي لسكانها.

المبحث الثاني: الإطار التاريخي لآسيا الوسطى قديمًا، وتحدثت فيه عن اللغات التي كانت دارجة عند أهل هذه البلاد، وعن حياتهم السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية قبل الإسلام.

المبحث الثالث: بداية معرفة آسيا الوسطى للدين الإسلامي، وتحدثت فيه عن الاحتكاكات الأولى للمسلمين بأهل تلك البلاد في عهد الخلفاء الراشدين، ثم أردفت ذلك بالحديث عن الغارات الثغرية والغير منظمة في عهد الأمويين، والتي كان هدفها الأول تأمين الحدود الإسلامية والتمهيد للفتح المنظم والمستقر، وقد تحقق ذلك في عهد القائد الجريء قتيبة بن مسلم الباهلي.

المبحث الرابع: آسيا الوسطى حاليًا، وقد تحدثت فيه عن أحوال تلك البلاد

في العصر الحديث وما آل إليه أمرها من وقوعها تحت براثن الاستعمار الروسي والقيصري وتقسيمها إلى خمس جمهوريات، ثم استقلالها بعد ذلك، وقد قمت بالحديث عن كل جمهورية على حدة وذلك بشيء من التفصيل.

الفصل الثاني وعنوانه: التعريف بالأمير قتيبة بن مسلم، وقد قسّمته إلى سبعة

مباحث:

المبحث الأول: من هو قتيبة، وتضمن التعريف به، وبأهله، ومكانة قبيلته بين القبائل العربية الأخرى، ووقت دخولها الإسلام.

المبحث الثاني: مولده ونشأته، وتحدثت فيه عن وقت ميلاده، وكيفية نشأته والظروف التي أحاطت به.

المبحث الثالث: صفاته وأخلاقه، وتحدثت فيه عما كان يتمتع به الأمير قتيبة من الصفات الحميدة، والخلال الكريمة، ومدى حبه للعلماء والصالحين وحرصه على اصطحابهم معه في فتوحاته السعيدة.

المبحث الرابع: اتصاله بالخلفاء والأمراء، وفيه أيضاً الحديث عن بداية ظهور الأمير قتيبة على الساحة السياسية وذلك من خلال مواجهته الجريئة للحجاج بن يوسف، وخطته الناجحة في القضاء على شبيب الخارجي، مما جعل الحجاج يجعله في مقدمة معاونيه ومستشاريه.

المبحث الخامس: توليته الإمارة، وتحدثت فيه عن توليته الري من قبل الحجاج بن يوسف سنة (٨٣هـ)، ثم محاولات الحجاج بعد ذلك لتوليته على خراسان حتى تم ذلك له ذلك سنة (٨٥هـ).

المبحث السادس: وفاة الأمير قتيبة بن مسلم، وتحدثت فيه عن الظروف والملابسات التي أحاطت به، والتي أدت في النهاية إلى تمرد الجيش عليه ومقتله.

المبحث السابع: موقف الناس من قتل الأمير قتيبة، وتناولت فيه موقف الشعراء المؤيدين والمعارضين لمقتل الأمير قتيبة، وموقف الأمير سليمان بن عبد الملك حينما علم بمقتله، وبينت أيضاً موقف الأعاجم، ومدى الأثر الكبير الذي تركه فيهم هذا الحادث المؤلم.

الفصل الثالث وعنوانه: فتوحات الأمير قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر، ويعتبر هذا الفصل من أكبر فصول الرسالة، وقد قسمته إلى تمهيد وستة مباحث:

التمهيد: وتحدثت فيه عن قدوم الأمير قتيبة إلى تلك البلاد، وأهم العوامل التي ساعدته على نجاحه في فتوحاته العظيمة هناك، وبعض حملاته الأولى التمهيديّة في عامه الأول.

المبحث الأول: فتح مدينة بيكند، وتحدثت فيه عن أهمية موقعها ومكانتها، وتمهيد الأمير قتيبة لها، ثم فتحها بعد ذلك واستقرار بعض المسلمين فيها، والنتائج التي ترتبت على ذلك.

المبحث الثاني: فتح بخارى، وتحدثت فيه - أيضاً - عن فضلها ومكانتها الهامة بين الأقاليم الأخرى، وبعض الأسماء التي أطلقت عليها، والفتح الإسلامي لها بقيادة الأمير قتيبة بن مسلم.

المبحث الثالث: بعض النتائج التي ترتبت على فتح بخارى، وذكرت فيه

أهم هذه النتائج ومنها صلح قتيبة مع الصغد، غدر نيزك بتأليفه حلف كبير لمقاومة الغزو الإسلامي، وفتح مدينة الطالقان، ثم الإمساك بنيزك طرخان وقتله، وأخيراً غزوه لشومان وكس ونسف.

المبحث الرابع: صلح قتيبة مع ملك خوارزم وفتح خام جرد، وتحدثت فيه عن الأسباب التي ساعدت الأمير قتيبة على ذلك.

المبحث الخامس: فتح مدينة سَمَرْقَنْد، وتحدثت فيه عن التعريف بهذه المدينة العريقة، وأهمية موقعها ومكانتها وفضلها بين الأقاليم الأخرى، وكيفية تخطيط الأمير قتيبة لها وفتحها، والخير العظيم الذي غنمه المسلمون منها، ثم أردفت ذلك بالتحليل لبعض الأحداث الهامة خلال هذا الفتح.

المبحث السادس: فتح الشاش وفرغانة وكاشغر، وتحدثت فيه عن عبور الأمير قتيبة لنهر سيحون، وفتح الشاش وفرغانة، وموقفه بعد موت الحجاج، ثم أردفت ذلك بالحديث عن فتحه لمدينة كاشغر وغزو الصين، وهي البلاد التي توقفت عندها فتوحاته العظيمة.

الفصل الرابع وعنوانه: جهود الأمير قتيبة بن مسلم في الدعوة إلى الله تعالى في بلاد آسيا الوسطى، وقد قسمته إلى ستة مباحث:

المبحث الأول: موقفه من المعتقدات الفاسدة في البلاد المفتوحة، وتحدثت فيه عن جهوده في محاربة المعتقدات الفاسدة مثل الزرادشتية والبوذية.

المبحث الثاني: جهوده في الإصلاح السياسي وبناء المجتمع، وتحدثت فيه عن سياسته في اختياره مدينة مرو كقاعدة انطلاق لجيوشه، وجهوده العظيمة في

القضاء على الخلافات العربية في خراسان، وإشراكه أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب الدولة، ومدى الروح المنوية العالية التي كان يتحلى بها قتيبة ومن وراءه قاداته وجنوده، وشدته في القضاء على الثائرين والمتمردين من أعداء المسلمين.

المبحث الثالث: جهود الأمير قتيبة في الإصلاح الديني والدعوي، وتحدثت فيه عن الجهود العظيمة للأمير قتيبة في بناء المساجد في البلاد المفتوحة مثل بيكند وبخارى سمرقند وغيرها، وسياسته في تسكين الأسر العربية مع سكان البلاد المفتوحة، وخطبه العظيمة للقادة والجنود واصطحابه للعلماء والصالحين وأثر ذلك في الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع: جهوده في الإصلاح الفكري والحضاري، وتحدثت فيه عن الربط ودورها المهم في الجهاد ونشر الإسلام، وجهود الأمير قتيبة في إنشائها، وسياسته في تحويل مدينة بخارى إلى مركز إسلامي، والآثار الطيبة التي ترتبت على ذلك.

المبحث الخامس: جهود الأمير قتيبة بين المادحين والقادحين، وتحدثت فيه عمّا كان يحظى به الأمير قتيبة من احترام وتقدير من جانب كثير من المؤرخين، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وفي المقابل ذكرت بعض الآراء للفريق الآخر والتي لا تؤثر في قليل ولا كثير على ما قام به الأمير.

المبحث السادس: أحوال الدعوة الإسلامية في آسيا الوسطى بعد الأمير قتيبة، وتحدثت فيه عن موقف الدعوة في عهد الأمويين بعد قتيبة، والسياسة التي انتهجتها الدولة العباسية في تلك البلاد، ثم تحدثت بعد ذلك عن بعض الدول

العديدة التي استقلت عن الخلافة العباسية وموقفها من الدعوة في تلك البلاد أيضًا.

الخاتمة: وقد ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وبعض الوصايا والاقتراحات الهامة.

قائمة المصادر والمراجع: وقد اشتملت على أسماء المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث في مادته العلمية.

فهرس الموضوعات: وقد اشتمل على عناوين الفصول والمباحث التي وردت خلال البحث مع ذكر أرقام الصفحات في المقابل ليسهل على القارئ الوصول إليها.





شكر وعرّفان

وبعد: فلا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أذكر الفضل لأهل الفضل: "فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله"، فأذكر في هذا المقام شيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور/ أحمد إبراهيم شحاته، الذي أذكر له حسن اللقاء والتودد وسلامة الصدر، فكنت ممن شملني فضله ووسعني معرفته، وكان لي فجرًا صادقًا في ليل هذا البحث - التي أدعو الله تعالى أن أكون وفقْتُ فيه - واقتطع الكثير من وقته الثمين وجهده المشكور بما أسداه من النصائح وأقال من العثرات، وأبداه من التوجيهات فله مني الشكر ومن الله الجزاء، وأسأل الله ﷻ أن يُطيل عمره في طاعة الله وخدمة الإسلام والمسلمين، وأن يديم علينا صحبته.

كما أتقدم بكل الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد عبد القادر الذي كان لي نعم المعلم، فقد بذل الكثير من الوقت والجهد ولم يبخل عليّ بالنصح والإرشاد، والصبر والمصابرة، فجزاهما الله عني خير الجزاء وأوفاه، وبارك لهما في صحتهما وعمرهما ونفع بهما طلاب العلم وجعل ذلك في ميزان حسناتهما اللهم استجب وتقبل آمين.

كما أستاذني الكرام في توجيه الشكر والعرّفان لكل من ساهم وعاون وساعد في هذا البحث، ويأتي في مقدمتهم أستاذتي في قسم الثقافة الإسلامية بالكلية، فلهم مني أسمى آيات الشكر والتقدير، وكذلك أوجه شكري

لوالدائيّ الكريمين - حفظهما الله - على فضلهما الذي لا يقدر، وعطائهما الذي لا ينقطع، وودهما الذي لا يستتر، فاللهم ﴿أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (١).

كذا أشكر أولادي وأهلي وعشيرتي وأساتذتي وزملائي وإخواني، ممن أمدوني بجميل العرفان وبالغ العطاء وخالص النصيحة، وأخذوا بساعدي لإتمام هذا العمل المتواضع.

وختامًا: فهذا جهدي المتواضع والذي بذلت فيه ما وسعني من قدرات، جمعًا وترتيبًا، والحمد لله الذي أعانني على كتابته بالحرف الواحد، من ألفه إلى يائه، على الكمبيوتر، وعشتُ بين سطوره وفقراته، وفصوله وصفحاته، مترسمًا خطوات هذا القائد الشجاع، الصادق الوفي، المخلص التقي، فله مني خالص الشكر وجميل الثناء، راجيًا من المولى ﷻ أن يتقبله مني، وأن يجعله في ميزان حسنات كل من ساهم فيه، فإن كان من خطأ أو نسيان أو سهو أو تقصير فمني والشيطان والله منه براء، وحسبي فيه حسن النية. وإن كان من توفيق ورجحان فمне سبحانه وتعالى، الذي له الحمد في الأولى والآخرة،،،

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وكتبه راجي عفو الإله الفقير إلى مولاه

محمد ثروت السيد عبد الرحيم

قرية ٣ بحر البقر - الحسينية - شرقية

٠١٠٠٩٨٧٨٥٧٦ - ٠١٠٩١٩١٠٤٩٢

(١) من الآية (٢٤) من سورة الإسراء.

الفصل الأول التمهيدي

التعريف بآسيا الوسطى

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لآسيا الوسطى.

المبحث الثاني: الإطار التاريخي لآسيا الوسطى قبل الإسلام.

المبحث الثالث: بداية معرفة آسيا الوسطى للدين الإسلامي.

المبحث الرابع: آسيا الوسطى حالياً.

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لآسيا الوسطى قديماً

أولاً: موقع ومساحة آسيا الوسطى:

آسيا الوسطى، أو بلاد التركستان^(١)، عبارة عن شبه منحرف يحده من الجنوب جبال الهيمالايا^(٢)، ومن الجنوب الغربي هضبة البامير^(٣)، ومن الغرب

(١) تنقسم تركستان حالياً إلى قسمين: تركستان الشرقية أو الصينية: وهي ولاية مستقلة عن الصين، عديمة السواحل، بعيدة عن العمران تعيش حياة بدائية، وتركستان الغربية أو الروسية: والتي كانت تعرف ببلاد التتر، وعرفت بعد ذلك ببلاد ما وراء النهر، والتي قسمت بعد استيلاء الروس عليها وبعد الثورة البلشفية إلى خمس جمهوريات سوفيتية هي: كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، وتركمانستان. ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٩، حاشية رقم ٢؛ محمد عبد الحميد الرفاعي: الدولة الغزنوية، ص ١٢، ١٣.

(٢) جبال الهيمالايا: هي سلسلة جبال في آسيا تفصل شبه القارة الهندية عن هضبة التبت، ويطلق اسم جبال الهيمالايا على شبكة الجبال الممتدة من أفغانستان غرباً حتى هضبة التبت شرقاً، وتعتبر سلسلة جبال الهيمالايا موطناً لأعلى ١٤ قمة في العالم، بما فيها قمة إفرست. ينظر: د/ زغلول النجار: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، ج ٣ ص ٨٨،

همالايا. ar.wikipedia.org/wiki/همالايا

(٣) تقع هضبة البامير إلى الجنوب الغربي من تيان شان، وتؤلف هضبة مستطيلة بالغة الارتفاع، وتلتقي عندها أضخم السلاسل الجبلية في آسيا ١٢٠٠ قدم (والقدم يساوي ٩١٧، ٣٠ سم) وتنحدر انحداراً خفيفاً نحو الغرب، وتفصل بينها تلال وأراضٍ جبلية، ينظر: السيد الباز العريني: المغول، ص ٥، ٦.

جبال تيان شان^(١)، ومن الشمال جبال الألتاي^(٢)، وبابلونوى، وستانوفوى، ومن الشرق جبال كنجان، وكوكونور.

وتبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالي ستة ملايين كم^٢، هي في مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب الجعدة والمنخفضات^(٣)، ويسكن تلك المنطقة الشاسعة عناصر صينية وتركية ومغولية^(٤).

ثانياً: أسماء آسيا الوسطى:

وآسيا الوسطى هي البلاد التي أطلق عليها الجغرافيون العرب اسم "بلاد ما وراء النهر"^(٥)، وهى المنطقة الواقعة في حوض نهر جيحون (أموداريا)، وسيحون (سيرداريا)^(٦)، وكان نهر جيحون القديم يعد الحد الفاصل بين الأقوام

(١) أما عن سلسلة جبال تيان شان، فهي سلسلة ضخمة، يتفاوت ارتفاعها عن سطح البحر، بين ١٥ ألف، ٢٠ ألف قدم، وقد يصل ارتفاع بعض قممها إلى ما يزيد على ٢٥ ألف قدم، ويبلغ طولها نحو ١٢٠٠ ميل (والميل يساوي ١٦٠٠م)، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. ينظر: السيد الباز العرينى: المغول، ص ٥، ٦.

(٢) جبال الألتاي أو جبال الذهب: وهي عبارة عن مجموعة من السلاسل الجبلية المرتفعة التي تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، مما يزيد على سبعمائة ميل على امتداد الحافة القريبة للهضبة المرتفعة الواقعة إلى الشمال الغربي من منغوليا، ولا يتجاوز ارتفاع هذه الجبال اثني عشر ألف قدم. ينظر: السيد الباز العرينى: المغول، ص ٥، ٦.

(٣) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ٧.

(٤) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص ١٤٥.

(٥) وأسمائها الجغرافيون العرب "بلاد ما وراء النهر"؛ لوقوعها جغرافياً خلف نهر جيحون.

د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز (الواقع والتاريخ)، ص ٦.

(٦) ينظر: مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج ١، ص ٩٦؛ لسترنج:

الناطقة بالفارسية والتركية، أي إيران وتوران^(١)، فما كان في شماله (أي وراءه) من أقاليم سماها العرب بلاد ما وراء النهر أي نهر جيحون أو نهر آمودريا، كذلك سموه بلاد الهيتل^(٢)، كما أطلقوا عليه اسم بلاد التركستان^(٣)، وهو اسم جامع لجميع بلاد الترك^(٤)؛ حيث موطن الأتراك في آسيا الوسطى^(٥)، وتمتد من بحر قزوين ونهر آرال^(٦) غرباً إلى سد الصين شرقاً، ومن سيبيريا ومنغوليا شمالاً إلى إيران وأفغانستان جنوباً^(٧).

بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٨٦.

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣١٠؛ د/ فليب حتي، وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٧٠.

(٢) د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٢٠.

(٣) التركستان: لفظة مركبة من مقطعين (ترك - ستان) ويعنى المقطع الأول اسم القبائل التي تقطن المكان، والمقطع الثاني يعنى أرض الخير والنماء، ويشير المعنى إجمالاً إلى أنها أرض الترك. ينظر: شرين عبد المنعم حسانين: مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، ص ١١، حاشية رقم ٢؛ السيد عبد المؤمن السيد أكرم: أضواء على تاريخ توران (تركستان)، ص ٨٦، ٨٧.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ص ٢٣؛ ينظر: ظهير الدين محمد بابر شاه: تاريخ بابر شاه المعروف بابرنامه، ص ٧٢ حاشية رقم ١١.

(٥) وقد أطلق العرب لفظة تركي على كل شعب غير الفرس ممن كان شرقي نهر جيحون. د/ فليب حتي، وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٧٢ حاشية رقم ٣.

(٦) ونهر آرال: هو الذي سماه العرب ببحيرة خوارزم، وكانت تجاوره بلاد التركمان الغز، وكان ضحلاً لا يصلح لحركة السفن. لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٤٨٦، ٤٨٧.

(٧) ينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٢٢٥، وتشتمل التركستان على أقاليم ما وراء النهر، وفرغانة، والسغد وجزء من خراسان وبدخشان وبامير، ويجرى فيها نهران عظيمان وهما نهر جيحون (أموداريا) ونهر سيحون (سيدراريا). ينظر: نصر الله مبشر الطرازي: "الجمهوريات الإسلامية في رابطة الدول المستقلة ماضيها

ومما تجدر الإشارة إليه أن نهر جيحون^(١)، وسيحون^(٢)، هي التسمية العربية لما يسميه الإغريق نهر (أوكسس) بدلاً من جيحون، ويسميه الإيرانيون (أموداريا)؛ أما نهر سيحون فيطلق عليه الإغريق اسم (جاكسارتا)، ويسميه الإيرانيون (سيرداريا)^(٣).

وما زال الغموض يحيط باسمي جيحون وسيحون؛ فقد يكون العرب قد اقتبسوهما من اليهود؛ لأن سيحون وجيحون ليساً إلا صورتين لاسمي النهرين المذكورين في سفر التكوين (كيحون) و(فيشون)^(٤)، ثم عرف نهر جيحون بنهر (أموداريا)، ونهر سيحون بنهر (سيرداريا) في أواخر العصور الوسطى، وبعدها عرفها العرب باسمهما جيحون وسيحون^(٥)؛ كما تشتهر المنطقة كذلك

وحاضرها، ص ١٧٣.

(١) وينبع هذا النهر من جبال بامير التي ترتفع منها جبال الهملايا وتتفرع عنها جبال هندوكش في شمال أفغانستان، ويتكون نهر جيحون من مجموعة من الأنهار التي تصب من جبال بامير ورافده الأساسي هو نهر جرياب الذي يخرج من جبال وخاب من حدود بدخشان. ينظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٣؛ القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٥.

(٢) وينبع هذا النهر من مرتفعات بامير الشمالية، وعموده الأساسي هو نهر قرداريا ثم يتصل به نهر رافد أكبر من قرداريا هو نهر خيلام. د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي، ص ٢٤١.

(٣) محمود طه أبو العلا: الآثار الاجتماعية والاقتصادية لنهرى جيحون وسيحون في آسيا الوسطى، ج ١، ص ٣، ونهر (جَبْحُونُ) هو اسم أعجمي، وأصله بالفارسية (حرون) وهو اسم وادي خراسان في وسط مدينة يقال لها (جيهان) فنسبه الناس إليها وقالوا (جيهون)؛ أما نهر سيحون فعرف باسم آخر وهو (آمو). ابن فضلان: رسالة ابن فضلان ص ٣٣؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٢٧، حاشية رقم ٢.

(٤) سفر التكوين (٢: ١٢، ١٣).

(٥) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٧٧.

باسم إقليم بخارى الكبرى^(١).

ويحد إقليم ما وراء النهر من الجنوب الشرقي بلاد الهند، ومن الشمال الشرقي بلاد الترك، ومن الغرب بلاد الترك الغزية^(٢)، ومن الجنوب نهر جيحون؛ ويدخل نهر جيحون والمدن الواقعة عليه ضمن ما يطلق عليه بلاد ما وراء النهر^(٣).

وقد أطلق الجغرافيون العرب القدامى على جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية في العصور الوسطى بلاد (خراسان^(٤))، وما وراء النهر، والتركستان^(٥)؛ ومن هنا كان لابد من تحديد موقعها على الخريطة الجغرافية للعالم، والإشارة إلى الأسماء القديمة التي تعارفت عليها المصادر القديمة حول مدلول هذه الأسماء الثلاثة المشار إليها؛ ولذلك: فإن إطلاق اسم خراسان في القرون الهجرية الأولى؛ بل طوال العصور الوسطى جميعاً هو ذلك الإقليم الذي يحده جغرافياً في الشرق إقليم السند الهندي، وطخارستان

(١) ينظر: رأفت غنيمي الشيش: آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، ص ١٦٩.

(٢) والغز: أمة عظيمة من الترك، وكانت بلادهم تحف بالبلاد الإسلامية في آسيا الوسطى من الغرب والجنوب، ويحتمل أن يكون الغز قد انحدروا من أصلاب البدو الإيرانيين؛ لما بينهم من تشابه في الشكل. مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى: التراث الحضاري، ص ١٥.

(٣) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٦١.

(٤) خُرَّاسان: وهي بلاد واسعة، أول حدودها ما يلي بلاد فارس، وآخرها مما يلي الهند من طخارستان، وغزنة، وسجستان، وكرمان. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٣٥٠؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٤٦.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٤، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٩.

الخراسانية^(١)، ومن الغرب إقليم جَرَجَان، ومن الشمال بلاد الصغد^(٢)، وخورازم، ومن الناحية الجنوبية سجستان^(٣).

▣ ثالثاً: أقسام آسيا الوسطى:

وتنقسم آسيا الوسطى (بلاد ما وراء النهر) إلى خمسة أقاليم، وأضاف إليها الجغرافيون إقليمًا سادسًا هو إقليم خوارزم الذي يقع في أدنى نهر جيحون، ويشتمل على دلتا^(٤) نهر جيحون وبحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون، وأهم مدنه كاش الجرجانية^(٥).

ثم إقليم الصغد، أجمل أقاليم ما وراء النهر، ولعل ما يفيض عليه أهمية بالغة الأثر أنه يضم مدينتي كان لهما باع كبير في النواحي السياسية والاقتصادية

(١) طَخَارِسْتَان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهي من نواحي خراسان، وهي صخارستان العليا والسفلى. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٣؛ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٢٠٩ حاشية رقم ١.

(٢) الصُّغْد: وهي المنطقة الواقعة شرق جيحون موازية لآمل، وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وقصبتها سمرقند. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٤٠٩.

(٣) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، ص ٧، وقد قُسمت هذه البلاد في العصور الحديثة إلى ثلاثة أقسام هي: جمهورية إيران الإسلامية، وأفغانستان الحالية، وجمهورية تركمانستان التي تشكل واحدة من جمهوريات آسيا الوسطى الست المستقلة حديثًا عن الاتحاد السوفيتي السابق، أما إقليم خراسان في العصر الحديث فيطلق على إحدى محافظات الجمهورية الإيرانية الحالية. يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، ص ٧.

(٤) الدلتا: مساحة من الأرض، تكونت من رواسب فيضية، مَرُوحية الشكل، يلقيها النهر عند مصبه، ويتشعب فيها النهر إلى فرعين أو أكثر. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص ٢٣١.

(٥) ينظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥؛ ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، ص ٣٢.

والحرية والدينية، وهما مدينتا بخارى عاصمته الدينية، وسمرقند عاصمته السياسية^(١)، واعتبره الجغرافيون إحدى جنان الدنيا^(٢)؛ فمدينة بخارى أجمل بلاد ما وراء النهر قاطبة؛ فحينما يرتفع الإنسان إلى قلعتها لا يشاهد سوى خضرة متصلة ببعضها وكأن السماء مهياة على بساط أخضر^(٣)، وكانت بخارى تتمتع بثراء هائل، وتزدهر فيها الصناعات والتجارات، ويتجلى ذلك في مغام المسلمين عند الفتح الإسلامي لها، وما كانوا يصلحون عليه من مال وخراج^(٤).

أما سمرقند فهي تعرف بمدينة المسرات، قصبه^(٥) إقليم الصغد السياسية تقع أعلى نهر جيحون، وهي من أجمل البلاد وأعظمها قدرًا، فيها أسواق كبرى^(٦)، وقد لعبت دوراً بارزاً في تاريخ آسيا الوسطى السياسي والاقتصادي^(٧)، ومن مدن إقليم الصغد الشهيرة بيكند^(٨)، ونسف^(٩)،

(١) ينظر: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ٥٠٣، ٥٠٣.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٧٧.

(٣) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٦٤، ١٦٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩١.

(٤) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨؛ د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٢.

(٥) القصبه من البلاد: عاصمتها. المعجم الوجيز، ص ٥٠٣.

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٧٧؛ وينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٧٧،

١٧٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٧٧.

(٨) بيكند: وهي بلدة بين بخارى و جيحون على مرحلة من بخارى، لها ذكر في الفتوح، وكانت بلدة كبيرة حسنة كثيرة العلماء خربت منذ زمان. ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٥٣٣؛

وينظر: المقرئزي: جني الأزهار من الروض المعطار، ص ١٠٧.

(٩) نَسَف: وهي مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل

والكشانية^(١).

أما إقليم أَشْرُوسَنَةَ الذي يقع شرقي سمرقند فهو من أقاليم سيحون، وقصبتها مدينة بُونَجِحْث^(٢)، وزَامِين^(٣)، وتغلب عليه الصفة الصحراوية، ولا تتخلله أنهار كبيرة، وهو من قواعد ما وراء النهر^(٤)، واعتبر هذا الإقليم رباط^(٥) للمسلمين ضد الكفار من الأتراك^(٦).

ويمثل إقليم فَرَّغَانَةَ، الإقليم الرابع من أقاليم ما وراء النهر^(٧)، ويقع على الجانب الأيسر لنهر جيحون، وتحده جنوباً هضبة البامير، وشمالاً جبال تيان شان، وشرقاً سهول مكشوفة، وغرباً ممر ضيق يتصل بباب الإقليم، وتعتبر

فن. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٨٥.

(١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٩٣، وكش: مدينة بما وراء النهر، وهي مقدار ثلث فرسخ في مثله. الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) بُونَجِحْث: مدينة يحرز رجالها نحو عشرة آلاف رجل، وبنائها من طين وخشب، ولها مدينة داخلية منها عليها سور بذاتها. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٤.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٧٨؛ وينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٨٢، ١٨٣، وزَامِين: هي مدينة علي طريق فرغانة إلي السغد، وهي مدينة ظهرها جبال أشروسنة، ووجهها إلي بلاد الغزية، وهي صحراء ملساء لا جبال بها. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٤.

(٤) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥١٧، ٥١٨؛ إبراهيم علي البهي علي: التطورات الحضارية في خراسان، ص ٨٦، حاشية، رقم ٣.

(٥) الرِّبَاطُ والمُرَابِطَةُ: مُلَازِمَةٌ تُغَرِّ العَدُوَّ، وأصله أَنْ يَرِبَطَ كُلُّ واحدٍ من الفَرِيقَيْنِ خَيْلَهُ ثم صار لزومُ الثَّغْرِ رِبَاطًا، والرباط - أيضًا - ملجأ الفقراء من الصوفية. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧ ص ٣٠٢.

(٦) ينظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٤.

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٧٩.

مدينة (أَخْسِيكَات) عاصمة الإقليم^(١)، وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة، وربما بلغ حد القرية مرحلة^(٢) لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم ومراعيهم^(٣).

ويمثل إقليم الشاش^(٤)، الإقليم الخامس من أقاليم ما وراء النهر ويقع على بعد مرحلتين من ثغر أَسْبِجَاب^(٥)، وأهم مدنه مدينة (بِنَكْث)^(٦) أو (طشقند الحالية) وإيلاق^(٧)، ويضاف إليها إقليم الختل، ويقع خلف نهر جيحون في القسم الشرقي منه بالقرب من تخوم السند^(٨).

(١) ينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٨٧؛ ومن مناطق فرغانة مدينة أنديجان التي تزعم الروايات الشعبية أن بها قبر النبي أيوب عليه السلام، وبها المياه التي استشفى بها عندما دعا ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٣) وهو معروف إلى الآن باسم حضرت أيوب على بعد ميل ونصف من قرية جلال آباد. د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١ ص ٢٤٤.

(٢) المرحلة: هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة، وتقدر المرحلة بـ(٢٤) ميلاً. د/ علي جمعة: المكايل والموازن الشرعية، ص ٣٧.

(٣) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٨٧؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٢٠.

(٤) الشَّاش: مملكة وراء نهر سيحون إلى الشمال من اشروسنة. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٠٨.

(٥) ينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٨٤: ١٨٧، وأَسْبِجَاب: مدينة نحو الثلث من بنكث، وتشتمل علي مدينة وقهندز وربض، وبينها وبين أقرب الجبال إليها نحو ثلاثة فراسخ. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٨.

(٦) بنكث: وهي قصبه الشاش، ولها قهندزاً ومدينةً، وللمدينة ربط وعلي الربط سور، ثم خارج هذا الربط ربط آخر وبساتين ومنازل. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٧.

(٧) ينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٨٤، ١٨٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٦.

(٨) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٤٦.

ولم تكن هناك حدود ثابتة لهذا الإقليم، ولذا كانت تلك البلاد معرضة للهجوم والعدوان، خاصة من جانب القبائل التركية، أو الإمبراطورية الصينية وغيرهما من الممالك المجاورة لهذه الممالك^(١).

▣ رابعاً: مكانة آسيا الوسطى:

وإقليم ما وراء النهر (آسيا الوسطى) من أخصب أقاليم الأرض، وأنزهها، وأكثرها خيراً^(٢)، وأهله أشد رغبة في الخير، واستجابة لمن دعاهم إليه^(٣)، وفي عامة مساكنهم البساتين والحياض، والمياه الجارية، والأشجار الملتفة، والشمار الكثيرة، والرياض المتصلة؛ مما لا يوجد في سائر الأمصار^(٤).

وهو إقليم عامر بالمدن والقرى، ولأهله من الخيرات ما يفيض عن الوصف، وعن حاجتهم ويصدرونه للخارج، كما تتوفر في بلادهم معادن الذهب والفضة والزئبق والنوشادر والحديد الذي يصنعون منه الآلات والأسلحة^(٥)، واشتهر هذا الإقليم - أيضاً - بتصدير الزئبق والذهب والنوشادر، ولديهم من أصناف الفاكهة الكثير؛ هذا علاوة على الرقيق الذي كان يؤتى به من بلاد الترك ثم ينقل منها إلى نواحي بلاد الإسلام، كما يتصف أهل ما وراء النهر بالمبالغة في إكرام من يطرق بلادهم^(٦)، وهم أحسن الناس

(١) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، ص ٢٢.
(٢) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٦١؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٥٧.
(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٤؛ الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٦١.
(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٢؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٥.
(٥) ينظر: الاضطخري: المسالك، ص ١٦١، ١٦٢؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٥.
(٦) الاضطخري: المسالك، ص ١٦٢؛ حسين المسيري: تجارة العراق في العصر العباسي،

طاعة لكبرائهم ولطفلمهم، خدمة لعظمائهم وفيما بينهم^(١).

وهكذا تبوأ هذا الإقليم مكانة عظيمة في نواح كثيرة من نواحي الحياة المختلفة.

▣ خامساً: المناخ والطقس:

اشتهرت بلاد آسيا الوسطى (تركستان) منذ القدم بمناخها القاري؛ فالجو في آسيا الوسطى بصفة عامة جو قاري، حار صيفاً، شديد البرودة شتاءً^(٢)، إلا أنها تمتاز بخصوصية أراضيها، وجمال مناظرها الطبيعية الخلابة، وكثرة البحيرات، والأنهار، والجبال المكسوة بالخضرة والزهور صيفاً، ومكسوة بالثلوج شتاءً^(٣)؛ كما يشكل القسم الكبير من تركستان أراضٍ صحراوية مليئة بالرمال المتحركة في بعض الجهات مثل صحراء (قرة قوم)^(٤)، التي تمتد من سواحل بحيرة أورال إلى إمارة جنوة، وغيرها من الصحارى التي يكون الشتاء بها بارداً جداً^(٥).

ص ٢٦٩.

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٧، ٣٨٨.

(٢) د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٥؛ وينظر: د/ عبد الغني سعودي: آسيا في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، ٢٠٠٣م، ٢٨٢.

(٣) د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٥.

(٤) ومعنى "قرة قوم" أي الرمال السوداء. ينظر: د.١/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٦٨.

(٥) د/ سعيد أحمد سلطان: المرجع قبل السابق، ص ٢٥؛ وينظر: عماد على محمد السيد: السكان في إقليم تركستان الغربية "دراسة جغرافية مقارنة"، ص ٢١.

إذا فبلاد التركستان قليلة المطر، تعتمد في مياهها على ذوبان الثلج على الجبال الواقعة حافتها الشرقية؛ أما الهواء فهو دائماً جاف وحار جداً في الصيف، والشتاء شديد البرودة.

سادساً: السكان:

يتألف سكان آسيا الوسطى من خليط الأوزبك، والطاجيك، والأتراك، والتركمان، والأكراد والفرس.

وينحدر أصل شعوب آسيا الوسطى (بلاد تركستان) إلى ترك بن يافث بن نبي الله نوح عليه السلام فهم ذرية ترك بن يافث، وكان ترك ولي عهد والده يافث، فسميت الأرض باسمه (تركستان)^(١).

ولما كثر الأبناء تفرقوا وأصبحوا شعوباً وقبائل؛ فاشتهر منهم (الأوزبك) و(الأوغور) و(المغول) و(القبجاق)، وكلهم منسوبون إلى أسماء سلاطينهم ورؤسائهم^(٢).

وقد انتشرت هذه القبائل في الصحراوات والغابات واستوطنت المدن والأقاليم، واختلفت في معيشتها وطرق حياتها عن بعضها البعض، كما كان من هذه القبائل (التتار) وهم قبائل رحل ينتقلون من مكان إلى آخر سعياً وراء المراعى لأغنامهم وشاعت شهرتهم في عهد جنكيز خان^(٣).

(١) د/ شرين عبد المنعم حسنين: مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، ص ١١؛ د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٩، ١٠.

(٢) السيد عبد المؤمن السيد أكرم: أضواء على تاريخ توران (تركستان)، ص ٨٦، ٨٧؛ د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ١٠.

(٣) د/ شرين عبد المنعم حسنين: مسلمو تركستان والغزو الروسي، ص ١١، ولقد كانوا يمتازون

وهناك العديد من الحقائق والمعلومات المتوفرة عن سكان آسيا الوسطى وفرناتها الحفريات الأثرية التي جرت في مناطق خوارزم القديمة، والصفد، وفرغانة، والشاش.

إلى جانب ما كتبه المؤرخون والجغرافيون الرومان واليونان أمثال سيم - مسنان (١٤٥ - ١٣٥ ق.م) (١). وطبقاً لما ذكرته تلك المصادر فإن سكان آسيا الوسطى كانوا ينقسمون إلى قسمين:

١. البدو: وهم الأتراك الذين يسكنون الشمال، وكان إقليم ما وراء النهر لا يسلم من غاراتهم (٢)، ويطلق عليهم اسم مشترك واحد، حيث كانوا يعرفون باسم (الساكتين) أي الذين يعيشون في وديان الأنهار، وهم قوم تتشابه عاداتهم وتقاليدهم ونمط حياتهم اليومية؛ فهم يحاربون بالسهام والرماح، ويعشون في الخيام، ويتمتعون بروح مثالية عالية (٣).

٢. الحضرة: وهم المزارعون، وكنوا بأسماء المناطق التي كانوا يعيشون

بالسرعة الفائقة، والحركة الخفيفة؛ مما جعل جنكيزخان يجعلهم في مقدمة جيوشه للإرشاد؛ وعليه أطلق اسم تتر على كل المغول، وبعد اختلاط المغول الأتراك واعتناقهم الإسلام سمي أتراك الشرق والشمال وغيرها باسم التتار. ينظر: شرف الدين أحمد آدم: محاضرات في حاضر العالم الإسلامي، ص ١٨ حاشية رقم ١.

(١) أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٢١.
(٢) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ١٤٥؛ وينظر: شرين عبد المنعم حسانين: مسلمو تركستان، ص ١٣، ولقد كان هؤلاء الأتراك في عراق مستمر مع الفرس، أولئك يريدون أن يندفعوا غرباً، متخطين نهر جيحون إلى خراسان. سليمان الخش: الفتح العربي الإسلامي في سيرة مالك ابن الرب المازني، ص ٩٩، ١٠٠.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٢٣.

فيها، وينسبون إليها، ويطلق عليهم الخوارزميون، الصغديون، الطشقنديون، القرغانيون، وكانوا يزاولون الزراعة، وكانت لهم علاقات تجارية مع إمبراطورية الصين المجاورة، حيث كانوا تجاراً مهرة لهم أسواق متوفرة فيها البضائع والسلع المختلفة^(١).

وخلاصة القول أنّ سكان ما وراء النهر هم من أصل تركي، وقد استفادوا من الثقافة الإيرانية إذ يمكنهم ذلك من إقامة عدة ممالك مستقلة في الفترة السابقة على الفتح الإسلامي، وهذه الممالك هي:

١. مملكة طخارستان: وهي بلاد واسعة تقع على ضفتي نهر جيحون وعاصمتها بلخ.

٢. مملكة الختل: وهي مملكة واسعة كثيرة المدن عاصمتها هلبك، وهي أول مملكة وراء نهر جيحون.

٣. مملكة الصغد: وعاصمتها سمرقند ومن أهم مدنها بخارى.

٤. مملكة خوارزم: وعاصمتها جرجان.

٥. الممالك السيحونية كفرغانة، والشاش وأشرسونة.

(١) ينظر: شرين عبد المنعم حسنين: مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، ص ١٢، ١٣، وكان لهم حكام أتراك سجل التاريخ أسمائهم مثل (بندون) حاكم بخارى، وزوجته الملكة (خاتون) التي تولت الحكم لحدثة سن ابنها (طغشادة) وقد تم الفتح الإسلامي لبلادها في عصرها، وكذلك ابنها طغشادة الذي احتفظ بالحكم مدة ثلاثين عاماً نظير اعتناقه الإسلام. ينظر: الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٢٣، ٢٤؛ فامبري: أرمينوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ص ٤٠.

٦. مملكة صغانيان: وهي ولاية عظيمة متصلة بترمد وعاصمتها صغانيان^(١).

ولم تكن هناك حدود ثابتة لهذه الممالك، بل كان العدوان بينها يكاد يكون مستمرًا^(٢)، وهذه هي الممالك التي فتحها المسلمون في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان^(٣) (٨٦-٩٦هـ)

بقيادة البطل الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلي^(٤)، وإضافة إلى عدة أقاليم شرقي نهر سيحون (فرغانة، والشاش، وأشروسنة)^(٥).

▣ سابعاً: النشاط الاقتصادي لسكان آسيا الوسطى:

مما لاشك فيه أن النشاط الاقتصادي لإقليم ما وراء النهر يتحدد طبقاً لطبيعة الإقليم، وطبيعة سطحه، ومناخه، ويتميز إقليم ما وراء النهر عن غيره من الأقاليم بتنوع طبيعة السطح بين المناطق الجبلية والسهول والصحارى؛ ولذلك

(١) ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص١٩٧، ٣٤٦، ٣٩٥، ج٣ ص٤٠٨، ٤٠٩؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية "عصر الخلفاء الأمويين"، ج٢، ص٢٠٩: ٢١٣.

(٢) د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الاسلامي في العصر الأموي، ص٣٤٢.

(٣) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولد حوالي سنة ٥٠هـ، وتوفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٣، ٧٣٤، ج٤ ص٢٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٦٨.

(٤) هو قتيبة بن مسلم الباهلي، أمير الري ثم خراسان كلها. ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٤٠٦، ٤٠٧.

(٥) د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص٣٥.

نجد نشاط السكان قد تنوع بين الزراعة والرعي واستخراج المعادن والصناعة والتجارة^(١).

فيزرع في الإقليم الجوز واللوز^(٢)، والأخشاب، والورد والبنفسج، وأنواع كثيرة من الفواكه ذات الشهرة الكبيرة، خاصة العنب والذي يصنع منه النبيذ والزبيب^(٣)، وكذلك البطيخ^(٤)؛ كما كانوا يزرعون القطن أيضا^(٥)، ويصدرون المنسوجات القطنية إلى كل مناطق غربي آسيا، كما كانت بخارى أولى مدن هذا الإقليم سوقاً رئيسياً تلتقي فيه تجارة الصين وآسيا الصغرى، كذلك كانت مركزاً مهماً للصيرفة يستبدل فيها سكان آسيا الشرقية والغربية سكتهم بواسطة أهلها^(٦).

وكذلك يوجد الرعي في إقليم ما وراء النهر، حيث ترعى الأغنام، والإبل والحمير، ولقد أشار ابن حوقل إلى كثرة السوائم ومراعيها في إقليم ما وراء النهر^(٧).

(١) الاصلطخري: المسالك والممالك، ص ٢٦١، ٢٦٢؛ وينظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٤، ٣٨٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٣) ينظر: الاصلطخري: مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٤) البَطِيخُ: نبات عُشْبِيٌّ حَوْلِيٌّ مُتَمَدِّدٌ، يزرع لثماره في المناطق المعتدلة والدافئة، ثمرة كروية، كبيرة، أو مستطيلة ومنه أصناف كثيرة، والعامية تفتح الأول فتقول: (بَطِيخُ)، والكسر أصح. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٣ ص ٩؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٣١٨.

(٥) المقدسي: مرجع سابق، ص ٢٨٤.

(٦) شرين عبد المنعم حسانين: مسلمو تركستان والغزو الروسي، ص ١٣.

(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٥.

كما تقوم بلادهم العديد من الصناعات مثل صناعة المنسوجات، وخاصة القطنية، والحريية وكذلك صناعة الأواني الفخارية، وكذلك الصناعات الحديدية من سيوف ودروع وقسي، وخاصة في إقليم خوارزم^(١).

ونتيجة لتوافر الموارد الزراعية، والمحاصيل، والصناعات؛ يعتبر إقليم ما وراء النهر من أهم الأقاليم التجارية؛ حيث تمثل التجارة مكانة كبيرة بين اقتصاد ونشاط هذا الإقليم^(٢).

ولقد نال شهرة عظيمة عبر التاريخ، باعتباره همزة الوصل على طريق الحرير للتبادل التجاري بين الشرق والغرب^(٣)؛ فكان أهل بخارى والصغد في القرنين الخامس والسادس الميلاديين يسرون بقوافل الحرير عبر الإمبراطورية الساسانية^(٤) إلى شرق بلاد الإمبراطورية الرومانية، وحين شق العرب بعد ذلك

(١) ينظر: المقدسي: أحسن التقاسيم، مرجع سابق، ص ٣٢٧؛ الاضطخري: مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٢) مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى، التراث الحضاري الإسلامي ص ١٨.

(٣) محمود طه أبو العلا: الآثار الاقتصادية لنهرى جيحون وسيحون في آسيا الوسطى، ص ٩؛ محمد رضا جليلي، تيري كيلنر: جيو-سياسة آسيا الوسطى، ص ١.

(٤) وتنسب إلي ساسان الذي كان سادناً (خادماً أو خازناً) لبيت نار باضطخر، وأسس تلك الدولة حفيده أردشير بن بابك سنة ٢١٢م ومدة ملكة أربعة عشر سنة، ثم ضمت جميع فارس وخراسان وخوارزم، وتتابع علي عرشها ٣٥ ملكاً آخرهم يزدجرد الثالث. ينظر: د/ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٤؛ كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص ٧٤، ولقد عانى الساسانيون منذ القرن السادس من هجرات وغزوات الشعوب التركية، وخاصة بعد قيام إمبراطورية الترك التي كونها Twmen،... وبذلك تجاوزت أراضي المسلمين مع أراضي الأتراك الغربيين؛ وكان علي العرب تأمين حدودهم ضد الخطر التركي، إلي جانب أن المسلمين رأوا فيهم أرضاً خصبةً لنشر الدعوة

طريقهم عبر جيحون، وجدوا هناك نشاطاً زراعياً وصناعياً كثيراً ومهماً^(١)؛ لذا كانت مدنه ذات أهمية تاريخية، ولكن بعد أن تحولت التجارة العالمية إلى الطريق البحري في بداية القرن السادس عشر، ذهب عنه الرخاء وأسدل الستار على أهميته العالمية^(٢).



الإسلامية؛ لبقاء غالبيتهم علي وثنيته. د/ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ٢٧.
 (١) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ١٦٤؛ شرين حسانيين: مسلمو تركستان، ص ١٣.
 (٢) محمود طه أبو العلا: الآثار الاقتصادية لنهرى جيحون وسيحون، ص ٩؛ مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى: التراث الحضاري الإسلامي، ص ١٤.



المبحث الثاني: الإطار التاريخي لآسيا الوسطى

أولاً: أهم اللغات الشائعة في آسيا الوسطى:

كان لكل قبيلة بدوية أو حضرية لهجتها، فحدث اختلاف كبير جداً بين اللهجات الدارجة، إلا أنهم استخدموا فيها لغة واحدة هي اللغة التركية نظراً لتزايد سياسة التتريك في آسيا الوسطى؛ حيث كان الكثير من القبائل التركية، التي كان لها علاقات تجارية واسعة مع الصغد والخوارزميين والفرغانيين^(١).

ونظراً للحياة القبلية التي عاشتها شعوب آسيا الوسطى، فقد اختلطت اللغة بسمة قبلية فكثرت اللغات المحلية إلى جانب اللغة التركية والفارسية، ثم تغلغت اللغة الآرامية التي أصبحت أساس اللغتين الصغدية والخوارزمية، إلا أن التركية ظلت هي اللغة الرسمية^(٢).

كما وفدت إلى هذه الأقاليم شعوب ناطقة باللغة الإيرانية نزحت من إيران إلى جنوب آسيا الوسطى، إلا أن اللغة التركية كانت هي السائدة، لأن الأتراك قد قاموا بدور مهم وجوهري في تاريخ السلالات البشرية في آسيا الوسطى، والتي

(١) بوريبوي أحمدوف: العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ١٦، ١٧؛ وينظر: د/ سعيد أحمد

سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٣٣.

(٢) بوريبوي أحمدوف: العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ١٨.

أصبحت المقر الشتوي للأتراك حتى حدود الصين؛ والدليل على ذلك أن أغلب الأسماء حملت أسماء تركية مثل (سمرقند) أي مدينة المسرات، وطشقند، وقندهار، وكلمة (قند) باللغة التركية تعنى (مدينة) لأن الأتراك هم الذين بنو هذه المدن وقاموا بتقسيمها^(١)، ولا تزال تحمل نفس الأسماء حتى اليوم.

ثانياً: الحياة السياسية في آسيا الوسطى قبل الإسلام:

تعاقب على حكم آسيا الوسطى قبل الإسلام الكثير من الدول، فقد كانت المنطقة ميداناً للصراع السياسي بحكم موقعها الجغرافي، ومواردها الاقتصادية الكثيرة.

ومن الدول التي حكمت آسيا الوسطى قبل الإسلام:

١. الدولة الأخمينية^(٢): والتي انتهى حكمها في آسيا الوسطى بقدم المقدونيين سنة ٣٣٠ ق.م، وكانت دولة الأخمينيين دولة ظالمة عانى سكان آسيا الوسطى في ظلها الظلم والاستبداد وسلبوا سكانها ثرواتهم الطائلة، وهي دولة فارسية^(٣).

(١) بوربيوى أحمدوف: العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ١٩، ٢٠؛ وينظر: أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية، ص ٢٢.

(٢) والأخمينيون: قوم من بلاد فارس، ظهروا علي المسرح الدولي في القرن السادس قبل الميلاد بزعامة ملكهم قورش الإخميني؛ الذي استطاع توحيد بلاد فارس، وتوسيع سلطانهم علي جميع الأقطار الواقعة في شمال إيران. ينظر: د/ أحمد أمين سليم: دراسات في حضارة الشرق الأدنى، ص ٣٦٤، ٣٦٥.

(٣) ينظر: لطفي عبد الوهاب يحي: تاريخ اليونان، ص ٢٨:٢١؛ د/ شوقي أبو خليل: الحضارة

٢. الدولة المقدونية: وهي دولة الإسكندر الأكبر المقدوني^(١) الذي اتجه نحو آسيا الوسطى سنة ٣٣٤ ق.م، فألحق عدة هزائم بالجيش الفارسي الأخميني؛ إذ دمر خيرة فرسانه، وأسر زوجات الملك الفارسي "دارا الثالث" وأفراد أسرته، واستسلمت له المدن، ثم احتل مصر وفارس وسمرقند، وواصل خلفائه بعد وفاته سنة ٣٢٣ ق.م فتوحاتهم في آسيا الوسطى، وقد جلب المقدونيون إلى آسيا الوسطى ثقافتهم الرفيعة علمياً، المعروفة بالثقافة الهيلانية، وبنو المدن كالإسكندرية، وشيدوا العمارات الشاهقة، وساعدوا على تطوير العلاقات بين الشرق والغرب^(٢).

٣. دولة فرغانة: وهي بلاد عريقة تقع في وادي فرغانة الرحب المترامي الأطراف، وتحيط به من جهات ثلاث السلاسل الجبلية، ويحتل وادي فرغانة - بفضل مناخه الجيد وخصوبة أراضيه وموقعه الجغرافي^(٣) - مكانة هامة جداً اقتصادياً واستراتيجياً؛ مما أدى إلى ربط الصين ببلدان إيران وآسيا الوسطى وبلاد الغرب وأوروبا، وكان لا يزال هذا الإقليم أهم مراكز آسيا الوسطى الاقتصادية، ولهذا كونت فيه دولة حكمت آسيا الوسطى مدة طويلة^(٤).

العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص ٦٦.

(١) واسم الإسكندر باليونانية الكسندروس بن فيلفوس، ويقال هو ذو القرنين استولى على ملك فارس ونصب ملوك الطوائف وكانوا تسعين ملكاً في كل بلد ملك. الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ١٠١.

(٢) ينظر: عبد اللطيف أحمد على: اليونان، ص ١١٩: ١٢١؛ د/ حسين فهد حماد: موسوعة الآثار التاريخية، ص ١٠.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٨٧.

(٤) بوربيوي أحمدوف: العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ٢١، ٢٢.

٤. دولة كاستان: كانت دولة كبيرة ضمت في مراحل ازدهارها (ق ١ ق.م) معظم أراضي آسيا الوسطى، وأفغانستان، وشمال الهند، والجزء الغربي من باكستان الحالية^(١).

٥. الخاقانية التركية: هي مجموعة من الإمارات التي واجهت المسلمين في أثناء فتح آسيا الوسطى^(٢).

وقد كان الترك بدوًا في حياتهم الأولى؛ لذا أمعنوا في البداوة، وأهملوا الزراعة، التي لم يعرفوها في بلادهم إلا قليلاً، وكانت هذه الشعوب التركية ليس لها نظام سياسي واقتصادي ثابت؛ فالبدو عادة لا يفكرون في أن تضمهم رابطة سياسية غير رابطة القبيلة، وتجري أمورهم طبقاً للعرف الذي تولده علاقات العشائر بعضها ببعض، ولم تكن للأتراك مدنية وحضارة قديمة كالفرس، إذ كانوا بدوًا أو أشبه بالبدو، جاءوا إلى الشرق الإسلامي بعاداتهم وتقاليدهم، لا بحضارتهم وثقافتهم، فقد كانوا من ناحية الحضارة قابلين لفاعلين^(٣).

ولكن الشعب التركي الذي سيطر على منطقة آسيا الوسطى في القرن السادس الميلادي بدأ يكون سلسلة من الإمارات التركية المستقلة التي انفصلت عن القسم الشرقي من عالم الترك^(٤).

وأهم ما يلاحظ أن الشعب التركي في هذه الفترة كان شعبًا محاربًا من

(١) بوريوي أحمدوف: العرب والإسلام في أوزبكستان، ص ٢٤، ٢٥.

(٢) ينظر: بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ٥٣.

(٣) ينظر: بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ٢٠، ٢١.

(٤) د/ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٣٦.

الطراز الأول وكان لا يزال متمسكاً بالتقاليد البدوية القديمة، وقد شهدت البلاد سيطرة الإقطاعيين، من ملاك الأرض الذين عرفوا الدهاقين^(١) على الأوضاع الاقتصادية، وكانوا هم الحكام المحليون^(٢).

وقد شهدت البلاد قبل قدوم الفاتحين صراعاً طبقياً عنيفاً بين العامة والدهاقين النبلاء، وكانت الهوة بينهم سحيقة، وقد وجد العرب فعلاً إمارات صغيرة متحاربة باستمرار^(٣).

ولم يكن هؤلاء الأمراء تجمعهم بالدهاقين رابطة سياسية واحدة بل غلب على ديار الأتراك التفكك السياسي والصراع الداخلي، وقد عقد العرب أوامر الصداقة مع طبقة الدهاقين، وأفادوا من انقسامهم إلى أبعد الحدود^(٤).

وجد العرب - إذًا - مجتمعاً تركياً انفصل أتراكه الشرقيون عن الغربيين، وتفككت الوحدة السياسية بين الإمارات التركية المتنازعة؛ كما افتقدت البلاد الوحدة المذهبية التي تهيئ الحافز القوي للنضال والاستماتة في الدفاع.

ولقد حدث ذلك في الوقت الذي توطد فيه النفوذ العربي في إيران، واستقر

(١) الدهاقين: جمع (دهقان) وهو فارسي معرب يعني شيخ البلد، أو خادم النار. ابن خلدون: مقدمة بن خلدون، ص ٢٢٤، حاشية رقم ٤، ويعني أيضاً: رئيس الإقليم، القوي المتصرف، وهم الأشراف المحليون. سميرة عماد محمد إسماعيل: الحياة الاجتماعية في مدن العراق، ص ٥، حاشية رقم ٣.

(٢) ينظر: حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٣٦.

(٣) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص ١٨٢؛ وينظر: حسن محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٣٧.

(٤) حسن محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٣٧.

بهم المقام في خراسان، وأصبحت خراسان تُعْرَأُ إسلامياً، يناوش الأتراك ويحاربهم، ويشيع الفرقة بينهم، ولا يعطى الإمارات فرصة التجمع في جبهة تركية موحدة، كما أَلَفَ العرب طبيعة البلاد، وطبيعة القتال، في هذه الأجواء قارسة البرد^(١).

▣ ثالثاً: الحياة الدينية في آسيا الوسطى قبل الإسلام:

أما عن أحوال آسيا الوسطى الدينية الأولى؛ فقد عرفت المنطقة العديد من الديانات منها: (البوذية^(٢))، والمانوية^(٣)،

- (١) حسن محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٣٨.
- (٢) أما العقيدة البوذية فتدعوا إلى الزهد وتطهير النفس وقتل الشهوات، وترجع إلى مؤسسها بوذا، وقد تطورت هذه الديانة بعد موت بوذا إلى الاعتقاد بألوهيته، حيث صنعوا له تماثيل انتشرت في معابدهم وعبدوها فتوجهوا إلى عبادة الأصنام والأوثان. د/ هدى دروي: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢١؛ وينظر: موسوعة الأديان في العالم، ص ٢٠١، ٢٠٤، وقد عثر في وادي باميان (في أفغانستان) على تماثيل لـ "بوذا" يبلغ ارتفاعه ٥٣ متراً، وتماثل آخر طوله ٣٥ متراً وحول كل منهما عدد من الصوامع المنحوتة في الصخور ومحلاة بالرسوم البديعة. فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، ص ٢٠.
- (٣) المانوية: وتنسب إلي مصلح يسمي ماني، ظهر في المدائن أيام سابور الأول، وكانت دعوته تجمع بين تعاليم اليهودية والمسيحية والمجوسية. ينظر: د/ شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، ص ٧٢، كما كانت المانوية ترمي - كالبوذية تماماً - إلى أن تنتشر بين جماهير الشعب، وكانت تعاليم الزهد في الديانة تتجه ضد نظام الطبقات الذي كانت تحتفظ به الديانة الزرادشتية، وكانت هذه الديانة قريبة الشبه بالديانة البوذية، فكانتا تتقاربان في استخدام المصطلحات الخاصة بنصوصهم الدينية، كما يغلب على العقيدة المانوية طابعها التشاؤمي. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ٧١، ٧٢؛ السيد محمود أبو الفيض: الدين المقارن، ص ١٠٠.

وكذلك الزرادشتية^(١)، القادمة من بلاد الفرس؛ كما عرف الترك الديانة المسيحية التي حملها لهم المنصرون في القرنين الرابع والخامس الميلادي^(٢)، وكان لها بعض النشاط قبل الإسلام وكان معتنقوها يعرفون في مناطق ما وراء النهر بالكشكوشان، وكانوا يشتغلون بالتجارة^(٣).

ويذكر النرشخي "أنه كان يقوم ببخارى كل عام حتى بعد الإسلام سوقان كبيران للدمى والصور^(٤)"؛ مما يؤكد وجود عبادة الأوثان والأصنام ببخارى^(٥)، ولم تشهد البلاد ما يمكن أن نسميه بالدين الرسمي للدولة، على الرغم من أن الطبقة الحاكمة كانت الزرادشتية، وكانت المذاهب التي ظهرت في إيران تجد لها ملاذًا في بلاد ما وراء النهر؛ ويبدو أن حرية العقيدة هذه قد

(١) الزرادشتية: وتنسب هذه الديانة إلي مؤسسها زرادشت الذي عاش في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وقد عرف المسلمون مذهبه باسم المجوسية، وهم الذين قالوا بوجود إلهين اثنين قديمين مدبرين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر، يسمي أحدهما وهو النور باسم "يزدان" والآخر وهو الظلمة باسم "أهرمن" ويظل هذان الإلهان في حالة صراع حتى ينتصر إله الخير أو النور على إله الشر أو الظلمة، وكان لهذه الديانة انتشار كبير في إيران. ينظر: د/ عبد الحميد مذكور، د/ أحمد محمد جاد: مقدمة في علم الكلام، ص ١٥٤؛ عبد القادر عبد السميع أبو العزم: الديانة الزرادشتية من أسفارها، ص ٩.

(٢) ينظر: د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٣٤.

(٣) أحمد محمود الساداتي: محاضرات في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق ص ١٦٥، كما انتشرت العقيدة الكونفوشيسية - ديانة الصين وشرق آسيا - وتنسب إلى مؤسسها كونفوشيوس، وهي عقيدة شفهية غير مكتوبة تدعوا للفضيلة. أ.د/ علي عبد العال ربيع: حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ج ٢ ص ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨.

(٤) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٤٠.

(٥) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٤٠؛ أحمد محمود الساداتي: محاضرات في التاريخ الإسلامي (شعبة آسيا)، ص ١٦٥.

أبيحت للبوذيين واليهود وغيرهم، ورأت البلاد صراعاً غير عنيف بين أصحاب هذه العقائد، ولهذا لم يقيم رجال الدين بدوراً يذكر في معارضة الفاتحين العرب^(١).

▣ رابعاً: الحياة الاجتماعية في آسيا الوسطى قبل الإسلام:

لقد كان يقطن آسيا الوسطى عند قدوم العرب الفاتحين عناصر سكانية متعددة إيرانية وتركية وصينية ومغولية، ولكن ساد العنصر التركي بعد ذلك، كما ظهر الصينيون في هذه البلاد في القرن السابع الميلادي.

وقد اتخذت الحياة الاجتماعية في آسيا الوسطى قبيل الإسلام مظاهر خاصة، حيث ساد في المجتمع التركي التقاليد والأعراف البدوية الأمر الذي يفسر لنا ظاهرة العنف عند الأتراك. وتصف المصادر الترك في تلك النواحي بأن بأسهم شديد، وشوكتهم لا نظير لها، ورماة مهرة؛ الأمر الذي أسهم في خلق انطلاقة جهادية تركية في ظل الإسلام^(٢).

وكما سبق القول فقد ظهر ما يسمى بالإمارات التركية، سيطر عليها الدهاقين ومعهم التجار وأصبحوا هم الحكام، وكان أغلب شعوب آسيا الوسطى مزارعيهم وخدمهم.

وكان ملوك آسيا الوسطى من الدهاقين وعلى رأسهم خاتون بخارى وابنها

(١) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ٢٩٧، ٢٩٨ بتصرف يسير؛ وينظر: د/ حسن أحمد محمود:

الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٣٧.

(٢) ينظر: الاصلحوى: المسالك والممالك، ص ١٦٤؛ وابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٧.

طغشادة يقتنون المعادن النفيسة فضلاً عن حوزتهم الذهب والفضة وإقامتهم في القصور والقلاع، وكان القصر أشبه بقلعة حصينة يحرسها الحراس وتحيط بها الأسوار^(١).

❏ خامساً: الحياة الثقافية في بخارى قبل الإسلام:

مما لا شك فيه أن الظروف البيئية والسياسية أسهمت في إبراز نشاط ثقافي في أقاليم آسيا الوسطى، فالحياة الثقافية تعكس التطورات السياسية التي شاهدها تلك البلاد، فضلاً عن آثار أفرزتها العوامل الجغرافية؛ فالشعب التركي - بحكم موقعه - كان يستقبل تيارين وثقافتين أولهما - وفق التسلسل الزمني ومدى تأثير العامل البيئي - تيار وافد من إيران، وثانيهما من الصين، وكان لهذين التيارين أثر بالغ في تطور الحياتين الثقافية والدينية في أقاليم آسيا الوسطى^(٢).

أدى ذلك مثلاً إلى رواج اللغة الفارسية وانتشار العادات الإيرانية بجوار لغات تلك الأقاليم كلغة الصغد، وخوارزم وغيرها؛ ولهذا ظلت الآداب والرسوم الإيرانية غالبية في مدن آسيا الوسطى، وأقبلت عليها شعوبها^(٣).

ويتجلى أثر العامل الجغرافي فيما انطوت عليه الحياة الثقافية في آسيا الوسطى من مؤثرات دينية وافدة بدافع من النفوذ الإيراني ثم الصيني، فالديانة الزرادشتية تعكس أثراً إيرانياً، وكانت البوذية وغيرها من عقائد الصين تعكس

(١) ينظر: الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٧، ٨، ١٠، ٢٣.

(٢) محمد أحمد محمد: بخارى في صدر الإسلام، ص ١٨.

(٣) أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٢٨.

الأثر الصيني^(١).

كما انتشرت بيوت النيران في آسيا الوسطى، وكان سكانها يوقدون النار على ما جرت به العادة منذ القدم قبل بدء كل عام جديد وحلول الربيع^(٢).

وراجت المسيحية في آسيا الوسطى قبل الإسلام، وسرعان ما كتب لها الرواج الأكثر في القرن السادس الميلادي، حيث كان يفد عليها التجار المسيحيون بتجارتهم عبر طريق الحرير^(٣)، وأسهموا في نشر المسيحية^(٤)؛ والدليل على ذلك أن العرب أدركوا الكنائس بداخل مدن آسيا الوسطى حين قدموا فاتحين.

ومن خلال ما سبق فقد اتضح جلياً أن العرب حين قدموا إلى هذه البلاد فاتحين، وجدوا مجتمعاً تركياً متفككاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً؛ فضلاً عن افتقاره إلى الوحدة المذهبية؛ الأمر الذي كان من شأنه أن ييسر على العرب الفاتحين المسلمين أمر فتح هذه البلاد.



(١) محمد أحمد محمد: بخارى في صدر الإسلام، ص ١٩.

(٢) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٤٠.

(٣) طريق الحرير: وهو طريق قديم يمتد من بحر قزوين إلى نهر أموداريا شمال البامير، إلى ممر يوصل إلى مدينة كشمير على نهر تاريم أو مدينة يرقند في جنوبها، ومن أيهما إلى وادي نهر هوانج بالصين. أ.د/ يس محمد مراد: موضوعات في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢٢.

(٤) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٦.

المبحث الثالث

بداية معرفة آسيا الوسطى للدين الإسلامي

أولاً: آسيا الوسطى في عهد الراشدين:

اختلف المؤرخون حول تاريخ دخول الإسلام بلاد آسيا الوسطى - وإن كانوا لم يختلفوا في مجمل أحداثه - ف قيل في سنة (١٨هـ)^(١)، وقيل في سنة (٢٢هـ) وهذا هو المشهور^(٢).

فبعد أن هزم المسلمون كسرى في القادسية عام (١٤هـ / ٦٣٥م) ثم في المدائن عاصمة ملكه عام (١٦هـ) في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه انطلقت جيوشهم تغزو في أرض الإمبراطورية الفارسية وتطارد يزدجرد كسرى فارس وما بقي من قواته^(٣)، واستمر صراع المسلمين مع الفرس على الجبهة الشرقية حتى عام ١٨هـ^(٤)، وقيل حتى عام (١٩، أو ٢١هـ) عندما وقعت معركة نهاوند (فتح الفتوح)^(٥).

-
- (١) جاء ذلك في رواية سيف بن عمر، ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٦٠١.
 (٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧ ص ١١٤.
 (٣) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٠٢: ٣٠٧؛ د/ حلمي عبد المنعم صابر: نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين، ج١ ص ١٨٥، ١٨٦.
 (٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢ ص ٤١١.
 (٥) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٦٠١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٤٩؛

وبعدها أصدر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوامره إلى المسلمين بالانسياح في بلاد فارس^(١) بعد أن نكث أهلها، وانتفضوا، إثر فرار يزدجرد الثالث^(٢) إلى مرو^(٣) بعد هزيمة جلولااء سنة (١٦هـ)^(٤)، ومكاتبته من خضع

- أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ج١ ص ١٢١.
- (١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢ ص ٣٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٢ ص ١٢٠، ١٢١.
- (٢) هو يزدجرد بن شهريار، جلس على العرش سنة ٦٣٢م وهو ابن ٢١ سنة، تولى بعد أن تدهورت أحوال الدولة إلى جانب أنه كان غير محنك. ينظر: أحمد عادل كمال: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ص ٣١١.
- (٣) لمرو أسماء كثيرة: أشهرها علي الإطلاق "مرو" أو "مرو الشاهجان" تفريقاً بينها وبين "مرو الروذ" أو "مرو الصغرى"، فإذا أطلق اسم مرو بلا تقييد فهي "مرو الشاهجان" أو "مرو الكبرى". ينظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٣٢؛ أمين واصف بك: الفهرست، ص ٩٨، ومعنى "مرو الشاهجان": مرح نفس الملك، أو روح الملك. البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص ١٢١٧، وأما تفسيرها باللغة العربية فمعناها "الحجارة البيض" التي يضرم بها النار. الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص ١٠١؛ الفيومي: المصباح المنير، ص ٢١٨، وفي معجم المصطلحات الجغرافية: أن مرو ترادف "الكوارتز"، ذلك المعدن الحجري المعروف. يوسف توني: معجم المصطلحات الجغرافية، ص ٤٥٨، ومن ألقابها التي تدل علي عظم شأنها ورفعة مكانتها: "بيضة خراسان"، و "عين خراسان"، و "أم خراسان". ينظر: الثعالبي: التوفيق للتلفيق، ص ١١٦؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٢٥٥، وفي العصر الحديث قال عنها فامبري: "مرو ملكة الدنيا". أرمينوس فامبري: تاريخ بخارى، ص ٧٣. وتقع مرو في الجزء الشمالي الشرقي لإقليم خراسان، الذي كان يتألف من: مرو، و نيسابور، وهراة، وبلخ، كما ينسب إلي مرو هذه كثير من أهل العلم والفضل ذكرهم العلماء وتحذثوا عنهم كثيراً في مؤلفاتهم، وهي التي اتخذها الأمير قتيبة بن مسلم كقاعدة لانطلاق غزواته.
- (٤) ينظر تفاصيل هذه الموقعة: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ج٢ ص ٤٦: ٥٢، وتقع مدينة جلولااء شمال شرق العراق، وهي قريبة من خانقين. آمنة أبو حجر: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٢١٤.

للمسلمين منهم، فخرج الأحنف بن قيس^(١) بأهل البصرة إلى خراسان^(٢)، ودخل مرو، ففر يزيدجرد إلى بلاد الترك، وظل يكتاب أهل خراسان ويكاتبونه حتى كفروا وانتفضوا في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه - الخليفة الثالث -^(٣)،

ثم رجع إلى فارس مرة أخرى فلما كان بكرمان^(٤)، وجه إليه عبد الله بن عامر^(٥) مجاشع بن مسعود رضي الله عنه^(٦) فهرب يزيدجرد مرة أخرى إلى مرو حيث رفض مرزبانها^(٧) إعطائه مالاً، وقتل من معه من الرجال، فهرب يزيدجرد على

(١) اسمه: الضحاك بن معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر البصري، وأمه من بني قراض من باهلة، ولدته وهو أحنف، والأحنف لقبه، ويكنى أبا بحر، وهو من كبار التابعين، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقدم على عمر بن الخطاب بالمدينة، وروي عن النبي أنه دعا له، وكان مضرب المثل في الحلم، وهو محدث ثقة روى له الجماعة، (ت ٦٧هـ) وقيل (ت ٧٢هـ). ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١، ص ١٢٣.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧ ص ١٢٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٢ ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٦٣٦.

(٤) كَرْمَان: وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٥٤.

(٥) هو عبد الله بن عامر بن كريز، من كبار الشجعان وأجواد الإسلام، تفل النبي صلى الله عليه وسلم في فمه - أي حنَّكه - وهو ابن ثلاث سنين، وهو الذي دعا طلحة والزبير إلى البصرة في موقعة الجمل، ولاه عثمان ثم معاوية البصرة، وهو فاتح خراسان، وأحرم من نيسابور شكراً لله، وهو محدث ثقة (ت ٥٩هـ). ينظر: الزبير: نسب قريش، ص ١٤٧، ١٤٨؛ خليفة: الطبقات، ص ٢٢٦.

(٦) هو مُجَاشِع: بن مسعود بن ثعلبة بن وهب السلمي، وهو صحابي جليل، قتل يوم الجمل سنة (٣٦هـ). ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب، ج٢ ص ٢٣٦.

(٧) المَرزُبَان: وهو لقب يطلق على رؤساء الفرس واختص به ما وراء النهر للملوك من وراء الأطراف، ومعناه "حافظ الحد" أو "صاحب الحد". ينظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ٧٠؛ الجواليقي: المعرب في الكلام الأعجمي، ص ٣١٧.

شط نهر المرغاب حيث أوى عند نقار فقتله ليلاً^(١) وألقى جسده في المرغاب^(٢).

فلما جاء ابن عامر إلى خراسان^(٣) أرسل إلى مرزبان مرو يسأله الصلح، فوجه إليه حاتم بن النعمان الباهلي فصالحه على ألفي ألف ومائتي درهم، وقال بعضهم: ألف ألف درهم ومائتي ألف جريب^(٤) من بر وشعير، وقال بعضهم: ألف ألف ومائة ألف أوقية^(٥)، وقيل: صالحه على وصائف ووصفاء ودواب ومتاع، وكان في صلحهم أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم وأن عليهم قسمة المال وليس على المسلمين إلا قبض ذلك؛ وكان فتح مرو كلها صلحاً إلا قرية

(١) وبهلاكه وضع الفرس السلاح الذي ظلوا يحاربون به العرب نحو من عشرين عاما لاستعادة استقلالهم واسترجاع أمرهم، ولكنهم استخدموا سلاحاً آخر أمضى من آلات الحروب، وهو سلاح السياسة والدهاء والاختلاق تفريقاً لوحدة الأمة الإسلامية؛ مما كان له أثره بعد في عصر العباسيين. ينظر: د/ أبو زيد شلبي: الخلفاء الراشدون، ص ١٦٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ١٥، والمرغاب: نهر مرو عليه ضياع متقنة، ومنتزهات حسنة، ومسكن متحصنة. المقریزی: جني الأزهار من الروض المعطار، ص ١٠٢، ومعني المرغاب: (مروآب) أي ماء مرو، وقيل مرغاب اسم المكان الذي يخرج منه النهر، لكنه بعيد. ينظر: الاضطخري: المسالك والممالك ص ١٤٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٦٥.

(٣) ذهب بعض المؤرخين أن ابن عامر أول من غزا خراسان، وأن عمر بن الخطاب لم يأذن للأحنف، وأنه رفض طلبه. ينظر: الواقدي: فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، ص ١١٨؛ ابن أعثم: الفتوح، ج ٢ ص ٧٧.

(٤) الجريب: يساوي (٩٧/٩٢) كيلو جرام عند الجمهور. ينظر: د/ علي جمعة: المكييل والموازن الشرعية، ص ٢٨.

(٥) الأوقية: أجمع العلماء على أنها تساوي: أربعين درهماً، أي ما يساوي (١١٩) جرام تقريباً عند الجمهور. ينظر: د/ علي جمعة: المكييل والموازن الشرعية، ص ١٥، ١٦.

سنج فإنها أخذت عنوة^(١).

وقد عبر "الأحنف بن قيس" نهر جيحون فصالحه أهالي بلاد ما وراء النهر واستخلف "قيس بن الهيثم"^(٢)، على هذه البلاد^(٣).

وعلى الجملة فقد أمكن خلال أعوام ثلاثة الإحاطة بالهضبة الفارسية بداية من جبال الأهواز^(٤) ومرورًا بهمدان^(٥) والري^(٦)، وأصبهان^(٧) وأبهر^(٨) وقزوين^(٩).....

-
- (١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣ ص ٢٠ بتصرف يسير؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٥.
- (٢) هو قيس بن الهيثم بن الصلت، يكنى أبا كثير، ذكره البخاري وقال له صحبة، شهد مع ابن عامر أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٤٦؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج٧، ص ١٤٥.
- (٣) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٥، ٤٤٦؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٢٧٣.
- (٤) الأهواز: كورة بين البصرة وفارس. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٢٨٥.
- (٥) هَمْدَان: قيل: سميت بهمدان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام، وقال بعض علماء الفرس كانت همدان أكبر مدينة بالجبال وكانت أربعة فراسخ في مثلها. ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ٤١٠.
- (٦) الرِّي: جنوب بحر قزوين وشمال شرق همدان (في موضع طهران العاصمة الإيرانية حاليًا) وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص ١١٦.
- (٧) أَصْبَهَان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزو حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٢٠٦.
- (٨) أَبْهَر: أيضًا مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمدان من نواحي الجبل، والعجم يسمونها أوهر. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٨٢.
- (٩) قَزْوِين: وهي مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخًا وإلى أبهر اثنا عشر

وقومس^(١) وجرجان^(٢)، وطبرستان^(٣) وإصطخر^(٤) ونهاية بأقاليم مكران^(٥)

في الجنوب وسجستان^(٦) في الشرق^(٧)؛ لكن حجم القوات الإسلامية لم يكن يتناسب أبداً مع اتساع المساحات الجغرافية التي تم فتحها، ثم جاء بعد

فرسخاً. ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٣٤٢.

(١) قُومِس: وهي كورة كبيرة واسعة، تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان وأكبر ما يكون في ولاية ملكها، وهي بين الري ونيسابور، ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار. ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٤١٤.

(٢) جَرَجَان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه، وبعض يعدها من هذه، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين. ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص١١٩.

(٣) طَبْرِسْتَان: وهي بلدان واسعة كثيرة، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقهاء، وكانت طبرستان في القديم موطناً ومعقلاً وملجأً للأكاسرة والجبابرة، وبسبب حصانتها المنيعة ووعورة مضايقتها كانوا يرسلون إليها الخزائن والكنوز والذخائر. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص١٣؛ بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص٨٩.

(٤) إِصْطَخْر: والنسبة إليها إصطخري، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، قيل كان أول من أنشأها إصطخر بن طهمورث ملك الفرس. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٢١١.

(٥) مَكْرَان: وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى، وهذه الولاية بين كرمان من غربيها، وسجستان شماليها، والبحر جنوبيها، والهند في شرقيها. ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص١٨٠.

(٦) سَجِسْتَان: وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة، وهي جنوبي هراة، وأرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً، ولا تزال شديدة تدير رحاهم. ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص١٩٠.

(٧) بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٢٠؛ وينظر: د/ حسين طنطاوي: الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، ص٢١.

ذلك التمزق السياسي لوحدة العالم الإسلامي^(١) فزاد الأمر سوءاً، وتعطلت حركة الفتح الإسلامي، وأخذت أقاليم فارس في إعلان تمرداها وخروجها على المسلمين، وعندما استقر الأمر لمعاوية بذل جهده لإعادة الاستقرار إلى بلاد فارس^(٢).

وبالإضافة إلى ما سبق فقد كان هناك طريق آخر لدخول الإسلام في بلاد آسيا الوسطى وذلك من خلال أسرى الحرب، والعبيد، والجواري، والترك، الذين جلبهم العرب أثناء غزواتهم - التي كانوا يقومون بها في هذه المناطق - وقد أطلق على هؤلاء فيما بعد (الموالي)، وخرج من بينهم رجال الدولة والعلماء والفلاسفة، وقد تلقى هؤلاء تربية إسلامية صحيحة^(٣).

▣ ثانياً: آسيا الوسطى في العصر الأموي قبل الأمير قتيبة:

كان عبد الله بن خازم أول عمال خراسان تبعاً لابن عامر والى البصرة^(٤)، ثم ولاها ابن عامر: قيس بن الهيثم (٤٢هـ)، ثم عزله لأنه أبطأ بالخراج والهدية^(٥)، وولى ابن خازم مرة أخرى؛ لكنه عزل لما تولى زياد ابن أبيه^(٦)

(١) أيام الخليفة علي ومعاوية رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٢٧٣؛

١. د/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ٧١.

(٣) ينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٢٣.

(٤) يعقوبى: البلدان، ص ٥٧؛ الكرديزي: زين الأخبار، ص ١٧٠.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ج ٣ ص ٢١٥؛ د/ محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم

المالية للدولة الإسلامية، ص ١٨٢.

(٦) هو زياد ابن سمية: وهي أمه، قيل: هو زياد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد

البصرة (٤٥هـ) حيث جعل على مرو: أمير ابن أحمد اليشكري، وهو أول من أسكن العرب مرو^(١)، ثم عزل وولي مكانه الحكم بن عمرو الغفاري^(٢)، وتولى أمر خراج مرو، وغزا الحكم الصَّغَانِيَانِ^(٣)؛ فكان أول أمير شرب من النهر، وصلى خلفه، وأول أمير مات بخراسان سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م)^(٤)، ثم ولي زياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد الحارثي^(٥) سنة (٥١هـ)، الذي ازداد استقرار العرب في عهده بخراسان؛ حيث جاء ومعه خمسون ألف مقاتل بعيالهم^(٦) من

شمس بن عبد مناف، وهو المعروف بزياد ابن أبيه، وهو الذي استلحقه معاوية بن أبي سفيان، ولد عام الهجرة، وأسلم زمن الصديق؛ كان من دهاة العرب والخطباء الفصحاء، واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بعض أعمال البصرة، واستعمله معاوية على البصرة ثم انصرف إلي ولاية الكوفة لما مات المغيرة بن شعبة وبقي عليها إلى أن مات سنة ثلاث وخمسين. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص١٦؛ بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص٣٨٨.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٤٨؛ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص١٤١؛ وانفرد الكرديزي بجعل ولاية أمير بن أحمد في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: الكرديزي: زين الأخبار، ص١٦٦.

(٢) الحكم بن عمرو الغفاري: صحب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة حتى قبض، فتحول الحكم إلى البصرة، ثم ولاه زياد خراسان، فنزل مرو فلم يزل بها حتى مات (٥٠هـ)، وأوصى أن يدفن بقيوده ليخاصم زيادًا يوم القيامة. ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢ ص٣٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ج٧ ص١٢٥.

(٣) الصَّغَانِيَانِ: وهى ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمد. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٤٠٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣١١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٤٨.

(٥) هو الربيع بن زياد الحارثي البصري بن أنس بن الديان، روى عن عمر بن الخطاب، وكان متواضعًا خيرًا وقد ولي خراسان وفتح عامتها. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦ ص١٥٩؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ج١، ص٢٠٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٣٨؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات

بني خزيمة وبني تميم وبني بكر وغيرهم استعدادًا للحرب^(١).

وفي عام (٥٤هـ/ ٦٧٣م) تولى عبيد الله بن زياد^(٢) بعد أبيه فأرسله معاوية إلى خراسان فعبر نهر جيحون إلى بخارى^(٣) على الإبل؛ فكان أول عربي قطع النهر^(٤)، وكان عمره آنذاك ٢٥ سنة^(٥) فتوجه إلى بيكند فزحفت إليه قوات الترك تحت إمرة الخاتون^(٦) ملكة بخارى؛ والتي كانت تحكم نيابة عن ابنها القاصر طغشادة، فدارت رحى المعركة وانتصرت قوات المسلمين على قوات المشركين المجوس من الأتراك وفتحت "بيكند" و"رامئين"^(٧) واسترق عبيد الله بن زياد كثيرين^(٨) وأخذ أربعة آلاف من رقيق بخارى لنفسه، وكان هذا في

الإسلامية، ص ١٠٤.

(١) شرين عبد المنعم حسانين: مسلمو التركستان، ص ١٤.

(٢) هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه، أمير العراق أبو حفص، ولي البصرة سنة خمس وخمسين وله اثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان، فكان أول عربي قطع جيحون، وكان جميل الصورة، قبيح السريرة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥ ص ٤٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٦٧؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٤.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٦٧؛ كمال السعيد: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٢.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٩؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٣ ص ١٥.

(٦) الخاتون: أي ملكة، وهي كلمة وجدت في الآثار التركية ذات أصول، وهي كلمة صغدية شاعت بين الترك والمغول، وهي تعني (قاتون) أو خاتون، أي ملكة. ينظر: إبراهيم على البهي: التطورات الحضارية في خراسان، ص ١١٣.

(٧) رامئين: وهي قرية محكمة ذات حصن كبير، أقدم من مدينة بخارى، وهي مقام الملوك من قديم الزمان، وبعد أن أصبحت بخارى مدينة كان الملوك يشتون في هذه القرية وظلت كذلك في الإسلام. النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٢.

(٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٤٥؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٤.

آخر سنة ثلاث وخمسين وأول سنة أربع وخمسين (٦٧٢/٦٧٣م) (١) ثم توجهت القوات الإسلامية المنتصرة إلى بخارى عاصمة ملك الخاتون فحاصرتها فلما رأت الخاتون أنها لا تستطيع صد القوات الإسلامية أرسلت شخصاً وطلبت الأمان وتم الصلح على مليون درهم (٢)، وقدم عبيد الله بن زياد إلى البصرة ومعه خلق كثير من أهل بخارى الذين أسلموا وحسن إسلامهم فيما بعد (٣)، واتخذ ألفين من خيرة رماثهم في جيشه (٤)، وبذلك كان عبيد الله بن زياد أول من استخدم الأتراك في الجيوش الإسلامية (٥).

ولما عزل "عبيد الله بن زياد" من إمارة خراسان في سنة (٥٦هـ / ٦٧٥م) (٦) وصار سعيد بن عثمان (٧) أمير خراسان (٨)، عبر نهر جيحون فلما علمت الخاتون

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٤؛ د/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ٧٢.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٩.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٤؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٢٧٤.

(٤) تاريخ الطبري، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(٥) د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٧٤.

(٦) في معجم البلدان أن ذلك كان في سنة خمس وخمسين. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٤.

(٧) هو سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، توفي نحو سنة (٦٢هـ / ٦٨٢م)؛ نشأ في المدينة، وبعد مقتل أبيه وفد على معاوية فولاه خراسان ٥٦هـ / ٦٧٥م، ففتح سمرقند وأصبحت عينه بها، وعزل عن خراسان سنة (٥٧هـ / ٦٧٦م)، ولما مات معاوية انصرف إلى المدينة فقتله أعلام كان قد قدم بهم من سمرقند. النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٩، حاشية رقم ٣؛ وينظر: الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٩٨.

(٨) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٤؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٢ ص ٤٣٩.

بذلك حملت إليه الصلح^(١)، وقيل إنه وجدها قد نقضت العهد^(٢). وأقبل أهل الصغد والترك وغيرهم إلى سعيد في مائة وعشرين ألفاً فهزمهم الله^(٣)، ودخل سعيد بخارى فأعادت الخاتون الصلح بعدما ندمت عليه عندما وجدت أن جيوش الترك قد تجمعوا في جيش عظيم لقتال المسلمين^(٤)، ثم توجه سعيد إلى سمرقند ومعه قُثم بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه^(٥) ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم^(٦)، فقاتله أهلها قتالاً شديداً واشتد الجرح بالفريقين، حتى دله رجل على قصر فيه

- (١) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٩؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٣٥٥.
- (٢) د/ محمد على البار المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٥٢٧، ولعله أراد بذلك لَمَّا ندمت الخاتون على حمل الصلح إلى سعيد، عندما وجدت أن جيوش الترك قد تجمعوا في جيش عظيم لقتال المسلمين. ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٩.
- (٣) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠١؛ د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، دار البيان، ص ١٩٥.
- (٤) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٥؛ د/ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، ص ٢٨.
- (٥) هو قُثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ابن عمه العباس، من أم الفضل لبابه الهلالية أخت زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أسلم في وقت متأخر. حاذياً حذو أبيه - بعد فتح مكة، استعمله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والياً على المدينة (٣٦هـ/٦٥٦م)، وفي العام التالي عندما اختلف مع طلحة والزبير والسيدة عائشة ولاه على مكة والطائف، ويبدو أنه احتفظ بمنصبه هذا طوال خلافة ابن عمه ليحج بالناس عام (٣٨هـ/٦٥٩م)، وقصد سمرقند بصحبة سعيد بن عثمان بن عفان في زمن معاوية، واستشهد هناك، وكان رضي الله عنه كثير الشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويعرف ببخارى وفرغانة وبلاد تركستان باسم " شاه زنده"، توفي رضي الله عنه سنة ١٥٩هـ/٧٧٦م. ينظر: ابن حبان: الثقات، ج ٣ ص ٣٣٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ١٩٠.
- (٦) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٦٨، ٦٩؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٢٧٥.

أبناء ملوكهم وعظمائهم فحاصرهم^(١)، فطلبوا منه الصلح، فأجابهم على سبعمائة ألف درهم، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم^(٢).

وكان فيمن استشهد في معركة سمرقند ابن عم النبي ﷺ قثم بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه^(٣) وله فيها مزار يعرف بمزار "شاه زنده" (أي السلطان الحي)؛ لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون^(٤)، وتوجه بعد ذلك سعيد إلى ترمذ^(٥) وافتتحها صلحاً^(٦)، وفي عام (٦٢٢هـ / ٦٨١م) ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن أبي سفيان خراسان، وكان له السبق في دخول خراسان وقتالها شتاء^(٧)، فصالحه أهل خوارزم على أربعمائة ألف، وحملوها إليه^(٨)، وقطع

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥٠.

(٣) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥ ص ٤٢٠.

(٤) د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٢٧٥.

(٥) ترمذ: وترمذ مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي متصلة العمل بالصغانيان، ولها قهذز وربض، يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالأجر، ولهم شرب يجري من الصغانيان؛ لأن جيحون يستقل عن شرب قراهم. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦؛ وينظر: المقرئزي: جني الأزهار من الروض المعطار، ص ١٠٤؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١١، وهي واقعة اليوم في جنوب (أوزبكستان) بالقرب من حدودها مع أفغانستان، وقد فتحها موسى بن عبد الله بن خازم سنة ٧٠هـ، بها مساجد وأثار إسلامية كثيرة، أهمها: مقام الترمذي الحكيم. ينظر: د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٢٣٥؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١١.

(٤) ينظر: د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٢٧٥؛ د/١.

محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ٧٣.

(٥) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٤٥؛ د/١ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ

النهر ومعه امرأته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكانت أول عربية عُبرَ بها النهر^(٢).

ويُلاحظ مما سبق: أن هذه الحملات المتتالية كانت لها غاياتها الثابتة، وأهدافها الواضحة؛ من حيث نشر الإسلام وتأمين حدود الدولة، وأهدافها إن لم تكن تحققت تماماً فهي حملات تمهيدية لحملة منظمة وفتح عظيم يأتي على بلاد ما وراء النهر.

ولقد جاء دور الفتح المنظم لكن ذلك تأجل^(٣)؛ بسبب الثورات الداخلية والفتن مثل ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه^(٤) وثورة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وثورات الخوارج؛ مما نتج عنه انتقاض كثير من هذه الأراضي التي خضعت لحكم الإسلام^(٥). وبقيت هذه البلاد تهدد كيان الدولة الأموية باستمرار، وتقلق

الإسلام في المشرق، ص ٧٣، ولقد كان العرب قبل سلم ينظمون المسالح السريعة، والغارات الخاطفة حيناً فإذا كان الشتاء آوي العرب إلي حصونهم في خراسان، حتى يكون العام الذي يليه؛ لكن سلماً كان أول القواد قضاء للشتاء عبر النهر، ومعنى هذا أن المجاهدين العرب بدءوا يقهرون الطبيعة ويألفون هذه الأجواء. ينظر: حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٤٢.

- (١) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥١؛ كمال السعيد: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ٢٤.
- (٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٤٦؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥١.
- (٣) منذ أواخر عهد يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ إلى أواخر عهد عبد الملك ٦٥-٨٦ هـ عندما تولى الحجاج أمر العراق. ينظر: د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ١٩٦.
- (٤) أحد سيدي شباب أهل الجنة.
- (٥) ينظر: د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية، ص ٢٠١، ٢٠٢؛ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص ١٣٥.

أمرائها، إذ تحولت إلى قاعدة دائمة لكل طامع بالدولة الأموية، ولكل نائر ضدها^(١).

وبقى الأمر كذلك حتى ولي الحجاج بن يوسف الثقفي^(٢) أمر العراق، في أواخر عهد عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م)^(٣). واستطاع الحجاج بجبروته وشدة بطشه أن يخضع العراقيين^(٤) والحجاز لعبد الملك بن مروان فكافأه على ذلك وجعل له ولاية العراقيين وخراسان وجميع بلاد ما

(١) بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٢٠.

(٢) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم ابن أبي عقيل ابن ثقيف، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن أبو محمد الثقفي (٤٠-٩٥ هـ / ٦٦٠-٧١٤ م)، نشأ في بيئة فقيرة، حفظ القرآن وقرأ الحديث ودرس اللغة والأدب، وشارك أباه في تعليم صبيان الطائف، غير أن تلك الحياة لم تصادف في قلبه قبولاً، فالتحق بجند عبد الملك بن مروان إلى أن صار قائداً من قواده، وحارب عبد الله بن الزبير والخوارج وابن الأشعث، وتولى إمارة الحجاز وظلّ والياً على العراق إلى أن توفي؛ ولقد قام بدور كبير في توطيد سلطان الأمويين، حتى أن عبد الملك أوصى بنيه قبل وفاته بالحجاج قائلاً: "أكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، ودوخ لكم البلاد وأذل الأعداء"، وقال قتيبة بن مسلم: خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر فما زال يقول: إنه بيت الوحدة وبيت الغربية حتى بكى وأبكى من حوله؛ وهو أشهر ولاية بني أمية وأشدهم قسوةً وبطشاً بمخالفهم فلقد كان ظلوماً، جباراً، سفكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن، وروى أن عمر بن عبد العزيز قال: ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله وقوله حين احتضر: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل! فأخبر الحسن فقال: إن نجا فيها، وبنى مدينة واسط. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٩٤؛ د / محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٩، ٩٨؛ محمد إبراهيم سليم: الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية وسفاح العراق، ص ٢٠، ٣٧، ٣٩.

(٣) ينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩٢؛ د / هدى درويش: دور التصوف، ص ٢٤.

(٤) والمقصود بالعراقيين: عراق العجم وعراق العرب.

وراء النهر^(١) فأسند الحجاج ولاية خراسان إلى المهلب بن أبي صفرة^(٢) سنة (٦٧٨هـ/٦٩٧م)^(٣)، فبدأ المهلب غزوه لبلاد ما وراء النهر سنة (٨٠هـ) وقام بكثير من الفتوحات^(٤)، ثم استخلف ابنه يزيد (٨٣هـ/٧٠١) فأقره الحجاج^(٥)، وواصل غزوات أبيه لبلاد ما وراء النهر حتى وصل إلى خوارزم، ولكن بعد فترة عزل الحجاج يزيداً وولى مكانه أخاه المفضل بن المهلب^(٦).

وتلاحقت الأحداث حتى وليّ الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي (٨٦هـ/٦٨٥م)، ذلك القائد البارع ذو المقدرة الحربية الفائقة، الذي تحولت في عهده الفتوحات من مرحلة الاستطلاع والتمهيد إلى مرحلة الفتح المنظم، وذلك بفضل الله أولاً ثم شجاعته ومهارته كقائد حربي، وكفاءته كسياسي؛ حيث وحدّ العرب، واستعان بالفرس، واكتسب ثقتهم، ثم لمساندة الحجاج له، وكل ذلك في ظل قوة الدولة واستقرارها.

(١) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٤؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٢٧٦.

(٢) المهلب بن أبي صفرة: هو ظالم بن سراق بن صبح بن العتيك من الأزدي، ويكنى أبا سعيد، ولما عزل الحجاج أمية بن عبد الله عن خراسان استعمله عليها، ومات بها سنة اثنتين وثمانين، وكانت ولايته عليها سنة سبع وسبعين. ينظر: ابن حبان: الثقات، ج ٥ ص ٤٥١، ٤٥٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٤٦.

(٣) ينظر: الذهبي: دول الإسلام، ج ١ ص ٥٦؛ د/ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية، ص ١٣٧.

(٤) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٥؛ الذهبي: دول الإسلام، ص ٥٧.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٦٩١، ٦٧٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٥.

(٦) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٥؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ١٨٠.

المبحث الرابع: آسيا الوسطى حالياً



وآسيا الوسطى - حالياً - هي ما يطلق عليه (تركستان الغربية)^(١)، أو الروسية والتي كانت تعرف ببلاد التتر، وعرفت بعد ذلك ببلاد ما وراء النهر، والتي قسمت بعد استيلاء الروس^(٢) عليها وبعد الثورة البلشفية^(٣) إلى خمس

(١) ومن الجدير بالذكر أن كلمة (تركستان) محظور استخدامها في الاتحاد السوفيتي، واستبدلت بآسيا الوسطى؛ أما تركستان الشرقية فهي محظور استخدامها أيضاً، واستبدلت بكلمة صينية هي "سين كيانج" وتعني المستعمرة الجديدة. ينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ١٩؛ د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ص ٢٢٥. ولقد كان تعريف التركستان في التاريخ الإسلامي يقتصر على تركستان الشرقية؛ أما تركستان الغربية فكانت تسمى بلاد ما وراء النهر، والنهر هو نهر "جيحون". د/ محمد علي البار: المسلمون في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) ولقد وصف ابن فضلان - في رحلته المشهورة باسم "رحلة ابن فضلان" - الروس بأنهم: شعوب ضخام البنيان، غير مهذبين في مظهرهم، من حيث النظافة في الجسم أو الثياب، ولا يعرفون ديناً بعينه، عادتهم الحياتية قذرة؛ فهم لا يغتسلون من غائط أو جنابة، ويتناكحون جهاراً نهاراً دون حياء، كما أنهم غلاظ الطباع؛ حيث توجد وحشية في معاملتهم مع الآخرين، وهم سكارى ودائموا شرب الخمر والعريضة، لا تحكهم قيم حضارة، يعيشون حياة بدائية في السلوك والفكر وكافة أمور حياتهم. ينظر: ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، ص ٧٩، ٨٠.

(٣) الثورة البلشفية: وهي أغلبية الحزب الديمقراطي الروسي سنة ١٩١٧م، بقيادة لينين، وكان هدفها الأول هو الاستيلاء على السلطة؛ وعلى يد الثوار تم التخلص من القيصر وجميع الأسرة الملكية، وأُعدِمُوا جميعاً رمياً بالرصاص، وتم نقلهم إلى مقابر جماعية، وتضمنت

جمهوريات سوفيتية هي: كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، تركمانستان^(١)، والتي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق^(٢) في عام ١٩٩١م^(٣)، وعرفت باسم رابطة دول الكومنولث الجديد^(٤)، وهذه الجمهوريات تعد اليوم المداخل الطبيعية لسهول سيبيريا في الشمال^(٥)، وهي تجاور سيبيريا والصين والهند وأفغانستان^(٦).

وتشغل جمهوريات آسيا الوسطى (تركستان الغربية) الثلث الشمالي من

التصنيفات الأطفال والنساء، ثم سميت باسم اللينينية، فالاستالينية، وحلت الشيوعية أخيراً محلها؛ فهي المرحلة الأولى من مراحل تطور الاشتراكية في روسيا. ينظر: المعجم الوجيز، ص ٦١؛ د/ يوسف القرضاوي: أمتنا بين قرنين، ص ٤٤.

(١) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٩، حاشية رقم ٢؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٣٤٤، ٢٢٦، ٢٢٥؛ يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، ص ٣٢، ٣٤، ١٣.

(٢) بعد أن قطع الله أوصاله ومزقه شر ممزق؛ مما أتاح للجمهوريات الإسلامية الانتعاش والحرية الإسلامية الكاملة. ينظر: د/ محمد عبد السمیع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ٢١٦.

(٣) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، ص ٣٢، ٣٤؛ أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٢٠؛ عماد على محمد السيد: السكان في إقليم تركستان الغربية، ص ٢؛ وينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ١٩، ٥٩؛ د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ١٥.

(٤) د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ١٥؛ وينظر: د.١/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز "الحاضر والمستقبل"، ص ٤٦، ٣٢.

(٥) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، ص ٢٢؛ وينظر: عماد على محمد السيد: السكان في إقليم تركستان الغربية، ص ٢٠.

(٦) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، ص ٢٢.

قارة آسيا، وتمثل نسبة ٥٪ من إجمالي مساحتها^(١)، وقد ساعد امتدادها الكبير من الشرق إلى الغرب على تنوع خصائصها الطبيعية والحضارية والبشرية عن بقية القارة الآسيوية^(٢)، ولقد كان لهذه المنطقة أهميتها باعتبارها همزة الوصل على طريق الحرير للتبادل التجاري بين الشرق والغرب حتى القرن ١٦م، وبعد هذا تحولت التجارة إلى الطريق البحري^(٣).

وتعتبر منطقة وسط آسيا قلب اليابسة^(٤)، وهي تشكل مع قلب الأمة الإسلامية منطقة إستراتيجية^(٥) واحدة، ولكونها منطقة حبيسة (لا تطل على بحار مفتوحة)؛ فالمنطقتان متكاملتان، وتشمل تلك المنطقة خمس دول إسلامية^(٦)، حيث ترتبط الجمهوريات الإسلامية الخمس في آسيا الوسطى بنهري جيحون

(١) مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٤٨، ٦٦؛ وينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٥٩.

(٢) عماد على محمد السيد: السكان في إقليم تركستان الغربية، ص ١١.

(٣) مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج ١ ص ٥٠؛ محمود طه أبو العلا: الآثار الاقتصادية لنهري جيحون وسيحون في آسيا الوسطى، ص ٩؛ محمد رضا جليلي، تيري كيلينر: جيو- سياسة آسيا الوسطى، ص ١؛ مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى: التراث الحضاري الإسلامي في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٤.

(٤) وتحيط بها الجبال والهضاب من معظم الجهات وفي حلقة شبه دائرية شبه مستمرة فيما عدا بحر قزوين، مع نهاية جبال هندوكش، وهضبة البامير، وجبال تيان شان. د/ عبد الغني سعودي: آسيا في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، ص ٢٨.

(٥) أي أرض ذات تخطيط واحد.

(٦) فوزي محمد طایل: الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا بين الاستقرار والاضطراب، ص ٣١٩؛ وينظر: د/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية، ص ٨٧.

وسيحون^(١)؛ إذ تشغل جمهوريتا طاجيكستان وقيرغيزستان الإقليم الجبلي الذي ينبع منه النهران، وتشغل جمهورية أوزبكستان بعض المنابع العليا لنهر سيحون وأجزاء من مجرى نهر جيحون، إضافة إلى دلتاه على بحر آرال^(٢).

وتشغل جمهورية تركمانستان معظم مجرى نهر جيحون جنوب دلتاه على بحر آرال، ويشغل جنوب كازاخستان كل المجرى الأدنى لنهر سيحون، وهذان النهران قد أعطيا الحياة للإقليم الصحراوي^(٣)،

كما في نهري دجلة والفرات^(٤). والواقع أن تسعة أعشار المسلمين في آسيا الذين يعيشون في أقطار الاتحاد السوفيتي السابق معظمهم من الأتراك^(٥).

كما أن معظم هؤلاء المسلمين من أتباع المذهب السني الحنفي^(٦)، كما يعيش حوالي ثلاثة ملايين من الشيعة^(٧) أغلبهم في جمهورية طاجيكستان، كما

-
- (١) محمود طه أبو العلا: الآثار الاجتماعية والاقتصادية لنهري جيحون وسيحون، ص ٣.
 (٢) محمود طه أبو العلا: مرجع سابق، ص ٣.
 (٣) محمود طه أبو العلا: مرجع سابق، ص ٣؛ مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ٤٩.
 (٤) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٧٧؛ أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٣٦؛ عماد على محمد السيد: السكان في إقليم تركستان الغربية، ص ١٧؛ وتتمتع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى بموقع جغرافي ذو أهمية إستراتيجية؛ حيث تتاخم حدودها دولاً إسلامية وهي: أفغانستان، وباكستان، وإيران وتركيا، ودولاً غير إسلامية مثل الصين والهند وروسيا الاتحادية. ينظر: مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج ١، ص ٦٥.
 (٥) رأفت الشيخ: المسلمون في العالم تاريخياً وجغرافياً، ص ٩٥.
 (٦) رأفت الشيخ: المسلمون في العالم تاريخياً وجغرافياً، ص ٩٥؛ د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٠.
 (٧) الشيعة: هي الفرقة والجماعة، والأتباع والأنصار، والشيعة: فرقة كبيرة من المسلمين اجتمعوا

يوجد مائة ألف إسماعيلي^(١) في هضبة البامير، وهم من أتباع أغا خان ولهم اتصال بالهند^(٢).

وأما من ناحية اللغة فتكلم هذه المناطق بلهجات محلية متشعبة من التركية عدا طاجيكستان التي تتكلم الفارسية رغم أن الطاجيك أهل سنة^(٣)، وقد عمدت الحكومة السوفيتية إلى تقسيم المسلمين وذلك لتجزئتهم^(٤).

وأهم المناطق الإسلامية التي شملها الاتحاد السوفيتي سابقاً هي: أوزبكستان، تركمانستان، قازاقستان، قيرغيزيا، طاجيكستان، أذربيجان^(٥)،

على حب عليٍّ وآله وأحقيتهم بالإمامة، وأن أبا بكر وعمر وعثمان أخذوا حق الإمامة المقدس من علي. المعجم الوجيز، ص ٣٥٧؛ طوني مفرج: موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط، ج ٤ ص ١٥٢.

(١) والإسماعيلية: فرقة من الشيعة الإمامة، وتنسب إلي إسماعيل بن جعفر الصادق، ويلقبون بالباطنية لقولهم بباطن القرآن دون الظاهر، أو لقولهم بالإمام الباطن المستور. د/ حسن يونس حسن عبيدو: دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، ص ٢١٤؛ وينظر: د/ رجب عبد الحميد سعيد علي: الفرق الإسلامية والمذاهب في ميزان الإسلام، ص ٤١.

(٢) رأفت الشيخ: المسلمون في العالم تاريخياً وجغرافياً، ص ٩٥؛ ويسكن الطاجيك الإسماعيليون في مرتفعات البامير المنيعه والتي ظهر فيها أحد أشهر زعمائهم "الحسن الصباح" صاحب قلعة الموت، أي وكر النسرة؛ وذلك لمناعتها ومشابقتها في البعد والمنعة. د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٣٨١؛ وانظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٠١.

(٣) د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٠.

(٤) رأفت الشيخ: المسلمون في العالم تاريخياً وجغرافياً، ص ٩٥.

(٥) وأذربيجان: جمهورية مسلمة من ست جمهوريات إسلامية تتبع الاتحاد السوفيتي الذي يضم ١٥ جمهورية وهي الجمهورية التي تتبع القوقاز، وليست لها حدود مشتركة مع الجمهوريات

وأرمينية، جورجيا، والثلاث الأخيرة تقع فيما يعرف بإقليم القوقاز^(١).

أولاً: جمهورية أوزبكستان:

تنسب هذه الجمهورية إلى قبائل الأوزبك التركمانية، وتحيط ببحيرة أورال، وكانت تسمى بلاد ما وراء النهر^(٢)، وعاصمتها طشقند^(٣)، وهي جمهورية متقدمة في المجال الصناعي وبها البترول والفحم والنحاس وتنتج قدرًا كبيرًا من القطن الخام^(٤)، ومن أهم مدنها بخارى وسمرقند وترمد

الإسلامية الأخرى، يحدها من الشرق بحر قزوين ومن الشمال جمهورية داغستان ومن الجنوب تركيا وأذربيجان الإيرانية. د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٥٩؛ وينظر: د.١/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٣٩.

(١) ومنطقة القوقاز: يحدها بحر الخزر شرقًا، والبحر الأسود غربًا، وتمتد بينهما سلسلة جبال القوقاز؛ خصها الله بجمال الطبيعة والمراعى الخضراء الواسعة، وكثرة الأنهار. د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ١٩، حاشية رقم ٢، وقد أعلنت جمهورية روسيا الاتحادية نفسها الوريث الشرعي للإتحاد السوفيتي السابق؛ فورثت ٨٣٪ من قواته، واستحوذت على وكالة المخابرات ووزارة الخارجية والداخلية والسفارات السوفيتية في الخارج، ثم مقعد الإتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة ومجلس الأمن. د.١/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ٩٣.

(٢) حيث كانت تشمل علي أكبر قسم من منطقة ما وراء النهر، وهما نهرا جيحون وسيحون. د.١/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية، ص ٤٧.

(٣) وتعتبر العاصمة طشقند رابع أكبر مدينة في (الإتحاد السوفيتي السابق)، كما تعد ثالث أكبر مدينة تركية في العالم بعد استانبول وأنقرة. د.١/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٥٠.

(٤) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الإسلامية، ص ٥٨٨؛ وينظر: د/ طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ج ١ ص ٢١٦؛ مصطفى دسوقي كسبة:

وخيوة^(١) وخوقند وطشقند العاصمة^(٢)، ولهذه المدن تاريخ عريض في الحضارة الإسلامية؛ وفي أوزبكستان المدرستان الوحيدتان في الاتحاد السوفيتي التي يسمح فيها بتدريس المواد الدينية، وهما مدرسة (ميرعرب) في بخاري، ومدرسة الإمام البخاري في طشقند^(٣)، وقد غزتها روسيا سنة ١٨٧٥م حتى أصبحت جمهورية تأسيسية سنة ١٩٢٤م^(٤).

وتبلغ نسبة المسلمين في أوزبكستان حوالي ٩٠٪ من جملة السكان، وجميع الأوزبك مسلمون، ويتركزون في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من البلاد^(٥)، ويتحدثون لغة تركية تشبه لغة الأتراك العثمانيين، بينما تتكلم باقي

المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج١ ص ٧٩، ٨٨.

(١) خيوة: وهي ما كان يعرف بمدينة خوارزم، وحين زارها ابن بطوطة كانت لاتزال - رغم تخريب المغول لها - تحتفظ بالكثير من جمالها وروائها، إذ يصفها بأنها أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأضخمها، قائلاً: إنها كانت تموج بالناس موج البحر، وبلغ من ازدحام الناس في أسواقها أن ابن بطوطة دخل السوق مرة فضاع في الزحام، ولم يستطع العودة إلي داره إلا بعد مشقة. ينظر: د/ إبراهيم أحمد العدوي: المجتمعات الإسلامية "ماضيها وحاضرها"، ص ١١٧.

(٢) ينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١ ص ٣٥٧؛ د/ إبراهيم أحمد العدوي: المجتمعات الإسلامية "ماضيها وحاضرها"، ص ١٥٤، المدن العربية والإسلامية، ص ٤٠٨؛ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية، ص ٥٨٨.

(٣) د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٣٥٧؛ د/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، ص ٥٢.

(٤) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية، ص ٥٨٨؛ وينظر: د/ طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢١٥.

(٥) يسرى الجوهرى آسيا الإسلامية، ص ١٩٧؛ وينظر: أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات

الفئات اللغات الخاصة بها^(١)؛ أما الروس فيعيشون في طشقند والمدن الأوزباكستانية^(٢).

وتضم أوزبكستان أكبر تجمع بشري إسلامي في الاتحاد السوفيتي سابقاً^(٣)، وأكثرها تجانس^(٤) من الناحية العرقية^(٥).

ثانياً: جمهورية طاجيكستان:

تدخل معظم أراضي طاجيكستان في وسط آسيا، وذلك لأن معظم أراضيها في الحوض الأعلى لنهر جيحون، يحدها من الشرق التركستان الصينية، ومن الجنوب قيرغيزيا، ومن الغرب والشمال جمهورية أوزبكستان^(٦)، وتبلغ مساحتها حوالي ١٤٣ ألف كيلو متراً مربعاً^(٧)، ولعل أكثر الجمهوريات اشتعالاً

الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٣٨.

(١) يسرى الجوهري آسيا الإسلامية، ص ١٩٧؛ وينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٦٧.

(٢) يسرى الجوهري آسيا الإسلامية، ص ١٩٧؛ وينظر: أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات

الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٣٨.

(٣) وتأتي أوزبكستان في المرتبة الثانية من حيث تعداد الأتراك في العالم بعد تركيا. ا.د/ محمد

أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز،

ص ٥٠.

(٤) تجانس الشيطان: أي اتحدا في الجنس. المعجم الوجيز، ص ١٢١.

(٥) ينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٦٧.

(٦) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، ص ١٩٩؛ وينظر: ا.د/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد

فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٧٨؛ د/ هدى درويش: دور

التصوف، ص ٧٦؛ محمد الجابري: موسوعة دول العالم "حقائق وأرقام"، ص ١٧٢؛ أمنة أبو

حجر: الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، ص ٧٥.

(٧) يسرى الجوهري آسيا الإسلامية، ص ١٩٩؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد

بالصراع في وسط آسيا هي طاجيكستان، ولا غرابة فهي صاحبة أطول حدود مع أفغانستان^(١)، وبهذا شهد أهلها انتصار المجاهدين الأفغان على إمبراطورية الاتحاد السوفيتي، كما أن لها حدودًا مشتركة مع إقليم كشمير الإسلامي الذي يجاهد أهله جهادا مستميتًا من أجل الخلاص من الاحتلال الهندي بأغلبيته المسلمة، ولها - أيضًا - حدود مع (كيسيفيانغ) الصيني الذي طالما تطلع أهله إلى من يشاركهم في العقيدة وفي الأصول العرقية بجمهوريات وسط آسيا الإسلامية^(٢).

وقد أقيمت جمهورية طاجيكستان كجمهورية اتحادية عام ١٩٢٩م^(٣)، وعاصمتها "دوشانبه"^(٤)، وعدد سكانها يبلغ ١٦٠,٠٠٠,٥ نسمة من بينهم ٢,١ مليون أوزبكي، ٢٠٠ ألف روس، ومثلهم من الأوكرانيين^(٥)، والطاجيك

-
- السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٣٨١؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٧٦، ٧٧؛ كمال هاشم حمود: الأطلس الإسلامي الجغرافي، ص ٨٥.
- (١) عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاجيكستان، ماضيها وحاضرها، ص ١٦؛ وينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١ ص ٣٨٠.
- (٢) عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاجيكستان، ص ١٦.
- (٣) محمود طه أبو العلا: الآثار الاجتماعية والاقتصادية، ص ٣٣؛ وينظر: د/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٨٢؛ د/ شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي، ص ٧١.
- (٤) فوزي محمد طابيل: الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا بين الاستقرار والاضطراب، ص ٣٢٤؛ وينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٤ من المقدمة.
- (٥) فوزي محمد طابيل: الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا بين الاستقرار والاضطراب، ص ٣٢٤؛ وفي عام ١٩٩٦م بلغ عدد سكانها ١٦٠,٠٠٠,٩٤٥ نسمة. ينظر: د/ شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي ص ٧١.

من المسلمين السنيين الذين وفدوا من إيران وسكنوا منطقة التركستان منذ أمد بعيد، وتكثر في هذه الأراضي المعادن كالذهب والفضة واليورانيوم^(١). والطاجيك هم أكثر شعوب المنطقة تمسكاً بالإسلام، ورغبة في أن يحكموا بشريعته، وترى هذه الروح أكثر ما ترى بين سكان الريف، الذين يشكلون ٧٥٪ من السكان، وهم الأكثر تمسكاً بالإسلام^(٢)، كما أنهم يقدمون الإسلام على العرق^(٣)، ويقوم حزب النهضة الاسلامي - وهو من أكبر الأحزاب الإسلامية هناك - بمقاومة الحكومة الماركسية الحالية، ويتلقى هذا الحزب دعماً كبيراً من أفغانستان وإيران وباكستان، وجميع البيوت المسلمة في طاجيكستان تحتفظ بنسخة من القرآن الكريم^(٤).

▣ ثالثاً: جمهورية تركمانستان^(٥):

يعيش التركمان في المنطقة التي تمتد من أموداريا حتى شمال إيران

(١) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية، ص ٦٥؛ وينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) الرجوع السابق، ص ٤٢.

(٣) د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٧٧.

(٤) أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٤٢.

(٥) وتضم تركمانستان المدن الإسلامية الشهيرة مثل: مرو، وسرخس، وبيهق، وجزءاً من خوارزم وطبرستان. محمد عبد القادر أحمد: الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، ص ١٨٧، ومن الغريب أن تركمانستان هذه والتي كانت في التاريخ الإسلامي أهلة بالمدن العامرة مثل مرو، وسرخس، وآمل، وشهرستان، ونسا، وبيهق، تكاد تكون خالية من السكان في القرن العشرين بعد أن دنستها أقدام البلاشفة الروس وأبادوا سكانها وحرقوا ديارها، وهدموا مساجدها، وغيروا معالمها وأبادوا مدارسها، وأضاعوا ثقافتها وعلومها. د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٣٦٣.

والشمال الغربي لأفغانستان، حيث تشكل هذه المنطقة جنوب غرب وسط آسيا، ويحد تركمانستان من الغرب بحر قزوين ومن الجنوب الشرقي أوزبكستان، ومن الشمال كازاخستان، ومن الجنوب إيران وأفغانستان^(١).

وتتميز هذه الجمهورية في أن كل جماعات التركمان في الاتحاد السوفيتي يقيمون في هذه الجمهورية التي تحمل إسمهم، وهم يقيمون في النطاق الصحراوي جنوب نهر جيحون، وقد هاجروا إلى منطقة خوارزم وأنهار الترك وتيجن ومقرب وأخذت نسبة منهم تستقر في هذه الواحات وتشتغل بالزراعة^(٢).

أما عدد سكان الجمهورية فيتجاوز الأربعة ملايين نسمة^(٣)، منهم إثني ونصف مليون من التركمانيين، والباقي من القبائل والأفرع التركية الأخرى مثل الأوزبك والقازاق والطاجيك والروس^(٤)؛ وأما بالنسبة لمساحتها فهي تعد أكبر من تركيا قليلا في المساحة^(٥)، وتقع صحراء قره قوم الشهيرة في تركمانستان،

(١) بارتولد: تاريخ الترك، ص ١١٧؛ وينظر: محمد الجابري: موسوعة دول العالم، ص ١٢٢.

(٢) محمد طه أبو العلا، ص ٣٥.

(٣) ينظر: أمينة أبو حجر: الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، ص ٧٢.

(٤) ينظر: د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٣٦٣؛ د/

طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢١٣.

(٥) وتبلغ مساحتها ٤٨٨، ١٠٠ كم^٢. ينظر: د/ طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم

الإسلامي، ص ٢١٣؛ د.١/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات

الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٦٨؛ د/ شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم

الإسلامي، ص ٤١؛ د.١/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ١٠؛ محمد

رضا جليلي، تيري كيلنر: جيو- سياسة آسيا الوسطى، ص ٢؛ محمد الجابري: موسوعة دول

ولكنها لم تكن صحراء بالمعنى الحقيقي حيث كانت بها مراعى كثيرة، وكذا أراضي كثيرة صالحة للزراعة^(١).

وقد أقيمت جمهورية تركمانستان كجمهورية اتحادية في ١٣ مايو ١٩٢٥م، حيث خضعت جماعات التركمان للحكم الروسي في القرن التاسع عشر، ولم يمنحوا استقلالهم إلا بعد نضال ضد الروس، إذ اتفقوا مع أهل بخارى وجماعات الأوزبك وقاموا بمعركة ضد الروس^(٢)، ولقد كان للأسر التركمانية دوراً كبيراً في إدارة السياسة والعلاقات بين الدول الكبيرة في ذلك الوقت، وهي الدولة العثمانية في الأناضول والدولة الصفراوية في إيران، ودولة المماليك في مصر والشام^(٣).

وبصفة عامة فإن معظم التركمان يمارسون - الآن - الزراعة، ويتكلمون اللغة التركية التي تنسب إلى مجموعة اللغات الغربية^(٤)، وهم مسلمون من السنة على المذهب الحنفي^(٥).

-
- العالم، ص ١٢٢؛ عماد على محمد السيد: السكان في إقليم تركستان الغربية، ص ١٥.
- (١) ينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٣٦٣.
- (٢) محمد طه أبو العلا، مرجع سابق، ص ٣٥.
- (٣) ينظر: عبد العزيز عوض: التركمان بين الماضي والحاضر، ص ٣٨؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٧٢، ولقد كان هؤلاء التركمان يرتبطون بالأتراك العثمانيين أكثر من ارتباطهم بالعناصر التركية المجاورة. محمد طه أبو العلا، ص ١٧.
- (٤) أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٤٤.
- (٥) د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٧٣.

▣ رابعاً: جمهورية كازاخستان:

أقيمت جمهورية اتحادية في ٥ ديسمبر ١٩٣٦م^(١)، وتشبه جمهوريات وسط آسيا في تنوع مظاهرها الطبيعية؛ حيث إنها تحتل في أواسط قارة آسيا مساحة هائلة من الأرض تمتد من صحارى وسط آسيا جنوباً وسهول سيبيريا شمالاً^(٢) وبين جبال الطاي شرقاً وبحر قزوين غرباً^(٣).

والواقع إنَّ إمكانيات كازاخستان الهائلة وقاعدتها التكنولوجية^(٤) تجعلها بحق كبرى هذه الجمهوريات، وعلى الرغم من أنَّ عدد سكانها أقل من عدد سكان أوزبكستان؛ إلا أنها أكبر الدول الخمس في مساحة أرضها^(٥).

وتعتبر هضبة القازاق امتداداً لهضبة آسيا الوسطى فتمثل الجزء الجنوبي

(١) محمد طه أبو العلا، المرجع السابق، ص ٣٥؛ د.١ / محمد أحمد فؤاد، د / هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٦٦.

(٢) محمد طه أبو العلا، المرجع السابق، ص ٣٥؛ وينظر: د / محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٣٤٥؛ آمنة أبو حجر: الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، ص ٨٠.

(٣) محمد طه أبو العلا، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٤) حيث توجد بها مجموعة ضخمة من المصانع في قازاقستان منها: مصانع التعدين والماكينات والإنشاءات والمنسوجات والأغذية والحديد والصلب والكيماويات والنحاس، ولقد كانت قازاقستان تزود الاتحاد السوفيتي السابق بالمواد الخام من المنتجات الزراعية والكنوز المنخباة تحت الأرض. د.١ / محمد أحمد فؤاد، د / هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٦٥.

(٥) ينظر: د.١ / محمد أحمد فؤاد، د / هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٥٩؛ وتبلغ مساحتها (٣٠٠، ٧١٧، ٢ كم^٢)، مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٦٦.

والشرقي من جمهورية قازاقستان، حيث تظهر هناك سلسلتان هامتان من الجبال، وهما سلسلة جبال تيان شان في الجنوب والطاى في الشمال^(١)، كما يوجد بين السلسلتين مجموعة من البحيرات أكبرها بحيرة بنكاش التي ينصرف إليها عددًا من الأودية الجافة التي تنحدر من الجبال المجاورة^(٢).

أما في الغرب فتوجد مناطق سهلية وأخرى منخفضة تحيط ببحر قزوين من الشمال والشرق^(٣).

وجهورية كازاخستان جمهورية إسلامية وعدد سكانها حوالي ١٧ مليون نسمة ونصفهم تقريبًا مسلمون وعاصمتها مدينة "ألما أتا" أي بلد التفاح^(٤).

وسكان كازاقستان^(٥) من عناصر متجانسة؛ فيكون الأوكرانيون والتتار حوالي ١٠ / ١ من السكان في حين يكون الروس ما يقرب من ٤٣٪ من جملة

(١) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص ٢١٢؛ وينظر: د/ طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص ٢١٢؛ وينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٣٤٥؛ فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٥٩؛ د. محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ١٠٤.

(٣) يسرى الجوهرى: المرجع السابق، ص ٢٠٩؛ وينظر: د. محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٥٩؛ د. محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ١٠٤.

(٤) د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٣٤٧.

(٥) ويمتاز القزاق بسماتهم المغولية الواضحة، وهم من الأقوام الذين احترقوا الرعي من آلاف السنين. ينظر: حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، ص ١٦.

السكان، والقازاق حوالي ٣٣٪ من السكان^(١)، وتشتهر كازاخستان بثرواتها البترولية وبها أكثر من ٩٠ نوعاً من المعادن^(٢)، وتعد الزراعة بمثابة الدعامة الأولى للاقتصاد في كازاخستان^(٣)؛ فتميز بأنها أكثر الأراضي الزراعية مساحة بين الجمهوريات الإسلامية الأخرى^(٤)، هذا إلى جانب الاحتفاظ بحرفة الرعي^(٥).

❏ خامساً: جمهورية قيرغيزستان:

كانت قيرغيزستان جزءاً من تركستان حتى عام ١٩٢٤م، ثم أصبحت إقليمياً ذات حكم ذاتي تابع لروسيا الاتحادية، حتى صارت جمهورية ذاتية عام ١٩٢٦م، ثم اعترف بها كجمهورية مستقلة منذ عام ١٩٣٦م مع صدور الدستور السوفيتي^(٦).

وتقع جمهورية قيرغيزستان في المنطقة الشرقية من آسيا الوسطى^(٧)، وذلك في المنطقة التي تلتقي فيها جبال البامير بجبال تيان شان، ويحيط بها جمهوريات كازاخستان وطاجيكستان وأوزبكستان^(٨)، كما تحيط بها الصين من الجنوب

(١) يسرى الجوهري: المرجع السابق، ص ٢١٠؛ وينظر: شرين عبد المنعم حسنين: مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، ص ٣٢.

(٢) محمد طه أبو العلا، المرجع السابق، ص ٣٥؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٦٤.

(٣) يسرى الجوهري: المرجع السابق، ص ٢١١، ٢١٢.

(٤) د/ طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢٢١.

(٥) يسرى الجوهري: المرجع السابق، ص ٢١١، ٢١٢.

(٦) محمود طه أبو العلا: مرجع سابق، ص ٣٤.

(٧) آمنة أبو حجر: الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، ص ٧٨.

(٨) د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٧٤؛ وينظر: د/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد

الشرقي^(١)، ويشكل القرغيز العنصر السائد للسكان، وهم من أصل تركي، ويدينون بالإسلام، ويتركزون في جبال البامير العالية وفي منطقة جبال تيان شان^(٢)، ويمثل القرغيز ما يقرب من ٤٤٪ من جملة السكان إلا أن أعدادهم الحالية أقل مما كانت عليه فيما مضى وذلك بسبب تعرضهم للهجرة الجبرية وتوطين الروس مكانهم حين استولى الروس على بلادهم وعملوا على إبادتهم؛ حيث كانت نسبتهم في البلاد أكثر من ٩٠٪ من جملة السكان^(٣).

كما أن المسلمين هناك من أهل السنة، ويتحدثون اللغة القرغيزية التي تكتب بالحروف الهجائية الروسية، وتستعمل بقية السكان اللغة الخاصة بهم^(٤).

فتحي: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٧٣.

(١) يسرى الجوهري آسيا الإسلامية، ص ٢١٢؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٣٧٢.

(٢) والقرغيز: سماتهم مغولية بحتة، وهم يحترفون الرعي في المقام الأول، واتخذوا هضبة البامير موطناً لهم حيث المراعي الجيدة. حسن محمد جوهر: أفغانستان، ص ١٥.

(٣) يسرى الجوهري آسيا الإسلامية، ص ٢١٢؛ وينظر: شرين عبد المنعم حسانين: مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، ص ٣١؛ د/ طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢١٨؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٧٥، ومثلما تفعل إسرائيل فتطرد المواطنين العرب؛ ليحل محلهم مستوطنون يهود؛ كذلك فعلت روسيا منذ العهود القيصرية إلى العهود البلشفية؛ فكانت تطرد القرغيز وتبيدهم ليحل محلهم مستوطنون روس، وتناقص لذلك سكان القرغيز، وقامت الثورات المتتالية ضد الاستعمار الروسي الغاشم، وكانت هذه الثورات ذريعة للقوات الروسية لإبادة سكان القرغيز شيوخاً وشباباً، نساءً وأطفالاً، كما أن الإبادة لم تكن موجهة إلى السكان فقط؛ بل شملت المواشي والزروع أيضاً. ينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٣٤٦.

(٤) د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٧٥.

وتبلغ مساحة جمهورية قيرغيزستان ١٩٨,٥٠٠ كم^٢(١)، ويبلغ عدد السكان بها حوالي ٤,٤٣٩,٠٠٠ (٢)، مليون نسمة في حين ترتفع الكثافة السكانية بها عن بقية جمهوريات الاتحاد لتصل إلى ١٦,٥ نسمة في كم^٢؛ حيث يتركز السكان في المدن الرئيسية وفي المناطق التي تتوفر بها الموارد المائية والتربة الصالحة للزراعة (٣)، وتشمل قيرغيزيا ما يقرب من ٤٤ مركزاً حضارياً (٤).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن هذه الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا قد حافظت على تقاليدھا وأعرافھا في ظل ظروف بالغة الصعوبة.

كما أن هذه الجمهوريات الإسلامية - التي تشكل وحدة جغرافية متصلة - لديها من الموارد الطبيعية، ومصادر الطاقة، والمواد الخام اللازمة لكل صنوف الصناعة التي عرفتها البشرية، ما يفوق كثيراً أوروبا الغربية، كما أن لديها قاعدة تكنولوجية وإن كانت أقل من مثيلاتها في أوروبا الغربية تقدماً إلا أنها تفوقها في الإنتاج (٥)، ونسبة المسلمين في هذه الجمهوريات تمثل غالبية سكانها باستثناء

(١) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، ص ٢١٢؛ د/ طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢١٨.

(٢) فوزي طایل: المرجع السابق، ص ٣٢٨؛ وينظر: ا.د/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ١١١.

(٣) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، ص ٢١٢.

(٤) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، ص ٢١٥.

(٥) ينظر: محمد رضا جليلي، تيري كيلنر: جيو- سياسة آسيا الوسطى، ص ٢، ٣؛ أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٤٨؛ ومن الجدير بالذكر أن أغلب هذه الثروات والموارد الطبيعية تستولي عليها روسيا، وكذلك أيضاً تفعل الصين الشيوعية مع ثروات المسلمين في التركستان الشرقية، وهكذا نرى ثروات العالم الإسلامي إما

جمهورية كازاخستان؛ ولقد كان هدف الحكومات الروسية - سواء قبل الثورة البلشفية في عام ١٩١٧م أو فيما بعدها - طمس الهوية الإسلامية للسكان بها والعمل على امتصاص هؤلاء المسلمين^(١)، وانتهجت في ذلك - خاصة بعد الثورة البلشفية - عدة أمور هي:

١. إلغاء الكتابة بالحروف العربية، وفرض الحروف اللاتينية والروسية ثم اللغة الروسية.

٢. إجراء التقسيم الإداري، والتغيير الديمغرافي^(٢) لبلدان وسط آسيا.

٣. استحداث أساليب ثقافية جديدة لتقويض الدين، والثقافة الإسلامية.

٤. محاولة طمس الهوية الإسلامية، والقومية، وزعزعتها في نفوس الشعوب.

٥. مقاومة أي نهضة أو فكر إسلامي، وبث الأفكار الاشتراكية الشيوعية

أن تذهب إلى أمريكا وأوروبا، أو تذهب إلى روسيا والصين الشيوعية؛ بينما يلقي الفتات للمسلمين الذين يتضورون جوعاً في بنجلادش وساحل أفريقيا الشرقي، ويموت الملايين منهم كل عام من المسغبة، ويتنصر الآلاف في أندونيسيا وأفريقيا في مقابل حفنة من الأرز أو رغيف من الخبز تتصدق به عليهم المؤسسات الكنسية والهيئات التبشيرية. د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١ ص ٣٨٦.

(١) ينظر: أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٤٨.

(٢) أي التغيير العرقي، وإمعاناً في خلخلة التجمعات الإسلامية في هذه البلاد، وقطع صلتهم بين حاضرهم وماضيهم والقضاء على مدنيتهم، قامت الحكومة السوفيتية بنفي الآلاف من الأتراك المسلمين إلى مجاهل سيريا، واستقدمت ألوفاً مؤلفة من الروس والسلاف والأوكران إلى هذه البلاد. ينظر: شرين عبد المنعم حسنين: مسلمو تركستان، ص ٣١.

الإلحادية^(١).

٦. غلق المدارس الدينية، وهدم المساجد، وحرق المصاحف، والكتب

الإسلامية^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن هذه المنطقة (آسيا الوسطى) قد أفرزت الكثير من العلماء الأفاضل الذين حملوا لواء العلم، وساهموا في بناء الحضارة الإسلامية، والإنسانية وما زالت أسماؤهم حتى اليوم تدل على عظمة أصحابها، وتخلد ذكراهم^(٣)، ولقد أصبحت بلدان وسط آسيا تمثل مراكز إشعاع ثقافي، وحضاري، كما أن أكبر وأعظم وأصح الكتب التي كتبت في الحديث والسنة قد ألفت في هذه المدن المرفهة مثل بخارى وسمرقند وطشقند وترمز^(٤).

(١) وهذه الأفكار تدعوا إلى الاستيلاء على وسائل الإنتاج، وإلغاء الملكية الفردية، وكذلك تدخل الدولة في حياة الأفراد وإخضاعهم لإشرافها مع إهمال الجانب الديني مطلقاً. ينظر: شرف الدين أحمد آدم: محاضرات في حاضر العالم الإسلامي، ص ٣٤، ٣٥؛ المعجم الوجيز، ج ٣٥٧.

(٢) د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ١٥. ولقد قام المتصوفون الأوائل الذين ظهروا في تلك المناطق ببث روح الجهاد والنضال؛ من أجل رفع راية الإسلام، وتثبيت دعائم العقيدة الإسلامية في قلوب شعوب هذه المناطق؛ في سبيل الحفاظ على إسلام المنطقة ضد الاستعمار الروسي الذي وجه كل ما لديه من وسائل لمحو الهوية الإسلامية، وهدم الإسلام في هذه الشعوب زهاء سبعين عاماً، قضاها الشعب المسلم في تلك المناطق، تحت سيطرتهم وأحكامهم القاسية. د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ١٢، ١٣.

(٣) ينظر: د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ١٢.

(٤) ينظر: د/ محمد عبد السمیع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ٢١.

كما أفرزت هذه البلاد العديد من القادة العسكريين، الذين كانوا بمثابة الدرع الواقى للدولة الإسلامية؛ حيث تصدوا بدورهم للخطر المغولي أمثال الظاهر بيبرس، وسيف الدين قطز؛ كما انحدرت من هذه الديار - أيضاً - سلالة سلاطين آل عثمان^(١) مؤسسو الخلافة العثمانية وأصحاب فتح القسطنطينية.

وأستطيع أن نستنج من خلال هذا الفصل النتائج الآتية:

١. تمتد آسيا الوسطى من بحر قزوين غرباً حتي حدود الصين شرقاً، ومن سيبيريا شمالاً إلي إيران وأفغانستان جنوباً.
٢. أطلق الجغرافيون العرب علي آسيا الوسطى اسم "بلاد ما وراء النهر"، وهى المنطقة الواقعة في حوض نهر جيحون، وسيحون.
٣. يمتاز إقليم ما وراء النهر (آسيا الوسطى) بأنه من أخصب أقاليم الأرض، وأكثرها خيراً، كم تصف أهل ما وراء النهر بالخير والمبالغة في إكرام من يطرق بلادهم، كما يمتازون بكثرة العدد وزيادة الشجاعة والجلادة، وهم أحسن الناس طاعة لكبرائهم، وخدمة فيما بينهم.
٤. يتألف سكان آسيا الوسطى من خليط الأوزبك، والطاجيك، والأتراك، والتركمان، والأكراد والفرس، ثم العرب الذين استقروا فيها أثناء الفتح الاسلامى وبعده بسبب الهجرات والتجارة.

(١) والأتراك العثمانيون إحدى قبائل الأتراك العديدة التي بقيت في بيئتها الأصلية في أواسط آسيا، أو رحلت إلى آسيا الصغرى، وتنسب إلى عثمان مؤسس الدولة في هضبة الأناضول بآسيا الصغرى، ينظر: أ.د/ رأفت غنيمى الشيخ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص ٢٣.

٥. عرفت المنطقة العديد من الديانات قبل الإسلام كالبودية، والمانوية، وكذلك الزرادشتية القادمة من بلاد الفرس، ثم كانت بداية معرفتها بالدين الإسلامي في العهد الراشدي عن طريق الغزوات الخاطفة، ثم الفتح المستقر المنظم في عهد الأمويين.

٦. آسيا الوسطى حالياً هي ما يطلق عليه (تركستان الغربية)، أو الروسية والتي قسمت بعد استيلاء الروس عليها وبعد الثورة البلشفية إلى خمس جمهوريات سوفيتية هي: قازاقستان، أوزبكستان، قيرغيزيا، طاجيكستان، تركمانستان، والتي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق في عام ١٩٩١م، وعرفت باسم رابطة دول الكومنولث الجديد؛ ولقد ساهم التركستانيون في نشر الدعوة الإسلامية ودعم حضارتها وثقافتها، كما ساهم علمائهم الأجلاء في بناء التراث الإسلامي.



الفصل الثاني

التعريف بالأمير قتيبة بن مسلم

المبحث الأول: من هو قتيبة، أهله، أصل قبيلته، دخولها الإسلام

المبحث الثاني: مولده ونشأته

المبحث الثالث: صفاته وأخلاقه

المبحث الرابع: اتصاله بالخلفاء والأمراء

المبحث الخامس: توليته الإمارة

المبحث السادس: وفاة الأمير قتيبة بن مسلم

المبحث السابع: موقف الناس من قتل الأمير قتيبة



المبحث الأول

من هو قتيبة، أهله، أصل قبيلته، دخولها الإسلام

■ من هو قتيبة؟

في الحقيقة أننا إذا أردنا التعريف بهذه الشخصية فإننا نتعرض لشخصية عظيمة - وللأسف - لم تزل حقها من عناية الباحثين؛ بل الإنسان ليعجب كيف يجهل حياة هذا البطل الكثير من المسلمين، وكيف تمضي كتب المطالعة المتنوعة في المدارس والمعاهد دون أن تفرد له باب في كل كتاب ليتعلم الناشئة في كل بلاد الإسلام مَنْ ذلك البطل العظيم الذي أهدى إلى الإسلام الملايين من البشر.

البطل الذي غزا بجنوده وأتباعه بلاد الوثنية ليعلو الأذان الإسلامي في ربوع متناهية تقدر الأصنام، وتعبد التماثيل من دون الله؛ البطل التي تشهد فتوحاته للجنود الإسلاميين بصلافة العود، وتحمل المشاق، والتفاني للوصول إلى الغايات السامية.

إنه بحق أحد الأبطال الكبار والقادة الشجعان، "ومن ذوي الحزم والدهاء،

والرأي والغناء^(١)"^(٢)؛ "واحد من سادة المعارك، وعباقرة الحروب في التاريخ العالمي، نابغة عبقري من طبقة خالد^(٣)، وسعد^(٤)، وعقبة^(٥)، والمهلب،

(١) الغنَاء: النفع والكفاية، ويقال: هذا الشيء لا غناء فيه أي لا نفع فيه. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٥ ص١٣٥؛ المعجم الوجيز، ص٤٥٦، مادة (غَنِي).

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص٣٤٠؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٥.

(٣) هو خالد بن الوليد: بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب (ت٢١هـ)؛ سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان، ثم سار غازياً، فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة، وبقي الجيش بلا أمير، فتأمر عليهم في الحال خالد، وأخذ الراية، وحمل على العدو، فكان النصر، وسماه النبي ﷺ سيف الله، فقال "إنَّ خالدًا سيفٌ سلّه الله على المشركين" وشهد الفتح وحنيناً؛ حارب أهل الردة ومسيلمة، وغزا العراق، وشهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء، أمره الصديق على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق فافتتحها هو وأبو عبيدة، عاش ستين سنة، وتوفي بحمص سنة إحدى وعشرين. ابن حنبل: العلل ومعرفة الرجال، ج٣ ص٤٢١، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٢١٨، ٢١٩.

(٤) هو سعد بن أبي وقاص: (ت٥٥هـ)، الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي، أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدرًا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى؛ روى كثيراً الأحاديث، وله في الصحيحين خمسة عشر حديثاً، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بثمانية عشر حديثاً؛ حدث عنه ابن عمر، وعائشة، وابن عباس، والسائب بن يزيد، والأحنف بن قيس، وعروة بن الزبير، وخلق سواهم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٥٣، ٥٤؛ وينظر: الباجي: التعديل والتجريح، ج٣ ص١٠٩٩؛ السيوطي: إسعاف المبطل برجال الموطأ، ج١ ص١١.

(٥) هو عقبة بن نافع: بن عبد قيس الفهري (ت٦٣هـ)، ولد على عهد رسول الله ﷺ، وسماه والده عقبة تيمناً بهذا الاسم الذي يطلق على عدد من فرسان قريش، ممن لهم باع في المبارزة والنزال، وقهر الأعداء، ولاه عمرو بن العاص إفريقية وهو على مصر، وافتتح عامة بلاد البربر، وهو الذي اختط القيروان وذلك في زمن معاوية؛ وقتل سنة (٦٣هـ) بعد أن غزا السوس القصوى، ويُقال: إنَّ عقبة كان مستجاب الدعوة، وأنه أوصى ولده فقال لا تقبلوا الحديث عن رسول الله إلا من ثقة وإن لبستم العباء ولا تكتبوا ما يشغلكم عن القرآن. ينظر: ابن شاهين:

وطارق^(١)، ومحمد بن القاسم^(٢).

"رجلٌ ضم بسيفه إلي الوطن الإسلامي بلاداً أوسع من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإنجلترا معاً؛ بلاداً يسكنها أقوي شعوب العالم القديم علي الحرب، وأشدها تمرساً به وبراعةً فيه وقدرةً عليه"^(٣).

رجلٌ ما رفعه نسبه^(٤) ولكن رفعه عزمه وإرادته وتصميمه على بلوغ الهدف

-
- تاريخ أسماء الثقات، ج١ ص ٢٦٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٤١، ٤٢؛ علي الجمبلاطي، عبد المنعم قنديل: عقبة بن نافع أو فاتح إفريقيا، ص ٥: ٨.
- (١) هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير: وكان أميراً على طنجة بأقصى المغرب، فبلغه اختلاف الفرنج واقتتالهم، وكتبه صاحب الجزيرة الخضراء ليمده على عدوه، فبدر طارق، وعدى في جنده، وهزم الفرنج وافتتح قرطبة، وقتل صاحبها لذريق، وكتب بالنصر إلى مولاه، فحسده على الإنفراد بهذا الفتح العظيم، وتوعده، وأمره ألا يجاوز مكانه، وأسرع موسى بجيوشه، فتلقيه طارق وقال: إنما أنا مولاك، وهذا الفتح لك، فأقام موسى بن نصير بالأندلس سنتين يغزو ويغنم، وقبض على طارق وأساء إليه؛ ولطارق فتوحات عظيمة جداً بالمغرب، كما كان لقتيبة بن مسلم بالمشرق - في هذا الوقت - فتوحات لم يسمع بمثها. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٤٠٢؛ وينظر: القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج١ ص ١٣٤، ١٣٥؛ التلمساني: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج٢ ص ٨١.
- (٢) علي الطنطاوي: رجال من التاريخ، ص ٩٦؛ وينظر: د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص ٢٢٧. محمد بن القاسم الثقفي: فاتح السند؛ ولاء الحجاج وهو ابن سبع عشرة سنة، قتل داهر بن صصة ملك السند، وهو على جيش من قبل الحجاج بن يوسف، واستمر في ولايته سبع عشرة سنة، وكان ذو شجاعة وإقدام وخبرة عسكرية عالية. ينظر: ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص ٣٠٤؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٦ ص ٢٩٤.
- (٣) علي الطنطاوي: رجال من التاريخ، ص ٩٦؛ وينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٨، ٢١.
- (٤) وعلق على ذلك الذهبي قائلاً: "ولكنه نال ما نال بالشجاعة والرأي والدهاء والسعد والإقدام وكثرة الفتوحات ووفور الهيبة". ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٣٤١.

والغاية، فوُفِّقَ في مسعاه، بل هو الذي رفع من شأن قبيلته وسط القبائل الأخرى بما كسبه من مجد وذكر رفيع بسبب فتوحاته العظيمة.

"هو الشاب الذي اختاره الحجاج دون الكهول المجربين والقواد المشهورين؛ ليتولي القيادة العامة لجيش المشرق ليكون خلفاً للقائد العظيم - الذي لا أحد من قوادنا أشبهه بخالد في عبقريته وبراعته منه - المهلب^(١)، والذي عجب الناس من انتخابه لها وأنكروه، ولولا خوفهم من الحجاج لعابوه وأبوّه، فلم تمض إلا مدة من الزمان حتى أثبت أنه من أقدر القواد، وأن الحجاج كان ثاقب النظر، صادق الفراسة، عظيم الخبرة بالرجال^(٢). إنه أبو حفص: قتيبة^(٣) بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة^(٤) بن خالد بن أسيد الخير بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الباهلي^(٥).

(١) وقال أهل التاريخ: بلغ قتيبة بن مسلم في غزو الترك والتوغل في بلاد ما وراء النهر، وافتتاح القلاع، واستباحة البلاد، وأخذ الأموال، وقتل الفتاك مالم يبلغه المهلب بن أبي صفرة، ولا غيره. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج٤ ص٨٧.

(٢) علي الطنطاوي: رجال من التاريخ، ص٩٦.

(٣) القُتُبُ والقُتَبُ: إكافُ البعير، وقد يؤنث والتذكير أعم؛ ولذلك أنشوا التصغير فقالوا قُتَيْبَةٌ، قال الأزهري ذهب الليث إلى أن قُتَيْبَةٌ مأخوذ من القُتَبُ قال وقرأتُ في فُتُوحِ خُرَاسَانَ أَنَّ قُتَيْبَةَ بن مسلم لما أوقع بأهل خُوَارِزْمَ وأحاط بهم أتاه رسولهم فسأله عن اسمه فقال قُتَيْبَةٌ فقال له لستَ تفتَحُها إنما يفتَحُها رجل اسمه إكاف، فقال قُتَيْبَةٌ فلا يفتَحُها غيري واسمي إكاف، قال وهذا يوافق ما قال الليث. ابن منظور: لسان العرب، ج١ ص٦٦٠.

(٤) المرزبانى: معجم الشعراء، ص٢١٢؛ ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص٢٤٦.

(٥) ينظر: السمعاني: الأنساب، ج١ ص٢٨٩؛ الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص١٣٧٠.

وهكذا فقد برهن قتيبة على فطنة الحجاج وبعد نظره وعظيم خبرته، ولم لا وهو رجل السياسة والحرب والقبضة الحديدية في العراق والمشرق الإسلامي؛ كما استطاع قتيبة - بشجاعته وإقدامه وإيمانه العميق بالله تعالى - أن يجعل له مكاناً بارزاً وسط الأبطال الكبار بعد أن كان غير معروف خاصة وأنه كان من قبيلة باهلة قليلة الشهرة والذكر.

▣ أهله:

وأما أبوه فهو مسلم بن عمرو الباهلي^(١)، وكان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية^(٢) - حتى وصفه بعض الشعراء للمبالغة بأنه جدير بالخلافة، إذا ما خرجت من قريش - كما كان هو المسئول عن سجن البصرة^(٣)، وذلك أثناء فتنة

(١) ينظر: السمعاني: الأنساب، ج١ ص ٢٨٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص ٣٤٠.

(٢) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٥ ص ١٨٩، ١٩٠؛ مجلة صوت الأزهر، ص ١٠. ويزيد بن معاوية ابن أبي سفيان: بن حرب بن أمية، الخليفة، أبو خالد، القرشي، الأموي، الدمشقي، له على هناته حسنة، وهي غزو القسطنطينية، وكان أمير ذلك الجيش، وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري؛ عقد له أبوه بولاية العهد من بعده، فتسلم الملك عند موت أبيه في رجب سنة ستين، وله ثلاث وثلاثون سنة؛ فكانت دولته أقل من أربع سنين؛ وكان يزيد قوياً شجاعاً، ذا رأي وحزم، وفطنة وفصاحة، وله شعر جيد، وكان فظاً، غليظاً، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقتة الناس لذلك، توفي يزيد رَضِيَ اللهُ فِي نِصْفِ رَيْبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ. ينظر: المعافري المالكي: العواصم من القواصم، ج١ ص ٢٤٥؛ ابن حجر: لسان الميزان، ج٦ ص ٢٩٣.

(٣) والبَصْرَةُ والبَصْرَةُ والبَصْرَةُ: أرض حجارها جِصٌّ، وبها سميت البَصْرَةُ، وهي محدثة إسلامية بأرض العراق، بنيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثمان عشرة من الهجرة، ولما نزلها المسلمون كتبوا إليه: إِنَّا نَزَلْنَا أَرْضًا بَصْرَةً، فَسُمِّيَتْ بَصْرَةً. ينظر: الرازي: مختار

المختار^(١)، ولكنه انضم فيما بعد إلى صف مصعب ابن الزبير^(٢)، وقتل معه^(٣)

الصحاح، ص ٣٧؛ الفراهيدي: كتاب العين، ج ٧ ص ١١٨، والبصرة أيضًا: بلد في المغرب في أقصاه قرب السوس خربت؛ وأهلها ينسبون إلى السلامة، والخير، والجمال، وطول القامة، واعتدال الخلق. معجم البلدان، ج ١ ص ٤٤١؛ وينظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.

(١) هو المختار بن أبي عبيد: بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن ثقيف الثقفي، أبو إسحاق؛ ووالده أبو عبيد كان من خيار الصحابة، استشهد يوم الجسر في خلافة عمر بن الخطاب، وإليه نسبت الوقعة فيها جسر أبي عبيد؛ ولد المختار عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رواية؛ وكان المختار - قبل ذلك - معدود في أهل الفضل والدين إلى أن طلب الإمارة وادعى أنه رسول محمد بن الحنفية في طلب دم الحسين، وكانت إمارته ستة عشر شهرًا. ينظر: ابن حبان: الثقات، ج ٤ ص ٣٩٠؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦ ص ٣٤٩، ٣٥٠، ج ٧ ص ٢٦٧.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٥؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢٦ ص ٨٠٧٦. ومصعب بن الزبير بن العوام: بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أبو عبد الله أمير العراق لأخيه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، ولد سنة (٣٣هـ) في خلافة عثمان؛ وكان مصعب جميلًا، جوادًا، شجاعًا، وله في ذلك أخبار كثيرة؛ قال محمد بن عمر: وولى عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير العراق فبدأ بالبصرة فنزلها، ثم خرج في جيش كثير إلى المختار بن أبي عبيد وهو بالكوفة فقاتله حتى قتله وبعث برأسه إلى أخيه عبد الله بن الزبير، وفرق عماله في الكور والسواد. ينظر: ابن خياط: الطبقات، ص ٢٤١؛ أبو حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ج ٨ ص ٣٠٣، ابن حجر: تعجيل المنفعة، ج ١ ص ٤٠٣.

(٣) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٨٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥ ص ٣٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٥، وذلك عندما صفا الشام لعبد الملك اعترم علي غزو العراق، وسار مصعب أيضًا يقصد الشام، فالتقى الجمعان (بدير الجثالثق من مسكن)، فخان مصعبًا بعض جيشه ولحقوا بعبد الملك، وكان عبد الملك قد كتب إليهم يعدم ويمنيهم حتى أفسدهم، وجعل مصعب كلما قال لمقدم من أمرائه: تقدم لا يطيعه، واستظهر عبد الملك فأرسل إلى مصعب يبذل له الأمان، فقال: إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموطن إلا غالبًا أو مغلوبًا، ثم إنهم أثنخوه بالرمي، ثم شد عليه زائدة الثقفي - من أصحاب المختار - فطعنه وقال: يا لثارات المختار، وقتل مع مصعب ولداه عيسى وعروة، وإبراهيم بن الأشتر

سنة (٧٢هـ/ ٦٩١-٦٩٢م) (١) (في معركة مَسْكِن (٢)) عندما انتهت سيادة مصعب علي العراق، بعد فشله في الحصول على عفو الخليفة عبد الملك ابن مروان (٣).
وله من الأولاد تسعة وهم: "سلم (٤)

سيد النخع وفارسها، ومسلم بن عمرو الباهلي. الذهبي: العبر في تاريخ من غير، ج١ ص ٨٠، ٨١.

(١) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٨؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥ ص ١٨٣، قلتُ: وقد خالفت بعض المصادر، فذكرت أنه توفي سنة إحدى وسبعين، وهذا الرأي الثاني في نظري هو الأقرب إلي الصواب، قال ابن كثير في البداية والنهاية "وهو رأي الجمهور"، والله أعلم. ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨ ص ٣٠١.

(٢) مَسْكِن: قال أبو منصور يقال للموضع الذي يسكنه الإنسان مَسْكِن ومَسْكَن، وهو شاذ في القياس لأنه من سكن يسكن، فالقياس مَسْكِن بفتح الكاف؛ وهو موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجثالث، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة (٧٢هـ)، فقتل مصعب وقبره هناك معروف. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥ ص ١٢٧؛ وينظر: الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤ ص ٧٠٥.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٥٦٧: ٥٧٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨ ص ٢٩٩: ٣٠١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٣٤. وعبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، الأموي، أبو الوليد المدني، ثم الدمشقي، أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة بعد أبيه مروان بن الحكم بعهد منه، كان عابداً ناسكاً قبل الخلافة، وشهد يوم الدار مع أبيه، وهو بن عشر سنين، وحفظ أمرهم وحديثهم، واستعمله معاوية على أهل المدينة، وهو يومئذ ابن ست عشرة سنة، فركب بالناس البحر، وكان قد جالس العلماء والفقهاء وحفظ عنهم، وكان قليل الحديث، وتوفي يوم الخميس النصف من شوال سنة ست وثمانين، وكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر، وخلف سبعة عشر ولداً، ولي الخلافة منهم من شوال سنة أربعة. ينظر: خليفة بن خياط: الطبقات، ص ٢٤٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٢٢٨: ٢٣٠؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج١ ص ٩١، ٩٢.

(٤) أبو عبد الله الباهلي الخراساني، ولي البصرة مرتين: مرة لابن هبيرة، ومرة لأبي جعفر

وإبراهيم وقطن وكثير^(١) والحجاج وعبد الرحمن ومسلم ويوسف وعمر^(٢).
وله من الإخوة اثنا عشر وهم: "عبد الرحمن^(٣) وعبد الله وصالح وحصين
وعبد الكريم وضرار^(٤) وبشار^(٥) وزيايد وحماد وزريق وعمر^(٦) ومعبد، وكلهم
أشراف سادات أجواد وكان سيدهم بشار^(٧)."

ومن أحفاده: الأمير أبو محمد سعيد^(٨) بن سلم بن قتيبة بن مسلم الذي
ولي أرمينية والموصل والسند وسجستان، كان سيِّدًا كبيرًا ممدحًا، وكان فارسًا

المنصور، وكان سيد قومه، ومن الموثوق بهم في الدولتين (الأموية والعباسية)، وكان من
عقلاء الأمراء، عادلاً، حسنت سيرته، ومات بالري سنة تسع وأربعين ومائة، وكان له أولاد:
سعيد وإبراهيم وعمر وقطن. ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٥ ص ١٨٧،
ج٢٤ ص ١٤٨.

- (١) ولي سجستان وقتل مع أبيه. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤ ص ١٤٨.
- (٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤ ص ١٤٨؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٧٤.
- (٣) شريف، من القادة الشجعان، وكان مع قتيبة في ولايته وغزواته وقتل معه بفرغانة
(٩٦هـ/٧١٥م). الزركلي: الأعلام، ج٣ ص ٣٣٧ بتصرف بسيط.
- (٤) يروى عن أنس بن مالك، وروى عنه عمر بن أبي خليفة. ابن حبان: الثقات، ج٤ ص ٣٩٠؛
وينظر: ابن حجر: لسان الميزان، ج٤ ص ٣٠١، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن
معبد بن سعد بن زرارة. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٧٤.
- (٥) وينسب إليه نهر بشار بالبصرة، الذي ينزع من الأبله، وعلته ذلك أنه قد أهدى إلى الحجاج
فرسًا فسبق عليه الخيل فأقطعه سعمائة جريب وقيل أربعمائة جريب فحفر لها نهرًا نسب إليه.
ينظر: معجم البلدان، ج٥ ص ٣١٨.
- (٦) كان عامل الجوزجان. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٧٤.
- (٧) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤ ص ١٤٨؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٧٤.
- (٨) أبو محمد الباهلي، بصري الأصل، قدم بغداد وحدث بها، وكان عالمًا بالحديث والعربية إلا
أنه كان لا يبذل نفسه للناس. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩ ص ٧٤.

جوادًا، له أخبار ومناقب، وهو والد عمرو بن سعيد، مات زمن المأمون سنة (٢١٧هـ) (١)؛ "وفيه يقول عبد الصمد بن المعدل:

كَمْ يَتِيْمٍ نَعَشْتَهُ بَعْدَ يُتْمٍ وَفَقِيرٍ أُغْنَيْتَهُ بَعْدَ عُدْمٍ
كَلَّمَا عَضَّتِ النَّوَائِبُ نَادَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ (٢)

وهكذا فقد رأينا كيف استطاع مسلم بن عمرو بفروسيته وبطولته أن يرتفع عن من سواه في نظر يزيد بن معاوية برغم أنه من قبيلة باهلة، كما رأينا كيف كان من إخوة الأمير قتيبة وأبناءه جماعة القادة والأمرء في البلدان، وكذلك من أحفاده أيضًا؛ وقد ظلت ذريته متمتعة بنفوذها طوال الفترة الأخيرة من العصر الأموي وأوائل العصر العباسي.

▣ قبيلته باهلة ونظرة العرب إليها:

وباهلة: قبيلة من قيس بن عيلان، من العدنانية (٣)؛ فهي من أصرح القبائل العربية نسبًا (٤)؛ وهم بنو سعد مناة (٥) بن مالك بن أعصر (٦) بن سعد بن قيس بن

(١) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص ٣٤١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥ ص ١٤٠.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥ ص ١٤٠.

(٣) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١ ص ٦٠؛ وينظر: أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٨٠.

(٤) د/ خالد محمد القاسمي: موسوعة الأنساب العربية، ص ٢٧.

(٥) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١ ص ٦٠، وقيل باهلة: هم بنو مالك ابن أعصر، نسبوا إلي أمهم باهلة، وهم: معن وحارثة وسعد مناه أمهم باهلة. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١ ص ٦٠، حاشية رقم ١.

(٦) أعصر، واسمه منبه بن سعد. المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٣٢؛ عمر رضا كحالة: معجم

مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(١).

وسموا بباهلة بنت صعيب بن سعد العشيرة^(٢) - من مزحج^(٣) - بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب، بن قحطان^(٤)؛ تزوجها مالك بن أعصر^(٥)، ثم ابنه معن بن مالك فولدت لهما أولادًا، وحضنت أولادهما من غيرهما فنسب جميعهم إلى باهلة^(٦)، ومن

قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١ ص ٦٠.

(١) ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٣٢؛ د/ خالد محمد القاسمي: موسوعة الأنساب العربية، ص ٢٧؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١ ص ٦٠.

(٢) ابن أبي جرادة: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د/ سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ج١ ص ٥٤٠؛ د/ خالد محمد القاسمي: موسوعة الأنساب العربية، ص ٢٧.

(٣) ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٥؛ د/ خالد محمد القاسمي: موسوعة الأنساب العربية، ص ٢٧، ومذحج في الأصل من همذان، ينظر: المطهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج٤ ص ١٢٣.

(٤) المزني: تهذيب الكمال في معرفة الرجال، ج١٣ ص ١٦٠؛ وينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩ ص ٤١٥.

(٥) ينظر: ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٥؛ د/ خالد محمد القاسمي: موسوعة الأنساب العربية، ص ٢٧.

(٦) ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٥؛ د/ خالد محمد القاسمي: موسوعة الأنساب العربية، ص ٢٧، وكانت منازلهم بأرض اليمامة، ومن جبالهم: بدر وأرمم، بذبل، شمام، ومن مياهمهم: ثجر، وعكاش، والهبايد، الحفير، وفي بلادهم معدن للفضة يقال له عوسجة، ومن مشاهدهم يوم جبلة. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١ ص ٦٠، وقيل: ليس لباهلة بادية، والمنسوبون إليها أسر متحضرة منتشرة في أرجاء نجد، ومن هذه الأسر: آل عبد اللطيف في شكرا وأشكير، وآل الرشيد في السر، وآل عويويد في الأثلة ونبعة، وآل غانم في ثرمدا والمربع وآل سويدان في أثيفة وغيرهم. د/ خالد محمد القاسمي:

باهلة الأصمعي^(١) العالم، وراويّة الشعر المشهور، أدرك النبي ﷺ.

وكذلك أبوه مظهر، وأسلمًا جميعاً^(٢). ومنها أيضًا: محمد بن حازم الباهلي^(٣)، أبو جعفر مولى باهلة، كان يقول المقطعات فيحسن؛ فهو القائل: **ياراقد الليل مسرورًا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً**^(٤) وقيل باهلة: قبيلة مرزولة بين العرب^(٥)، وكانت العرب تستنكف من الانتساب إليها^(٦) كما قيل:

موسوعة الأنساب العربية، ص ٢٧.

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن رباح بن عبد شمس بن أعيان بن سعد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان (ت ٢١٥ أو ٢١٦هـ). ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٥؛ وينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٦ ص ٣٦٨؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج ٥ ص ٤٢٨؛ ابن حبان: الثقات، ج ٨ ص ٣٨٩؛ أبو حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ج ٥ ص ٣٦٣، ويقال أن قريباً لقب، واسمه عاصم، وكنيته أبو بكر. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨ ص ٤٧٤؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٦ ص ٣٦٨، وهو أبو سعيد الأصمعي الباهلي البصري، صاحب اللغة والنحو والعربية والأخبار والملح، سلك البراري والبلاد وصحب الأعراب وأخذ الأدب من معدنه، مات سنة خمس عشرة ومائتين، وكان قد بلغ ثمانياً وثمانين سنة، ومات بالبصرة. ينظر: السمعاني: الأنساب، ج ١ ص ١٨٦.

(٢) ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٦، ٢٤٥ بتصرف يسير.

(٣) هو محمد بن حازم بن عمرو، أبو جعفر الباهلي، الشاعر، ولد بالبصرة ونشأ بها، وانتقل إلى بغداد فسكنها، ومدح من الخلفاء المأمون خاصة، وكان حسن الشعر، مطبوع القول. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢ ص ٢٩٥.

(٤) ينظر: المرزبانى: معجم الشعراء، ص ٣٧١، ٣٧٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥ ص ٣٤٠؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٦؛ مجلة العربي الكويتية، ص ٦٣.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٩٠؛ السمعاني: الأنساب، ج ١ ص ٢٨٩.

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله^(١)
وقال آخر:

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب^(٢)
وقيل:

إذا نص الكرام إلى المعالي تنحى الباهلي عن الزحام
إذا ولدت حيلة باهلي غلاماً زيد في عدد اللئام
ولو كان الخليفة باهلياً لقصر عن مسامة الكرام^(٣)
وعن قتيبة أنه قال لهريرة بن مسروح: أي رجل أنت لو كان أخوالك من
غير سلول فلو بادلت بهم، قال: أصلح الله الأمير بادل بهم من شئت وجنبي
باهلة^(٤).

وقيل لبعض العرب: أيسرك أنك باهلي وأنت دخلت الجنة قال: أي والله
بشرط أن لا تعلم أهل الجنة أنني باهلي^(٥). ويروي أن أعرابياً لقي آخر فقال ممن
أنت قال: من باهلة فرثي له الأعرابي فقال: وأزيدك إني لست من صميمهم بل
من مواليهم^(٦) فأخذ الأعرابي يقبل يديه ويقول: ما ابتلاك الله بهذه الرزية في

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٣٤٠.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٩٠.

(٣) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية الكبرى، ج١ ص ٢٧١؛ العكري الدمشقي: شذرات
الذهب، ج١ ص ١٩٨.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٩٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٣٤١.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٣٤١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٧٦.

(٦) لكلمة "موالي" معان عدة في اللغة والشرع والاصطلاح التاريخي: ففي اللغة: يطلق لفظ

الدنيا إلا وأنت من أهل الجنة^(١).

وقيل لأبي عبيدة: يقال إن الأصمعي دعي في النسب إلى باهلة فقال: هذا ما لا يمكن فقيل: ولم؟ قال: لأن الناس إذا كانوا من باهلة تبروا منها فكيف يجيء من لا هو منها فينتسب إليها؟!^(٢).

ويقال: إن الأشعث بن قيس الكندي^(٣) قال لرسول الله ﷺ: أتتكافأ دماؤنا؟

الموالى على عدة معاني تدور حول المحبة والنصرة، فيطلق على الرب والمالك، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ويطلق على أبناء العم والعصبية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ [مريم: ٥]، ويطلق على الناصر والمعين، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرَانَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، وفي الشرع: تطلق كلمة "موالى" على معنيين: مولى العتاقة: وهو الرقيق الذي أعتقه سيده، فزال الرق عنه وبقي الولاء، ومولى المولاة: وهو الذى ينتمى إلى شخص أو قبيلة، فينسب إليها ويصير فيها بالولاء، وفي الاصطلاح التاريخي: يطلق لفظ الموالى ويراد به المسلمون غير العرب. د/ حمدى شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها، ص ٣٥١ حاشية رقم ١؛ وينظر: محمد إبراهيم سليم: الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية وسفاح العراق، ص ٥٣ حاشية رقم ١.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥ ص ٣٤١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٩٠.

(٣) هو الأشعث بن قيس: بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن ثور، الكندي، وفد على النبي ﷺ سنة عشر في سبعين ركباً من كندة، وكان من ملوك كندة، وأخرج البخاري ومسلم حديثه في الصحيح، وكان الأشعث قد ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأسر فأحضر إلى أبي بكر فأسلم فأطلقه وزوجه أخته أم فروة؛ ثم شهد الأشعث اليرموك بالشام، والقادسية، وغيرها بالعراق، وسكن الكوفة، وشهد مع علي صفين، وله معه أخبار، وروى غير واحد أنه مات بعد قتل علي ﷺ بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي. ينظر: ابن حبان: الثقات، ج ٣ ص ١٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١ ص ٨٧، ٨٨.

فقال: نعم، لو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك به^(١). وكما سبق لم تسلم قبيلة باهلة من هجاء بعض الشعراء لها، ومن هؤلاء الشعراء أيضاً: العدل بن عمرو، أحد بني ميثاء^(٢) من بني طهية^(٣)، حيث يقول:

إِذَا بَاهِلِيٌّ عِنْدَهُ حَنْظَلِيَّةٌ لَهَا وَلَدٌ مِنْهُ فَذَاكَ الْمُدْرَعُ^(٤)
يقول أيضاً:

يَا رَبَّنَا فَبِحَحْنِ بَاهِلَةَ أَكْثَرَ حَيِّ جَاهِلًا وَجَاهِلَةً
سُودَاءَ كَالسَّيْدِ سُرُوقًا بَاخِلَهُ تَشُدُّ أَعْيَارًا بِجَنْبِ السَّاحِلَةِ^(٥)
وَسُئِلَ حَسِينُ بْنُ بَكْرِ الْكَلَابِيِّ النَّسَابَةَ عَنِ السَّبَبِ فِي اتِّضَاعِ بَاهِلَةَ وَغَنِي^(٦)
عِنْدَ الْعَرَبِ فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمَا غِنَاءٌ وَشَرَفٌ وَلَمْ يَضْعُفَا إِلَّا إِشْرَافَ أَحْوِيهِمَا

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٩٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٧٦. قلت:

والحديث لا أصل له.

(٢) ميثاء: وهي بنت شيبان بن ربيعة بن أبي سود، وبها يعرفون. المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٧١.

(٣) طُهِيَّةٌ: حيٌّ من العرب النَّسْبَةُ إليه "طُهويٌّ" بالضمِّ والفتح، وكان في القياس طُهويٌّ فَصُغَّرَ ففيل: طُهِيَّةٌ؛ وأصل طهية من تميم. ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص ١٢٩؛ الفراهيدي: كتاب العين، ج٤ ص ٧٥؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج١ ص ١٦٨٧.

(٤) ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٧١، الْمُدْرَعُ مِنَ النَّاسِ: مَنْ أُمَّهُ أَشْرَفٌ مِنْ أَبِيهِ، والمقرف الذي داني الهجته من قبل أبيه. ينظر: الأزهري: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ص ٣٢٠؛ الحربي: غريب الحديث، ج١ ص ٢٧٨.

(٥) ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٧١.

(٦) غَنِيٌّ: وهي قبيلة مثل باهلة، وهي من عمرو بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وهو أخو مالك بن أعصر الذي تنسب إليه باهلة. ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٤، ٢٤٧ بتصرف يسير.

فزاره^(١) وذيان عليهما بالمآثر فدنوا بالإضافة إليهما^(٢)، ومعنى ذلك أنهما ليسا بوضيعين ولا مرزولين كما يتوهمه البعض، بل كان الأمر على خلاف ذلك.

"وإذا كان الإسلام الخالد قد جاء بالمساواة العادلة^(٣) بين القبائل والشعوب فإن فريقتاً ممن سرت في عروقهم دماء الجاهلية كانوا ينظرون إلى قبيلة باهلة نظرة شزراء، ويرونها دون القبائل العربية مجادة وبطولة^(٤)، فنظموا في هجائها الأبيات الفاحشة، وعدوا - بوحى من عصبيتهم - الانتساب إليها

(١) وفزاره: أبو حَيٍّ من غَطَفَان وهو فزاره بن ذبيان. الفراهيدي: كتاب العين، ج٧ ص٣٦٢.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٩١، والعرب تقول لَعَنِيَّ وباهلة بنو دُخَان، قال الطرمّاح: يَا عَجَبًا لَيْشُكَّرَ إِذَا أَعَدَّتْ لِنَصْرِهِمْ رُؤَاةَ بَنِي دُخَانٍ، وقيل: سموا به لأنهم دَخَنُوا على قوم في غار فقتلُوهم، وحكى ابن بري: أنهم إنما سُمُّوا بذلك لأنه غَزَاهم مَلِكٌ من اليمين فدخل هو وأصحابه في كهف فنَدِرَت بهم غنِيَّ وباهلة فأخذوا باب الكهف ودَخَنُوا عليهم حتى ماتوا. ابن منظور: لسان العرب، ج١٣ ص١٤٩.

(٣) وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]، أي أنكم جميعاً منحدرون من أب واحد وأم واحدة، فلا فضل لأحدكم على الآخر بحسب عنصره وطبيعته، وإنما التفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح، وقد أكد على هذا المبدأ رسول الله ﷺ حيث يقول "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى". ينظر: ابن حنبل: المسند، ج٥ ص٤١١؛ البيهقي: شعب الإيمان، ج٤ ص٢٨٩؛ الألباني: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج٣ ص٧٩.

(٤) فقد كان العرب في جاهليتهم يتمايزون ويتفاخرون بالأنساب والأحساب، بل كانوا يفضلون بعض البطون على بعض في القبيلة الواحدة، هذا فضلاً عن تفاضل القبائل بعضها على بعض، وقد كانت جل خصوماتهم وحروبهم منشؤها الحقيقي تلك العصبية التي دفعتهم إلى حد التعصب. ينظر: د/ عبد المعطي محمد بيومي: الإسلام والدولة المدنية، ص١٣٢؛ د/ طه حسين: فلسفة بن خلدون الاجتماعية، ص٩٩.

ضعة مهينة" (١).

"ولولا المساواة العادلة التي سنّها الإسلام في الشعوب والقبائل ما اختارت الدولة الإسلامية من باهلة قائداً يفخر بأمجاده كل عربي يعتز بلغته ودينه، ثم هو في الوقت نفسه برهان عملي يقدمه الإسلام على صدق دعوته الرفيعة إلى تكافؤ الفرص والمساواة" (٢).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا كيف كانت نظرة العرب إلى قبيلة باهلة وأنها لم تسلم من هجاء كثير من الشعراء لها، غير أن الأمير قتيبة بن مسلم - ووالده من قبله - قد رفع من شأن هذه القبيلة المتواضعة - بما كسبه من مجد وشرف من خلال فتوحاته - إلى مصاف القبائل العريقة، ولولاه لأصبحت هذه القبيلة في طي النسيان.

❏ دخول قبيلة باهلة في الإسلام:

وأما عن دخول باهلة في الإسلام فقد جاء في ذلك روايتين، أما الرواية الأولى: فهي عن أبي أمامة الباهلي (٣) يقول فيها: "بعثني رسول الله ﷺ إلي

(١) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٥.

(٢) محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٥، ٥٦؛ مجلة صوت الأزهر، ص ١٠، وذكر أن عبد الله بن مسلم استأذن أخاه قتيبة مرة في أن يكلم الحضير بن المنذر الرقاشي على جهة التعبث به، وكان عبد الله بن مسلم يحمق فنهاه قتيبة عن كلام الحضير، وقال هو باقعة العرب وداهية الناس ومن لا تطيقه، فخالفه وأبى إلا كلامه. ابن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٦ ص ٢٨٣٠، ٢٨٢٩ بتصرف يسير.

(٣) أبو أمامة هو: صُدَى بن عجلان بن عمرو، أبو أمامة الباهلي، له صحبة ورواية، وهو راوي حديث "تلقين الميت بعد الدفن"، وأرسله رسول الله ﷺ إلى قومه فأسلموا، وسكن حمص،

باهلة فأتيتهم وهم على طعام فرحبوا بي وأكرموني وقالوا: تعال فكل، فقلت: جئت لأنهاكم عن هذا الطعام^(١) وأنا رسول رسول الله إليكم لتؤمنوا، فكذبوني وزبروني^(٢)، فانطلقت وأنا جائع ظمآن قد نزل بي جهد شديد، فمنت فأوتيت في منامي بشربة من لبن، فشبعت ورويت وعظم بطني، فقال القوم، أتاكم رجل من خياركم وأشرافكم فزبرتموه، اذهبوا إليه فأطعموه من الطعام والشراب ما يشتهي، فأتوني بطعام فقلت: ما لي حاجة في طعامكم وشرابكم فإني قد أطعمني ربي وسقاني، فنظروا إلى حالي التي أنا عليها فأمنوا بي وبما جئت من عند رسول الله ﷺ^(٣)."

توفي سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وروى له الجماعة، وقال أبو أمامة لما نزلت لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، قلت: يا رسول الله أنا ممن يابعدك تحت الشجرة قال: يا أبا أمامة أنت مني وأنا منك، ولما مات خلف ابناً يقال له المغلس، وكان آخر من بقي بالشام من الصحابة. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤ ص٤٢٨، ٤٢٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٦ ص١٧٧؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣ ص٤٢٠.

(١) ولعل هذا الطعام كان مما حرمه الله، أو نهى عنه رسول الله ﷺ، فقد ورد في بعض المصادر أن هذا الطعام كان دماً كما في رواية ابن حجر، "فعن أبي غالب عن أبي أمامة قال بعثني رسول الله إلى قوم فانتهيت إليهم وأنا طاوٍ وهم يأكلون الدم فقالوا هلم قلت إنما جئت أنهاكم عن هذا..... الخ"، ينظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣ ص٤٢٠.

(٢) أي ونهروني، وجاء في لسان العرب: زبره بالحجارة رماه بها، وزبره يزيه بالضم عن الأمر زبراً: ناه وانتهره، وفي الحديث إذا رددت على السائل ثلاثاً فلا عليك أن تزيره أي تنهره وتغلظ له في القول والرد، والزبر بالفتح: الزجر المنع. ابن منظور: لسان العرب، ج٤ ص٣١٥.

(٣) ابن عمرو الشيباني: الأحاد والمثاني، ج٢ ص٤٤١؛ الطبراني: المعجم الكبير، ج٨ ص٢٨٦؛ الألباني: السلسلة الصحيحة، ج٦ ص٢٠٩.

وأما الرواية الثانية فنقول: أنه قدم على رسول الله مطرف بن الكاهن الباهلي بعد الفتح وافداً لقومه فأسلم وأخذ لقومه أماناً وكتب له رسول الله كتاباً فيه فرائض الصدقات، ثم قدم نهشل بن مالك الوائلي من باهلة على رسول الله وافداً لقومه أيضاً فأسلم وكتب له رسول الله وللمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام وكتبه عثمان بن عفان^(١).

وعلى أية حال فقد امتن الله على تلك القبيلة بأنها أسلمت في حياة النبي ﷺ، وبدون حرب ولا قتال، وإذا كانت قد مرت بفترة انحطاط وعدم مطاولتها للقبائل الأخرى العريقة، فإنه قد علا شأنها وارتفع ذكرها بظهور بعض القادة الشجعان والفرسان المغاوير فيها من أمثال الأمير قتيبة بن مسلم وغيره.



(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٣٠٧، بتصريف يسير.



المبحث الثاني: مولده ونشأته

ولد قتيبة بن مسلم في عهد معاوية بن أبي سفيان بالبصرة (عام ٤٩هـ/ ٦٦٩م)^(١)، ولقب بالأمير أبي حفص^(٢)، وكان يكنى بأبي صالح^(٣)؛ وهو من التابعين^(٤)، وقد سمع من عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما^(٥).

وينتمي الأمير قتيبة بن مسلم إلي عائلة ذات نفوذ في البلاط الأموي فضلاً عن أملاك كبيرة في البصرة^(٦).

ولقد ظلت عائلته تتمتع بمكانة سامية في البصرة^(٧)، ويذكر أنه كان يُوجد

(١) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٨٨؛ المرزباني: معجم الشعراء، ج١ ص٦٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص١٤؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص٨٠٧٦؛ مجلة صوت الأزهر، ص١٠، وقيل ولد قتيبة بن مسلم يوم قتل الخطيم وذلك سنة تسع وأربعين. تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٤٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج٤ ص٨٦ بتصرف يسير؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص٣٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٦٧؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص٨٠٧٦.

(٣) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١ ص٢٣٣.

(٤) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج١ ص٢٣٣.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص٣٢٢٦.

(٦) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص٨٠٧٦.

(٧) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص٨٠٧٦.

هناك مسجد قبلي^(١) لعشيرة باهلة يُعرف باسم مسجد بني قتيبة^(٢).

ولقد نشأ قتيبة في بيت يهيم بالفروسية والبطولة، فأبوه مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي كان مضرب المثل في الفتوة والبسالة، وكان له فرس من عتاق الخيل، يسمى "الحرون"^(٣) لا يمتطيه غير ذوي البأس والثبات من فرسان البادية المغاوير، فشب قتيبة ولده طامحاً للمجد والرياسة عن طريق الفتوة والبطولة^(٤)؛ كما أنه نشأ في الدولة المروانية^(٥)، وقد استلقت قتيبة انتباه الحجاج بن يوسف والي العراق والمشرق^(٦) بعد اشتراكه في الحرب ضد حركة عبد الرحمن بن الأشعث التمردية^(٧).

وبعد أن نجح قتيبة في القضاء علي تمرد عمر بن أبي الصلت عين والياً علي الري في سنة (٨٣هـ / ٧٠١م) في أيام عبد الملك بن مروان^(٨)، ثم ولي

(١) أي مسجد صغير للصلوات الخمس فقط. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٧٦.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ص ٨٠٧٦.

(٣) وكانَ الحَرُونُ (بن الخَزَزِ ابنِ الوَثِمِيِّ بنِ أَعْوَجَ) لِمُسْلِمِ بنِ عَمْرِوِ البَاهِلِيِّ، وكان من أَبْصَرِ الناسِ بالخَيْلِ؛ ولذا لُقِّبَ بالسَّائِسِ، اشْتَرَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ، سَبَقَ النَّاسَ دَهْرًا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ فَرَسٌ، ثم افْتَحَلَهُ فلم يُنْتَجِ إِلَّا سَابِقًا. فَلَمَّا ماتَ مُسْلِمٌ ووَرَدَ الحَجَّاجُ أَخَذَ البُطَيْنَ بنَ الحَرُونِ من قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمِ فبعث به الي عبد الملك فوهبه عبد الملك لابنه الوليد فسبق الناس عليه ثم استنجه؛ ولقد كان الحرون من الفحول المشاهير كما كان يضرب به المثل في السبق. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣ ص ١١٠.

(٤) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٥؛ مجلة صوت الأزهر، ص ١٠.

(٥) الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ١٨٩، ١٩٠؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٤، ١٥.

(٦) لأنه كان أمير العراقين، وكل من كان يليهما كانت خراسان مضافة إليه. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٨٦.

(٧) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٧٦؛ وينظر: مجلة العربي الكويتية، ص ٦٢، ٦٣.

(٨) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٨٦؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٧٦؛

خراسان في أيام ابنه الوليد^(١)، وذلك سنة (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م)^(٢).

وهكذا فقد نشأ الأمير قتيبة نشأة عظيمة وقضى جزءاً كبيراً من حياته بأرض العراق ثم اتصل بعد ذلك بخدمة الدولة الأموية في مناطق أخرى أثبت فيها كفاءته وبطولته؛ الأمر الذي جعل الحجاج بن يوسف يعطيه جزءاً كبيراً من ثقته واهتمامه.



- الزركلى: الأعلام، ج٥ ص ١٨٩، ١٩٠؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٢٤.
- (١) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولد حوالي سنة ٥٠هـ، وهو أكبر أولاد أبيه، وكان يكنى بأبي العباس، وكان عبد الملك حريصاً على تربية أولاده تربية عربية إسلامية، كما كان يحثهم على مكارم الأخلاق، وقد شب الوليد على الصلاح والتقوى، وحب القرآن الكريم والإكثار من تلاوته، ولقد بويح له في اليوم الذي توفي فيه أبوه، فذكر أنه لما دفن أباه وانصرف عن قبره، دخل المسجد فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فخطب فقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون! والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة، قوموا فبايعوا" فكان أول من عزى نفسه وهنأها؛ والحقيقة أن الوليد جنى ثمار غرس أبيه؛ الذى ترك دولة مستقرة قوية آمنة مطمئنة، وكان عهده عهد فتوحات كبرى وبناء وتعمير، فقد شهد هذا العهد المبارك فتوحات رائعة في الشرق والغرب، وبرز فيه عدد من القواد العظام. مات يوم السبت في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ؛ وكانت دولته عشر سنين، وتوفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر. وترك أربعة عشر ولداً، وخلفه أخوه سليمان. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٤٢، ج٤ ص ٢٨: ٣٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٢٩٧، ٢٩٨؛ د/ عبد الحليم عويس: بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهار الداخلي، ص ٢٩؛ د/ عبد الله كامل موسى عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، ص ٦٢: ٦٧، ٩٣، ٩٧.
- (٢) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١ ص ٧٧١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبى، ج٢ ص ٢٩٥.



المبحث الثالث: صفاته وأخلاقه

لقد كان الأمير قتيبة بن مسلم من كبار أمراء بني أمية^(١) وخيرتهم، وكان شهماً مقدماً نجيباً، هزم الكفار غير مرة وافتتح عدة مدن^(٢).

يقول عنه الإمام ابن كثير رحمته الله: "وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي من سادات الأمراء وخيارهم، وكان من القادة النجباء الكبراء والشجعان، وذوي الحروب والفتوحات السعيدة والآراء الحميدة، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله، فأسلموا ودانوا لله عز وجل وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئاً كثيراً، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يخيب تعبته وجهاده"^(٣).

(١) قامت دولة بني أمية في المشرق عام الجماعة سنة ٤١هـ (٦٦١م) وعاشت تواجه عدداً من المشكلات، حتى انتهت سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م)، أسسها أموي هو معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ - ٦٠هـ) وسقطت وهي لا تزال فتية على عهد أموي آخر هو مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ). وكثيرون أسرفوا في التعميم، فجعلوا من عروبة بني أمية (عصبية قومية) في الإسلام، مثلما كانت في الجاهلية، وهو أمر مبالغ فيه، إلا أن ذلك لا يعني عدم اعتزاز بني أمية بعروبيتهم وشعورهم بكرم محتدهم وصراحة أنسابهم وانتمائهم لعبد مناف بن قصي. د/ عبد الحليم عويس: بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهار الداخلي، ص ٥، ١٧، ١٨.

(٢) ينظر: ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٣٣؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج ١ ص ١١٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٥.

ويقول عنه - أيضاً - "أنه ما كسرت له راية، وكان من المجاهدين في سبيل الله، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره" (١).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم ينل الأمير قتيبة أعلى الرتب (٢) بالنسب؛ بل بكمال الحزم والعزم والإقدام والسعد وكثرة الفتوحات ووفور الهيبة (٣).

ولقد كان مع بطولته دمث الأخلاق، عالي الهمة، جريء اللسان، داهية، طويل الروية، راوية للشعر عالمًا به (٤)، وأهل البصرة يفخرون به وبولده (٥).

وهو القائل من أبيات:

أبى لي آباءٌ كرامٌ وأول أقاموا على ماءِ الندى فتخوضوا
بكل فتى في محضة الحيّ واضحٍ يلوح كما لاح اليماني المفضّض (٦)

وفيه يقول "الفرات السني العبدي" من شعراء خراسان حين سأله رجل عن يزيد بن المهلب وعتيبة بن مسلم أيهما أفضل فقال:

سأنطق حقًا فيهما إذ سألتني وليس أخو حقّ كحيرانَ جاهلٍ
هما البحر للعافين والمبتغي القرى وليثا عرين عند وقع المناصل

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٥٠.

(٢) فلقد كان ذا شرف كبير في قومه، وتقدم في بلده، وكان أديبًا عالمًا. ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ج١ ص ٦٧ بتصرف يسير.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص ٣٤٠.

(٤) ينظر: السمعاني: الأنساب، ج١ ص ٢٨٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٥ ص ١٨٩، ١٩٠؛ محمد عبد الغني حسن: بطل السند، ص ٩٢.

(٥) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢١٢؛ وينظر: الزركلي: الأعلام، ج٥ ص ١٩٠.

(٦) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢١٢.

هما يَردان الموت لا يرهبانه إذا ضَجَّ منه كلُّ أشوسٍ باسلٍ (١)
ويقول في مدح قتيبة خاصة:

يرى الموت مَنْ عادَى قتيبةً مُجَهراً وليس بوقاف ولا بمواكلٍ
ولكنه سَمَحَ بنفسِ كريمة بذول لها يوم التفات القنابلِ
حوى السُّغد حتى شاع في الناس ذِكرُه ونال التي أعيت على المتناولِ (٢)
ويقول الكَمَيْتُ (٣) يَمْدُحُ قُتَيْبَةَ - أَيضاً - وَيَذْكَرُ فُتُوْحَهُ:

نَامَ الْمُهَلَّبُ عَنْهَا فِي إِمَارَتِهِ حَتَّى مَضَتْ سَنَةٌ لَمْ يَقْضِهَا الْعَهْدُ (٤)
ولقد كان الأمير قتيبة رحيماً باراً بوالديه مطيعاً لهما؛ ومما يدلنا على ذلك
أنه "لما اشتهر الشاعر نهار بن توسعة (٥) بهجائه للأمير قتيبة بن مسلم، طلبه،
فهرب واستجار بأم قتيبة، فترضت له ابنها فرضي عنه وأكرمه" (٦)، وما ذلك إلا

(١) المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٩٠ بتصرف يسير.

(٢) المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٩٠.

(٣) هو الكَمَيْتُ: بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشر بن جَحْوَان بن فقَعس بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ابن خزيمة، جاهلي، وهو مخضرم. ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٤) حيث كان المهلب يحب اليهود. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٣ ص ٣١١.

(٥) هو نهار بن توسعة: من بني تميم بن عرفجة بن عمر بن حنتم بن عدي بن الحارث بن تميم بن الله بن ثعلبة، من شعراء بكر بن وائل الإسلاميين في خراسان، وهو شاعر مُضْطَرِبٌ مُتَحَزِبٌ، والراجح أنه بصري المولد والمنشأ، أبوه توسعة كان شاعراً أيضاً، اتصل بالمهالبة، ورثى المهلب بأبيات مشهورة، ثم اشتهر بهجائه لقتيبة بن مسلم. ينظر: د/ عزيزة فوال بابتى: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، ص ٣٠٥ بتصرف يسير؛ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٢٥٩؛ محمد السيد إبراهيم البساطي: الحياة العلمية في مرو، ص ٣٦٨.

(٦) د/ عزيزة فوال بابتى: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، ص ٣٠٥ بتصرف يسير.

دليلاً على حلمه وسعة صدره واستجابته لطلب والدته.

وبسبب هذا الموقف من الأمير قتيبة تجاه هذا الشاعر تحول من عدو له إلى صديق حميم، يمدحه على كل موقعة وكل غزوة يغزوها، كما أنه رثاه بعد موته، وكان من تأثر بموته كثيراً، وصدق الله إذ يقول ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١).

ولقد اتصف الأمير قتيبة - أيضاً - بحبه للخير وحرصه عليه، كما جعل من نفسه القدوة الفعلية في تطبيق سنة رسول الله ﷺ، وهي من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

فعن محمد بن واسع (٢) "قال: قدمت مكة فلقيت بها سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فحدثني عن أبيه عن جده عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وسلم فقال: (مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْحَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٢) محمد بن واسع الأزدي: أحد الأئمة والعباد، من أهل البصرة، كنيته أبو بكر، ويروى عن سالم بن عبد الله وأنس بن مالك وعن جلة من التابعين، روى عنه البصريون، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، وكان من العباد المتقشفة والزهاد المتجردين للعبادة، وكان قد خرج إلى خراسان غازياً وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم، وقد قيل إنه مات سنة سبع وعشرين ومائة وقد قيل إن محمد بن واسع مات سنة ثلاث وعشرين ومائة وقد خرج الخلق في جنازته. ابن حبان: الثقات، ج٧ ص٣٦٦؛ وينظر: ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥١، وكان الحسن يُسَمَّى محمد بن واسع زين القرآن، وقال جعفر كنت إذا وجدت من قلبي قسوة نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣ ص٢٦٧، ٢٦٨.

قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)، قال: فقدمتُ خراسان فأتيتُ قتيبة بن مسلم فقلتُ: أتيك هدية، فحدثته الحديث، فكان يركب في موكبه فيقولها ثم ينصرف" (١).

كما اتصف أيضًا بحبه للعلماء والصالحين، وتقريبه لهم، وطلب الدعاء منهم، "يقول الأصمعي: لما صاف قتيبة بن مسلم للترك وهاله أمرهم، جعل يُكثر السؤال عن محمد بن واسع، فقليل هو ذاك في الميمنة (٢) جامع على قوسه يُصبص بأصبغِه نحو السماء، قال تلك الإصبع أحب إليّ من مئة ألف سيفٍ شهير وشاب طرير" (٣)، فلمّا فتح الله عليهم؛ قال لمحمد: ما كنت تصنع؟ قال: كنتُ آخذ لك بمجامع الطرق (٤).

(١) الدارمي: سنن الدارمي، ج٢ ص٣٧٩؛ الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٢ ص٣٥٥؛ الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج٥ ص٤٩١، ورواه سعيد بن سليمان عن أزهر مثله تفرد به أزهر عن محمد وحدث به الأئمة عن يزيد أحمد بن حنبل وأبو خيثمة وطبقتهما. الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٢ ص٣٥٥.

(٢) وقيل كان محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم في جيش وكانت الترك خرجت إليهم فبعث إلى المسجد ينظر من فيه فقليل له ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبغِه. فقال قتيبة إصبغِه تلك أحب إلي من ثلاثين ألف عنان. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣ ص٢٦٧؛ الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٢ ص٣٥٣.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣ ص٢٦٧؛ عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج١ ص٢٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦ ص١٢١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥ ص١١٤.

(٤) د/ حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها؛ ص٢٤٦.

ولمّا عوتب علي أنه كان يجرى الأرزاق على محمد بن واسع وهو شيخ هرم ضعيف قال إن أصبعه في الدعاء أبلغ في النصر من رماحكم هذه^(١).

وهكذا فقد كان الأمير قتيبة ذا همة عالية وعزيمة لا تهدأ ولا تكل، كما كان حريصاً على فعل الخير جاعلاً من نفسه القدوة لغيره، فجمع بين صفتي القيادة والدعوة إلى الله تعالى، وكان مع شجاعته وبطولته سمح الأخلاق واسع الصدر، حريصاً على تقريب أهل الفضل - من العلماء والصالحين - وإعطائهم، فكان يصطحبهم معه في غزواته وذلك لما فيه من الانتفاع بالتعلم منهم واستشارتهم، أو التبرك بدعائهم في الغزو ونحوه.



(١) ينظر: ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣ ص ١٨١، ١٨٠ بتصرف كبير.



المبحث الرابع: اتصال قتيبة بالخلفاء والأمراء

شهد قتيبة عصر بني أمية من بدايته وشهد الحوادث فيه ورأى انقسام الجماعة الإسلامية إلى طوائف وأحزاب متنازعة^(١) كل جماعة تريد أن تطغى على الأخرى، ويكفر بعضها بعضًا، ورأى كثيرًا من الولاة والقواد الذين بلغوا الذروة من الشهرة في ميدان الحرب والسياسة، أو سمع بأسمائهم.

ومما ضاعف الأثر في نفسه أن كان بعض هؤلاء من قبيلة باهلة، بل من خاصته مثل أبيه مسلم بن عمرو الباهلي الذي كان مضرب المثل في الفتوة والبسالة.

فكان لأخبار هؤلاء العظماء أثر في نفس قتيبة وطموحها إلى الانتظام في مصافهم، وبلوغ مراتبهم وعمل علي ذلك، فبدأ حياته بانخراطه في سلك الجندية في سن السابعة والعشرين تقريبًا.

(١) فلقد كان أعداء الدولة الأموية كثيرين جدًّا، وكانوا يزدادون يومًا بعد يوم، فمنهم الموالي العنصر الأكبر عددًا في الدولة الإسلامية، ثم الشيعة أصحاب الثأر، والخوارج المقاتلون العتاة، وبعض القبائل العربية التي تريد مساواتها بغيرها من العرب، ثم المتدينون الذين يرون في سيرة بعض الأمويين فجورًا وفسقًا، وفي سيرتهم العامة جورًا وظلمًا. ينظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص١٤٦، ١٤٧، ١٦٨، ١٦٩.

"ولقد كانت معارك الخوارج الرهيبة مجالاً رائعاً لبطولة قتيبة، في شبابه الغض، فقد خاض لججها الدامية بجنان ثابت، وعزم صبور، وأظهر من فنون الصولان، وعجائب الإقدام ما جعل الحجاج بن يوسف الثقفي يقدر بطولته الخارقة وينوط به العظام الفادحة فينهض بأعبائها أكمل نهوض.

وكان - إلى جانب قوة بأسه وشدة مراسه - عالي الهممة، جريء اللسان، ينتقد رؤساءه في صراحة تامة، وثقة بالغة"^(١).

وحتى تكون الصورة أكثر وضوحاً يمكن العودة إلي عام (٧٧هـ/٦٩٦م)؛ ففي هذه السنة كان الحجاج بن يوسف يعمل علي إخماد الفتن في العراق الثائر، وكانت ثورة (شبيب بن يزيد) قد استفحلت بدخول شبيب الكوفة^(٢) بعد أن هزم جيشاً للحجاج عدته أربعون ألفاً، وقتل قائده عتاب بن ورقاء وهو في

(١) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٦.

(٢) لقد جاء شبيب وقد بعث إليه الحجاج أميراً فقتله، ثم آخر فقتله، أحدهما أعين صاحب حمام أعين، فجاء شبيب حتى دخل الكوفة ومعه غزاة (زوجته) وكانت قد نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران، ففعلت، فقال الناس بالكوفة في تلك السنة:

وفت الغزاة نذرها يارب لا تغفر لها
وكانت غزاة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم، وهي التي كان الحجاج يخاف منها أشد الخوف حتى قال فيه بعض الشعراء:

أسدٌ علي وفي الحروب نعامة فزعاء تفزع من صفير الصافر
هلاً برزت إلى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٦٣٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٢، ٢٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ١٤٦، ١٤٧، ١٦٨، ١٦٩.

ستمائة رجل، فأرسل الحجاج إلى وجوه القوم يستشيرهم^(١)، وأذن لهم فدخلوا عليه في مجلسه الذي يبست فيه وهو على سرير عليه لحاف فقال: إني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر فأشيروا علي، "إن هذا الرجل قد تبجح بحبوتكم ودخل حريمكم وقتل مقاتلتكم، فأشيروا علي" فأطرقوا^(٢).

وفصل رجل من الصف بكرسيه فقال: إن أذن لي الأمير تكلمتُ، فقال: تكلم فقال: "إن الأمير والله ما راقب الله، ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح للرعية" ثم جلس بكرسيه في الصف، قال (الراوي): وإذا هو قتيبة بن مسلم^(٣).

فغضب الحجاج، وألقى اللحاف، ودلى قدميه من السرير، فقال: من المتكلم، قال: فخرج قتيبة بكرسيه من الصف فأعاد الكلام، قال (الحجاج): فما الرأي؟ قال: أن تخرج إليه فتحاكمه^(٤)،

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٨؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٤٦٥؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص١٥؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٦، وذكر أن الحجاج قام فقال: لا أراكم تناصحون في قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق، وأنا كاتب إلى أمير المؤمنين ليمدني بأهل الشام، فقام قتيبة فقال: إنك لم تنصح لله، ولا لأمر المؤمنين في قتالهم. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٩؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٤٦٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص١٥.
(٣) تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٨؛ وينظر: د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٦.
(٤) وذكر أنه لما قال قتيبة "إن الأمير والله ما راقب الله ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح للرعية" قال له الحجاج: وكيف ذلك؟ قال تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاغاً من الناس فينهمون عنه ويستحي فيقاتل حتى يقتل، قال فما الرأي: قال: أن تخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاسونك بأنفسهم، فقال الحجاج والله لأبرزن له غدا. الطبري: تاريخ الأمم

قال: فارتد لي معسكر اثم اغد إلي^(١).

فخرج الناس يلعنون عنيسة بن سعيد^(٢) - وقد كان كلم الحجاج في قتيبة فجعله من أصحابه - فلما أصبحنا وقد أوصينا جمعاً، غدونا في السلاح فصلى الحجاج الصبح ثم دخل، فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول: أجا بعد؟ أجا بعد؟ ولا ندري من يريد، وقد أفعت المقصورة بالناس، فخرج الرسول فقال: أجا بعد؟ وإذا قتيبة يمشي في المسجد عليه قباء هروي أصفر، وعمامة خز أحمر، متقلداً سيفاً عريضاً قصير الحماثل كأنه في إبطه، قد أدخل بركة قبائه في منطقتة، والدرع يصفق ساقيه^(٣)، ففتح له الباب فدخل ولم يحجب، فلبث طويلاً ثم خرج، وأخرج معه لواءً منشوراً، فصلى الحجاج ركعتين، ثم خرج يتبع قتيبة، وركب الناس وركب قتيبة فرساً أغر محجلاً كميئاً كأنه في سرجه رمانة من عظم السرج، فأخذ في طريق دار السقاية، حتى خرج إلى السبخة وبها عسكر شبيب.

ثم إنَّ الحجاج أتى الموضع الذي كان قتيبة قد استطلعه (ارتاده) فقليل له:

والملوك، ج٣ ص٦٣٩ بتصرف.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٨.

(٢) هو عنيسة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي، القرشي، أخو يحي وعمر والأشدق، كنيته أبو خالد، ثقة، من الطبقة الثالثة، وكان عند الحجاج بالكوفة، مات على رأس المائة تقريباً. ابن حجر: تقريب التهذيب، ج١ ص٤٣٢؛ الذهبي الدمشقي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ج٢ ص١٥٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص١٦؛ وينظر: د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٦.

هاهنا؟ إنه لموضع قذر^(١)، فقال ما تدعونني إليه أقذر، الأرض تحته طيبة، والسماء فوقه طيبة، ونزل فصف الناس، وجاء شبيب وأصحابه فقربوا دوابهم وخرجوا يمشون، فقال لهم شبيب: الهوا عن رميكم، ودبوا تحت تراسكم، حتى إذا كانت أستهم فوقها فأزلقوها صعداً ثم أدخلوا تحتها لتستقلوا فتقطعوا أقدامهم وهي الهزيمة بإذن الله فأقبلوا يديون إليهم، وما أن نشب القتال حتى تسلل خالد بن عتاب ومعه نفر، فدار من وراء عسكريهم، فأضرم أخصاصهم بالنار، فلما رأوا ضوء النار وسمعوا معمعتها التفتوا فرأوها في بيوتهم فولوا إلى خيلهم، وتبعهم الناس، وكانت الهزيمة^(٢) ورضي الحجاج عن خالد وعقد له على قتالهم^(٣).

(١) أي موضع كناسة، فيه بعض القذر. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٩ بتصرف يسير.

(٢) وحدث بعض من كان مع شبيب قال: لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج، قال فجعل يخفق برأسه، فقلت: يا أمير المؤمنين، التفت فانظر من خلفك، قال: فالتفت غير مكترث، ثم أكب يخفق برأسه، قال: ودنوا منا، فقلنا يا أمير المؤمنين قد دنوا منك، قال: فالتفت والله غير مكترث، ثم جعل يخفق برأسه، قال فبعث الحجاج إلى خيله: أن دعوه في حرق الله وناره، فتركوه ورجعوا. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٨، قيل: ولما وصل إلى الجسر نقر به فرسه وعليه الحديد الثقيل - من درع ومغفر - فألقاه في الماء، فقال له رجل: أغرقاً يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الأنعام: ٩٦، يس: ٣٨، فصلت: ١٢، قال: ثم أخرج وحمل إلى الحجاج، فأمر فترع قلبه من صدره، فإذا هو مثل الحجر إذا ضربت به الأرض نبا عنها، وكان شبيب رجلاً طويلاً أشمطاً جعداً. ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٢، ٢٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٤٣؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص١٤٧.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٦٣٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢١؛ د/ محمد زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٧.

لقد كانت هذه أول تجربة، اختبر فيها الحجاج كفاءة قتيبة بن مسلم، وكانت مجابهة الشاب الذي لم يبلغ الثلاثين من العمر، لوالي العراق - الحجاج - الذي عرف بالبأس والقوة برهاناً على صلابته هذا الشاب؛ فاعتمد الحجاج رأيه دون الناس جميعاً، وكان النصر في ركابه، مما رفعه في أعين الحجاج والناس جميعاً^(١).

فلقد أخذ الحجاج بعد مقتل شبيب يضع قتيبة في الصف الأول بين جنوده وأعوانه، ويراه كفاً لكل كريهة دامية تتطلب الكمي^(٢) الباسل^(٣).

وهكذا فقد كان العصر الأموي مسرحاً للمعارك الدامية، ومجالاً رائعاً للبطولة والفروسية النادرة؛ مما دفع الكثير من شباب المسلمين إلى النهوض بأعباء القتال، فأظهروا من فنون الشجاعة والوصولان ما أبهر العقول والقلوب، وكان من هؤلاء الفرسان قتيبة بن مسلم، إلا أنه اختص ببعض الصفات التي ميزته عن غيره وجعلته محط أنظار الكثيرين وعلى رأسهم الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي وجد فيه من الشجاعة والجرأة والثقة البالغة ما أبهره - وذلك من خلال المواجه السالفة الذكر - الأمر الذي جعله ينوط به العظام من الأمور وهو علي ثقة في مهارته وقدرته.

(١) بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٦، ١٧.

(٢) الكمي: أي الشجاع الجريء، وجاء في لسان العرب: الكمي: اللابس السلاح، وقيل هو الشجاع المقدم الجريء كان عليه سلاح أو لم يكن، والجمع أكماء. ابن منظور لسان العرب، ج ١٥ ص ٢٣٢.

(٣) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٦.



المبحث الخامس: تولية قتيبة بن مسلم الإمارة

لقد استطاع قتيبة أن يتبوأ مكاناً عظيماً بين أتباع الحجاج وأعوانه، بعد أن كان غير معروف كثيراً، ولكن بعد تلك المواجهة الجريئة المخلصة، وبعد تلك الخطة والمشورة الصادقة التي بفضلها قضى على شبيب الخارجي الذي دوخ الحجاج كثيراً، أقول: أخذ الحجاج يضع قتيبة في الصف الأول بين أتباعه وجنوده.

"فكان أول ما ولاه إمارة الري سنة (٨٣هـ) لإخماد ثورة عبد الرحمن بن الأشعث"^(١).

فلقد كانت الري وكل بلاد فارس تضرم ناراً ما أن تهدأ ثورة حتى تندلع أخرى أقوى وأكبر، وكانت أقوى الثورات حين تولى قتيبة بن مسلم إمارة الري ثورة عبد الرحمن بن الأشعث^(٢)؛ فانصرف قتيبة إلى إخماد الفتن، وتحقيق

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٠٦ بتصرف يسير؛ وينظر: يعقوبي: تاريخ يعقوبي، ج٢ ص٢٠٨، ٢٨٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٨٦.

(٢) وقد كان الحجاج استعمله على سجستان وبست والرخج، فحارب من هنالك من أمم الترك، وحارب من يلي تلك البلاد من ملوك الهند مثل رتبيل وغيره، ثم خلع ابن الأشعث طاعة الحجاج، وصار إلى بلاد كرمان، فثنى بخلع عبد الملك، وانقاد إلى طاعته أهل البصرة، والجبال مما يلي الكوفة والبصرة وغيرهما، وصار الحجاج إلى البصرة، وصار ابن الأشعث

الأمن والاستقرار وبناء القاعدة القوية حتى ينطلق لغزواته الكبرى وفتوحاته الواسعة^(١)؛ وقد نجح فعلاً في القضاء علي تمرد عمر بن أبي الصلت؛ الذي كان قد غلب علي الري، فهزم أصحابه وانكشفوا إلي سجستان^(٢).

"وكان الحجاج - وقد ضاق زرعاً بالموقف المتدهور على الجبهة الشرقية - قد أخذ في تركيز اهتمامه على إخضاع الأقاليم المتمردة فدعا الناس يوم قضى على ثورة ابن الأشعث: من لحق بقتيبة بن مسلم بالري فهو أمان له، فلاحق به ناس كثير"^(٣).

كان المهلب بن أبي صفرة قد تولى إمارة خراسان، فأحسن إدارتها، وسد ثغورها، وافتتح أقاليمها^(٤)، ولكن المنية عاجلته في سنة (٨٢هـ / ٧٠١م)، فتولى يزيد بن المهلب إمارتها ريثما يقرر أمير المؤمنين في الشام من يوله علي ثغرها^(٥)، ثم إن الحجاج بن يوسف كتب إلي عبد الملك بن مروان، يذم يزيد

-
- إليه، فكانت له حروب عظيمة. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص ١٣٨؛ وينظر: الذهبي: دول الإسلام، ص ٥٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ٣٨، ٣٩.
- (١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٠٣؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم، ص ٢٤.
- (٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٠٦؛ الشيباني: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٢١.
- (٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٠٣ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٢١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٥٣؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم، ص ٢٤.
- (٤) قال ابن قتيبة: ولم يكن يعاب إلا بالكذب وكان ولي خراسان فعمل عليها خمس سنين، ومات بمرور الروذ من نواحي هراة بينها وبين بلخ، واستخلف ابنه يزيد بن المهلب، وي زيد ابن ثلاثين سنة، فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج ومشورته، وولى قتيبة بن مسلم. العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج١ ص ٩١.
- (٥) ينظر: الذهبي: دول الإسلام، ص ٥٩؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٢٤.

وآل المهلب^(١)؛ بسبب تأييدهم السابق للزبيرية،

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧١٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٦٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٥٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٢٥، وذكر في سبب ذم الحجاج ليزيد وآل المهلب وخوفه منهم وإجماعه على عزل يزيد عدة روايات ذكرها الطبري؛ روايتين عن علي بن محمد، والثالثة عن هشام بن محمد؛ أما الرواية الأولى: فعن علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، أن الحجاج وفد إلى عبد الملك، فمر في منصرفه بدير فنزله، فقبل له إن في هذا الدير شيخاً من أهل الكتاب عالماً، فدعا به فقال: يا شيخ، هل تجدون في كتبكم ما أتم فيه ونحن؟ قال: نعم، نجد ما مضى من أمركم وما أتم فيه وما هو كائن، قال أفمسمى أم موصوفا؟ قال: كل ذلك، موصوف بغير اسم، واسم بغير صفة، قال: فما تجدون صفة أمير المؤمنين؟ قال: نجده في زماننا الذي نحن فيه ملك أقرع من يقم لسبيله يصرع، قال: ثم من؟ قال: اسم رجل يقال له الوليد، قال: ثم ماذا؟ قال: رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس، قال: أفتعرفني؟ قال قد أخبرتك بك، قال: أفتعلم ما ألي؟ قال: نعم، قال: فمن يليه بعدي؟ قال: رجل يقال له يزيد، قال في حياتي أم بعد موتي قال: لا أدري، قال: أفتعرف صفة؟ قال: يغدر غدره، لا أعرف غير هذا، فوقع في نفسه يزيد بن المهلب، وارتحل فسار سبباً وهو وجل من قول الشيخ، وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق، فكتب إليه: يا ابن أم الحجاج، قد علمت الذي تغزو، وأنت تريد أن تعلم رأيي فيك، ولعمري إني لأرى مكان نافع بن علقمة، فإله عن هذا حتى يأتي الله بما هو آت، وبيننا الحجاج يوماً خال إذ دعا عبید بن موهب، فدخل وهو ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: ويحك يا عبید! إن أهل الكتب يذكرون أن ما تحت يدي يليه رجل يقال له يزيد، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة، ويزيد بن حصين بن نمير، ويزيد بن دينار، فليسوا هناك، وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلب، فقال عبید: لقد شرفتهم وأعظمت ولايتهم، وإن لهم لعددًا وجلدًا، وطاعةً وحظًا، فأخلق به، ثم أجمع الحجاج على عزل يزيد. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧١٦ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٢٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٦٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٥٤، وأما الرواية الثانية: فعن علي بن محمد أيضًا قال: حدثنا كليب بن خلف قال: كتب الحجاج إلى يزيد أن اغزو خوارزم، فكتب إليه أيها الأمير: إنها قليلة السلب، شديدة الكلب، فكتب إليه الحجاج: استخلف وأقدم، فكتب إليه: إني أريد أن أغزو خوارزم، فكتب إليه: لا تغزها فإنها كما وصفت، فغزا ولم يطعه، فصالحه

وانتصارهم لهم^(١)، فأجاب عبد الملك: إني لا أرى نقصا بآل المهلب طاعتهم

أهل خوارزم، وأصاب سبباً مما صالحوه، وقفل في الشتاء فاشتد عليهم البرد، فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها، فمات ذلك السبي من البرد، قال ونزل يزيد بلستانة، وأصاب أهل مرو الروذ طاعون ذلك العام، فكتب إليه الحجاج أن أقدم فقدم، فلم يمر ببلد إلا فرشوا له الرياحين، وكان يزيد ولي سنة اثنتين وثمانين، وعزل سنة خمس وثمانين، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وولي قتيبة. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٧، ٧١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٢٨؛ وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن ابن مخنف في عزل الحجاج يزيد عن خراسان سبباً غير الذي ذكره علي بن محمد، والذي ذكر من ذلك عن أبي مخنف: أن أبا المخارق الراسبي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته - وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معه من أهل المصريين بخراسان، ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب - فأخذ الحجاج في مواربة يزيد ليستخرجه من خراسان فكان يبعث إليه لياتيه فيعتل عليه بالعدو وحرب خراسان، فمكث بذلك حتى كان آخر سلطان عبد الملك، ثم إن الحجاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير، وأنه لا وفاء لهم، فكتب إليه عبد الملك: إني لا أرى تقصيراً بولد المهلب طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم، فإن طاعتهم ووفاءهم لهم هو الذي دعاهم إلى طاعتي والوفاء لي. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٧، ٧١٨ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٥٤.

(١) لقد كان الحجاج يكن لآل المهلب عداوة شنيعة، ويرى في استئثارهم بخراسان نكبة فادحة، فهم أهل عزيمة جبارة، وأبطال كفاح قاهر، ومن الجائز أن يقتطعوا خراسان من الأمويين، وينادوا بأنفسهم خلفاء كالزبيريين، كما أنهم كانوا يتعصبون للأزد ويضيقون على قيس، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يزين إليه عزل يزيد بن المهلب، وأمير المؤمنين يعلم ما بين الرجلين من تطاحن مريب، فيزيد ينظر إلى الحجاج نظرة جاهلية تنطوي على الاستهانة بأصله المتواضع، ونشأته في ثقيف، ويرى - وهو السيد العريق - أن مكانه من قبائل الأزد القوية ذات الحشد الهائل، والأرومة المتغلغلة، ويجعله فوق الحجاج مرتبة وكفاية، والحجاج يرى طموح يزيد وصولته فيتأكد من عصيانه ومروقه، ويصارع بضرورة عزله وإقصائه حتى تم له ما أراد. ينظر: د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٢٥؛ د/ محمد رجب البيومي: مع

لآل الزبير، بل آراه وفاء منهم لهم، وإن وفاءهم لهم يدعوهم إلي الوفاء لي^(١). فكتب إليه الحجاج يخوفه غدرهم؛ وما يقول الراهب^(٢)، واستناداً إلي المعلومات التي توفرت له عن قوتهم وقدراتهم^(٣)، فكتب إليه عبد الملك قد أكثر في يزيد وآل المهلب، فسم لي رجلاً يصلح لخراسان^(٤)، فسمى له مجاعة بن سعر السعدي^(٥)، فكتب إليه عبد الملك: إن رأيك الذي دعاك إلي استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلي مجاعة بن سعر، فانظر لي رجلاً صارماً ماضياً لأمرك، فسمي قتيبة بن مسلم^(٦).....

الأبطال، ص ٥٦، ٥٧.

- (١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٢٧؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٥٤.
- (٢) الراهب: المتعبد من النصارى في صومعة يتخلى فيها عن أشغال الدنيا وملاذها، والجمع رهبان. المعجم الوجيز، ص ٢٧٩.
- (٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٢٧ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٦٠.
- (٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٦٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٥٤.
- (٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٢٥؛ محمد عبد الغني حسن: بطل السند، ص ٩٢، وذكر ابن كثير أنه وقع اختيار الحجاج على المفضل بن المهلب، فولاه قليلاً تسعة أشهر، فغزا باذغيس وغيرها، وغنم مغانم كثيرة، وامتدحه الشعراء، ثم عزله بقتيبة بن مسلم. ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٦٠، وأقول: إن اختيار الحجاج للمفضل بن المهلب لم يكن اختياراً عن جزم واقتناع؛ وإنما فعل ذلك مخافة أن يمتنع عليه يزيد، وتمهيداً لتولية قتيبة بن مسلم الباهلي، ويؤيد ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه، ج ٣ ص ٧١٧.
- (٦) ولعل انتماء قتيبة للقبائل المضربية (القيسية)، التي تنسب إليها "نقيف" قبيلة الحجاج؛ مما

فكتب إليه ولّه^(١) (أي أسند إليه إمارة خراسان) فتم ذلك^(٢) - وكان وقتها قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره تقريباً - وتسلم قتيبة إمارة خراسان في سنة (٨٥ هـ / ٧٠٤م)^(٣)،

شجع الحجاج على اختياره بعد أن ضاق زرعاً بالولاة اليمانيين في خراسان؛ لاسيما يزيد المعروف بصلفه وكبريائه، حتى أن عمر بن عبد العزيز لم يخف تبرمه - بعد أن أصبح خليفة - من أبناء الأسرة المهلبية الذين وصفهم بالجابرة؛ ولكن اختيار قتيبة لمنصب تنافس عليه رجال كبار، لم يأت مصادفة أو لمجرد انتمائه للقيسية، بقدر ما كان لشخصيته القيادية من دور في ذلك. مجلة العربي الكويتية، ص ٦٣.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص، ٢٢٧ بتصرف يسير؛ وينظر: العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج ١ ص ٩١؛ ابن تغري: النجوم الزهرة، ج ١ ص ٢٣٣؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ١ ص ١٣٦.

(٢) وبلغ يزيد أن الحجاج عزله، فقال لأهل بيته: من ترون الحجاج يولي خراسان؟ قالوا رجلاً من ثقيف، قال: كلا، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهد، فإذا قدمت عليه عزله وولى رجلاً من قيس، وأخلق (أجدر) بقتيبة! فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد، كره أن يكتب إليه بعزله، فكتب إليه أن استخلف المفضل وأقبل، فاستشار يزيد حزين بن المنذر، فقال له: أقم واعتل، فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك، وإنما أتيت من الحجاج، فإن أقمتم ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد، قال: إنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره المعصية والخلاف، فأخذ في الجهاز، وأبطأ ذلك على الحجاج، فكتب إلى المفضل: إني قد وليتك خراسان، فجعل المفضل يستحث يزيد، فقال له يزيد: إن الحجاج لا يقرك بعدي، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه، قال: بل حسدتنى، قال يزيد: يا ابن بهلة، أنا أحسدك! ستعلم، وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين، فعزل الحجاج المفضل. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧١٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٢٧؛ وينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٨٥؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٥٤.

(٣) ينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٩٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٧؛ السمعاني: الأنساب، ج ١ ص ٢٨٩؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص ١٠٤؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٢٥؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ١ ص ١٣٦.

وأقام بها عشر سنين^(١) - وقيل ولي خراسان ثلاث عشرة سنة^(٢)، وقيل تسع سنين وسبعة أشهر^(٣) - وهو عظيم المكانة مرهوب الجانب^(٤).

قدم قتيبة بن مسلم خراسان في سنة ست وثمانين^(٥) والمفضل يعرض الجند وهو يريد أن يغزو أخرون وشومان فخطب الناس قتيبة، وحثهم على الجهاد^(٦) وقال: (إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضةً والعدو وقماً، ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص ٣٤٠؛ وينظر: الذهبي: العبر في تاريخ من غبر، ج١ ص ١١٤؛ البداية والنهاية، ج٩ ص ١٦٦؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٧٧.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٦؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ٢٠٠؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٤.

(٣) هكذا قال السلامي في تاريخ ولاية خراسان. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٨.

(٤) بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٤.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٥٩؛ وينظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص ٧٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٨؛ العكرى الدمشقي: شذرات الذهب، ج١ ص ٩٦؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج١ ص ٢١٢، وأما الباهليون فيقولون قدم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٢٥؛ الموسوعة العربية الميسرة: ج٢، ص ١٣٧٠، وقد ذكر مثل ذلك - أيضاً - ابن خلدون في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٣ ص ٥٩، وهو قول مرجوح تخالفه أغلب المصادر، والذي يبدو من خلال ما سبق أن الأمير قتيبة قد تسلم إمرة خراسان في آخر سنة خمس وثمانين، وقدم خراسان في أول سنة ست وثمانين.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٥٩؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص ٢٢٣؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص ٤٩٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٢٥.

وكتاب ناطق، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١)، ووعده المجاهدين في سبيله
أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا
نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطَأًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ
عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ
أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)، ثم أخبر عن قتل في سبيله أنه حي مرزوق، فقال:
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٣)؛ فتنجزوا
موعود ربكم، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم وإيائي
والهويني (٤) (٥).

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع (٦)، فكان جميع ما أحصوا من

(١) سورة التوبة، آية: ٣٣، سورة الصف، آية: ٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٠، ١٢١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٤؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٣٤٥؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٤٩٥، ٤٩٦.

(٥) ومن الجدير بالذكر أن من أشهر الخطب التي قيلت بمرور خطب الأمير قتيبة بن مسلم، "ومن ذلك: أنه لما قدم مرو قال: من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه، وإن كان في فيه فليلفظه، وإن كان في صدره فلينفثه، فعجب الناس من حسن ما قسم وفصل". الجاحظ: البيان والتبيين، ج١ ص٢٦٨؛ وينظر: خطب قتيبة الشهيرة حينما خلع سليمان.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٤؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٤٩٦؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٢٥.

الدروع في جند خراسان ثلاثمائة وخمسين درعاً^(١)، وبعد أن أتم تنظيمه، غادر مرو، واستخلف على حربها إياس بن عبدالله بن عمرو، وعلى الخراج عثمان بن السعدي^(٢).

وهكذا فقد انقلب الوضع في خراسان؛ حيث كان المهالبة اليمينيون هم السادة هناك، وقد قوي نفوذهم كثيراً؛ مما جعل الحجاج يخشاهم ويتحين الفرصة لتغيير هذا الوضع، خاصة وأنه كان يُكِنُّ لهم العداوة الشديدة، وهذا ما دعاه إلى أن يزمهم وينتقص من قدرهم ويخوف الخليفة (عبد الملك) بطشهم وغدرهم، فلم يأبه به في بادئ الأمر، بيد أن الحجاج ظل مصراً على موقفه فأخذ يلح على عبد الملك في ذلك، وهنا لم يرد عبد الملك أن يخسر قائداً قوياً محنكاً كالحجاج الذي دوخ الأعداء ووطأ لهم البلاد، فترك له حرية الاختيار فيمن يصلح لخراسان، فوقع اختياره على الأمير قتيبة - الذي لفت انتباهه كثيراً بعد قضاؤه على ثورة ابن الأشعث التمردية - فأوكل إليه تلك المهمة العظيمة، فكان عند حسن ظن الحجاج به.



(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٥؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٢٥.
 (٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٤، ٧٣٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٥٩؛
 بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٢٥.



المبحث السادس: وفاة الأمير قتيبة بن مسلم

وللأسف فقد كانت نهاية فاتح بيكند ونومشكت ورامثينة وبخارى والطالقان وشومان وكس ونسف وخوارزم وخام جرد وسمرقند والشاش وفرغانة وكاشغر نهاية لا تليق به كبطل شجاع وقائد عظيم.

"فإنه لما أراد الوليد بن عبد الملك أن يجعل ابنه عبد العزيز ولي عهده؛ ودس في ذلك إلى القواد والشعراء^(١) لمعرفة رأيهم، فبايعه على خلع أخيه

(١) وقال جرير في ذلك:

إذا قيل أي الناس خير خليفة أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
رأوه أحق الناس كلهم بها وما ظلموا، فبايعوه وسارعوا
وقال أيضًا جرير يحض الوليد على بيعة عبد العزيز:

إلى عبد العزيز سمت عيون الـ رعية إذ تحيرت الرعاء إليه
دعت دواعيه إذا ما عماد الملك خرت والسماء
وقال أولو الحكومة من قریش علينا البيع إن بلغ الغلاء
رأوا عبد العزيز ولي عهد وما ظلموا بذلك ولا أسأؤوا
فماذا تنظرون بها وفيكم جسور بالعظائم واعتلاء
فزحلفها بأزملمها إليه أمير المؤمنین إذا تشاء
فإن الناس قد مدوا إليه أكفهم وقد برح الخفاء
ولو قد بايعوك ولي عهد فقام الوزن واعتدل البناء

سليمان الحجاج بن يوسف، وقتيبة بن مسلم^(١). لكن لم ينتظم للوليد ذلك حتي مات، وقام سليمان بن عبد الملك مقامه^(٢)، فأشفق منه قتيبة لأنه كان يسعى في بيعة عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج من جهة^(٣)، ولأنه من صنائع الحجاج البغيض إلى سليمان من جهة أخرى، فخاف أن يولي سليمان يزيد بن

- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٥؛ وينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٣٨.
- (١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٥، ٣٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦ ص٢٩٥، ج٤ ص٨٧؛ البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص٤٥٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٣؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص٢٠١، وكان الحجاج قد توفي قبل الوليد، فنجا من غضبة سليمان، وخاف قتيبة شره، ووضع في تقديره أن يعمل الخليفة سليمان علي تعيين يزيد بن المهلب خراسان فينتقم منه. ينظر: العسلي: قتيبة بن مسلم، ص٦٨، ٦٩؛ محمد عبد الغني حسن: بطل السند، ص٤٩.
- (٢) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة أبو أيوب القرشي، الأموي، بويع بعد أخيه الوليد سنة ست وتسعين، وكان ديناً فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو، يقال نشأ بالبادية، جهز جيوشه مع أخيه مسلمة برًا وبحرًا لمنازلة القسطنطينية، فحاصرها مدة حتى صالحوا على بناء مسجد لها، عاش تسعًا وثلاثين سنة، قسم أموالاً عظيمة، ونظر في أمر الرعية، وكان لا بأس به، وكان يستعين في أمر الرعية بعمر بن عبد العزيز، الذي أصبح من أكبر أعوانه وناصحيه، وكان لا يصدر عن أمر إلا برأيه، كما عزل عمال الحجاج، وكتب إن الصلاة كانت قد أميتت فأحيوها بوقتها، وخلاصة القول: أن سليمان بن عبد الملك كان عند الناس مفتاحاً للخير، وعند العلماء من أفضل الخلفاء وأعدلهم، يقول عنه ابن كثير: توفي رحمه الله يوم الجمعة في عاشر صفر سنة تسع وتسعين، عن خمس وأربعين سنة، وقيل: عن ثلاث وأربعين، وخلافته ستان وتسعة أشهر وعشرون يوماً، عفا الله عنه. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٤، ٦١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص٥٦٥، ٥٦٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٣، ١٨٥، ١٩١.
- (٣) ينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص٤٥٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٩٥، ج٤ ص٨٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨.

المهلب خراسان^(١)، وهو العدو اللدود للحجاج وكل من ينتمي إليه من القادة والأعوان.

"فكتب إليه ثلاثة كتب في وقت واحد. كتب إليه كتاباً يهنؤه بالخلافة، ويعزيه على الوليد، ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان"^(٢).

وليت الأمير قتيبة اكتفى بهذا الكتاب الذي يبدو عليه هدوء العبارات وطيب الكلمات نسبياً، كما أنه يحتمل أكثر من معنى في نفس الوقت، إلا أنه لم يتمالك نفسه حتى كتب كتاباً آخر احتوى على تهديد شديد.

"كتب إليه يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم، وهيبته في صدورهم، وعظم صوته فيهم، ويذم المهلب وآل المهلب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه"^(٣).

غير أنه لم يكتفي بهذين الكتابين "فكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة (أهله)، وقال له ادفع إليه هذا الكتاب فإن كان

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٩٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ص١٤٧؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٦٩؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف، ص٣٤٥.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٩٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ص١٤٧، وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨.

يزيد بن المهلب حاضراً فقرأه ثم ألقاه إليه، فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأه وألقاه إلى يزيد فادفع إليه هذا الكتاب، فإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين" (١).

ويبدو أن السبب في اضطراب الأمير قتيبة على هذه الصورة وإرساله تلك الكتب إلى سليمان هو وجود يزيد ابن المهلب باستمرار مع الخليفة سليمان ومدى الصداقة والمحبة الشديدة من سليمان لآل المهلب، الأمر الذي جعل الظنون تحيط بقتيبة في أن سليمان حتماً سيعزله عن خراسان ويولي يزيد بن المهلب مرة ثانية بعد أن خلعه عنها الحجاج من قبل.

"قدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب، فدفع إليه الكتاب، فقرأه، ثم ألقاه إلى يزيد، فدفع إليه كتاباً آخر فقرأه ثم رمى به إلى يزيد، فأعطاه الكتاب الثالث، فقرأه فتمعر لونه، ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده" (٢).

"ثم أمر سليمان برسول قتيبة أن ينزل فحول إلى دار الضيافة، فلما أمسى دعا به سليمان، فأعطاه صرة فيها دنانير وقال له: (هذه جائزتك) وهذا عهد

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٥، ٣٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٩٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ص١٤٧؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٦٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٩٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ص١٤٦؛ الشيخ / محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٥٠٢؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٤٦؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٦٩.

صاحبك على خراسان، فسر، وهذا رسولي معك بعهدة"^(١).

وهكذا فقد خشي سليمان تفريق الجماعة، كما أنه لم يرد أن يخسر قائداً نادراً مثل قتيبة، فأرسل إليه باستمراره في ولايته على خراسان؛ وأرى أنه قد وفق فيما فعل حين ملك زمام نفسه وقابل الشدة باللين، فعالج الموضوع بحكمة تامة وعقلية واعية.

"خرج الباهلي وبعث معه سليمان رجلاً من عبد القيس ثم أحد بني ليث يقال له صعصعة أو مصعب، فلما كان بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة، فرجع العبدي ودفع العهد إلى رسول قتيبة، وقد خلع واضطرب الأمر فدفع إليه عهده، فاستشار إخوته فقالوا لا يثق بك سليمان بعد هذا"^(٢).

كان قتيبة - بعد أن وجه رسوله إلى دمشق - غير مطمئن إلى سليمان، وكان موقفاً أنه سيناله ما نال آل الحجاج^(٣) سيما وأن الكتب التي أرسلها كانت تحمل تهديداً قوياً من جانبه، فثارت الهواجس في نفسه، فعمل على جمع إخوته

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٩٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤ ص١٤٧، ١٤٨؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨؛ البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص٤٥٩؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص٨٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٦؛ وينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٩٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨.

(٣) فلقد أبعده سليمان عمال الحجاج، وساقهم إلى يزيد بن المهلب فحبسهم وعذبهم. ينظر: د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٨، ٦٧، وفعلاً حدث ما خاف منه قتيبة فلقد "تبع يزيد أصحاب قتيبة وقربته فسامهم سوء العذاب"، ينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٩٦.

لاستشارتهم وقد هم بخلع أمير المؤمنين^(١).

فقال له عبد الرحمن: "اقطع بعثاً فوجه فيه كل من تخافه، ووجه قوماً إلى مرو، وسر حتى تنزل سمرقند، ثم قل لمن معك من أحب المقام فله المواساة، ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبوع بسوء، فلا يقيم معك إلا مناصح، وقال له عبد الله: اخلعه مكانك، وادع الناس إلى خلعه، فليس يختلف عليك رجالان، فأخذ برأي عبد الله، فخلع سليمان، ودعا الناس إلى خلعه"^(٢).

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٦ بتصرف يسير؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٧٠، ولقد أيدته في ذلك أفراد عائلته وقبيلته باهلة وحراسه من الرماة الإيرانيين فحسب؛ أما أغلبية العرب فقد عصوه فيما أقدم عليه من مخالفته الخليفة، ورفضوا مسانדתه، وحذت حذوهم في ذلك القوات الإيرانية من الموالي بقيادة حيان النبطي؛ وقد كان واحداً من أخلص معاوي قتيبة السابقين. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص٨٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٦ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨؛ الذهبي: دول الإسلام، ص٦٦؛ د/ حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها؛ ص٢٠٩؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٧٠؛ محمد عبد الغني حسن: بطل السند، ص٩٢؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٥٠٢، وذكر اليعقوبي في تاريخه أنه "لما بلغ الأمير قتيبة فعل سليمان بنظرائه، وقصده عمال الوليد وعمال الحجاج، جمع إليه إخوانه وأهل بيته وأوغل في أرض العجم حتى بلغ فرغانة القصوى، وكان عبد الله بن الأهمم التميمي معه فهرب منه إلى سليمان فرفع إليه، فأخذ قتيبه قوماً من أهل بيته فقتلهم وقطع أيدي آخرين وأرجلهم، وكان يزيد بن المهلب عدوه لما فعل به وبأهل بيته لما ولي عليه، فعلم أنه لا يصلح له حب سليمان، وكتب إليه كتاباً فأجابه سليمان يغلظ له، فأراد الخلع وهو لا يشك أن موضعه من النزارية واليمانية لا يخالفونه، فلما علم القوم مذهبه تبعوا عنه فخطبهم خطبته المشهورة. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٩٥، والذي يبدو من كلام اليعقوبي أن قتيبة ما خلع أمير المؤمنين إلا بعد ما رأى فعله بنظرائه، وهو في نفس الوقت لا يشك في أن مصيره لا يكون أحسن حالاً منهم، غير أنه كان عليه أن يترث ولا يسبق

وهكذا فقد خلع طاعة الخليفة، وليته انظر رد سليمان على كُتبه ولم يستمع إلى أحد حتى يعرف وجهة نظره ثم بعد ذلك ينظر ماذا يفعل، وإن الإنسان ليستغرب لهذا التسرع من الأمير قتيبة وهو صاحب العقل الكبير والأفق الواسع، ولكن لكل فارس هفوة ولكل جواد كبوة وليس هناك معصوم بعد المصطفى ﷺ.

"قام قتيبة في الناس خطيباً في محاولة لتحريضهم^(١) مقارنةً بين نفسه ومن سبقه في ولاية خراسان، مبيناً لهم أن سليمان ممن لا يرجى لخير^(٢)، ولكن الناس التزموا منه موقف الحذر، ولم يستجب لدعوته أحد، فغضب قتيبة،

الأحداث، حتى لا يقع في مثل ما وقع فيه.

(١) ولقد فعل ذلك معتمداً على حب القبائل له وإثارته على سليمان، لكنه فشل في ذلك، خاصة وأنه لم يكن له قبيلة بخراسان. ينظر: البساطي: الحياة العلمية في مرو، ص ٦٨ حاشية رقم ٧.

(٢) وكان فيما قاله قتيبة: "إني قد جمعتكم من عين التمر، وفيض البحر، فضممت الأخ إلى أخيه، والولد إلى أبيه، وقسمت بينكم فيئكم، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكدره ولا مؤخره، وقد جربتم الولاية قبلي: أتاكم أمية- بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العاص بن أمية، عامل عبد الملك علي خراسان حتى سنة ٧٨هـ- فكتب إلى أمير المؤمنين إن خراج خراسان لا يقوم - لا يكفي - بمطبخي، ثم جاءكم أبو سعيد - المهلب بن أبي صفرة - فدوم بكم ثلاث سنين لا تدرن أفي طاعة أتم أم في معصية! لم يجب فيئاً، ولم ينكأ عدواً، ثم جاءكم بنوه بعده، يزيد، فحل تبارى إليه النساء، وإنما خليفتمكم يزيد بن ثروان (هبنقة القيسي) - المضروب به المثل في الحمق. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣٦، ٣٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٤؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٢٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٧٠، ٧١، وقيل شبه الأمير قتيبة الخليفة سليمان بيزيد بن ثروان (هبنقة القيسي) لأنه كان يعطي ويصطنع أهل النعم واليسار، ويدع من سواهم، وكان هبنقة القيسي يؤثر سمان إبله بالعلف والمرعي، فشبهه به في ذلك. ينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٥٩؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٨٢ بتصرف يسير.

وألقي خطاباً آخر^(١) قرعهم فيه، وشتمهم وأهانهم^(٢)،

(١) وقيل: أن الخليفة سليمان حين كتب إلى الأمير قتيبة بالولاية أمره بإطلاق كل من في حبسه، وأن يعطي الناس أعطياتهم، ويأذن لمن أراد القفول في القفول - وكانوا متطلعين إلى ذلك - وأمر رسوله بإعلام الناس ما كتب به، فقال قتيبة هذا من تدبيره علي، وقام فقال أيها الناس: إن سليمان قد مناكم مخ أعضاء البعوض وأنكم ستدعون إلى بيعة أنور صبي لا تحل ذبيحته، وكانوا حنقين عليه لشتمه إياهم، فاعتذر من ذلك وقال إني غضبت فلم أدر ما قلت، وما أردت لكم إلا الخير، فتكلموا وقالوا: إن أذن لنا في القفول كان خيراً له، وإن لم يفعل فلا يلومن إلا نفسه، فبلغه ذلك؛ فكان سبياً في إلقاءه الخطاب الآخر الذي قرعهم فيه وأهانهم. البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٥٩، ٤٦٠ بتصرف يسير.

(٢) وكان فيما قاله قتيبة: "لا أعز الله من نصرتم، والله لو اجتمعتم على عز ما كسرتم قرنهما، يا أهل السافلة: ولا أقول أهل العالية يا أبواش (الجماعة من الناس المختلطين) الصدقة، جمعتمكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب، يا معشر بكر بن وائل، يا أهل النفخ والكذب والبخل، بأي يوميكم تفخرون؟ بيوم حربكم أو بيوم سلمكم! فوالله لأنا أعز منكم، يا أصحاب مسيلمة يا بني ذميم: ولا أقول تميم، يا أهل الخور والقصف والغدر، كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان، يا أصحاب سجاح، يا معشر عبد القيس القساء: تبدلتم بأبر النحل أعنة الخيل، يا معشر الأزد: تبدلتم بقلوس (حبل ضخم من ليف أو خوص) السفن أعنة الخيل الحصن، إن هذا لبدعة في الإسلام، والأعراب وما الأعراب! لعنة الله على الأعراب! يا كناسة المصريين، جمعتمكم من منابت الشيح والقيصوم (ما طال من العشب، وهو طيب الرائحة) ومنابت القلقل (شجر أو نبت له حب أسود)، تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان، حتى إذا جمعتمكم كما تجمع قزع (جمع قزعة، وهي قطع السحاب الرقيقة) الخريف، قلمت كيت وكيت! أما والله إني لابن أبيه! وأخو أخيه، أما والله لأعصنكم عصب السلمة (شجرة تعصب أغصانها ثم تخبط بعصا فيتناثر ورقها)، إن حول الصليان (نبت من أفضل المرعى) الزمزمة (صوت الفرس) يا أهل خراسان، هل تدرون من وليكم؟ يزيد بن ثروان، كأني بأمير مزجاء، وحكم قد جاءكم فغلبكم على فيئكم وأظلالكم، إن هاهنا ناراً أرموها أرم معكم، ارموا غرضكم الأقصى، قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات، إن الشام أب مبرور، وإن العراق أب مكفور، حتى متى يتبطح أهل الشام بأفئيتكم وظلال دياركم! يا أهل خراسان، انسبوني تجدونني عراقي الأم، عراقي الأب، عراقي المولد، عراقي الهوى والرأي

فأثار بذلك حقدهم وضغيتهم، ثم إنه نزل فدخل منزله فأتاه أهل بيته، وعنفوه علي موقفه ووجهوا له اللوم" (١).

وهنا غضب الناس وكرهوا خلع سليمان وغضبت القبائل من شتم قتيبة فأجمعوا على خلافه وخلعه (٢)،

والدين، وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن والعافية، قد فتح الله لكم البلاد، وآمن سبلكم، فالطعينة تخرج من مرو إلى بلخ بغير جواز، فاحمدوا الله على النعمة وسلوه الشكر والمزيد". الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٧؛ وينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٩٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤؛ البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص٤٦٠؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٧٠، وإن مما يؤخذ على الأمير قتيبة تلك الكلمات القاسية والعبارات الجافية التي وجهها إلى زعماء العرب - مما زاد من نفورهم وحملهم على خلعه ومقاومته - وما كان يليق به أبداً كقائد مسلم شجاع أن يقل مثل هذه الكلمات الغير أخلاقية مهما حدث من أمور، ولكن يبدو أنه لم يتمالك نفسه حين لم يوافقوه على خلع الخليفة فتناسى أخلاقه المذكورة آنفاً فكان في ذلك حتفه ومصيره، والله أسأل أن يعفوا عنه ويغفر له زلته.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٧؛ وينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٨٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤، ١٧٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٩٥؛ البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص٤٦٠؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٧٠، ٧١.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٨؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٩٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٨، وكان أول من تكلم في ذلك الأزدي، فأتوا حزين بن المنذر فقالوا: إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلع الخليفة، وفيه فساد الدين والدنيا، ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا، فما ترى يا أبا حفص؟ وكان يكتنى في الحرب بأبي ساسان، ويقال: كنيته أبو محمد - فقال لهم حزين: مضر بخراسان تعدل هذه الثلاثة الأحماس، وتميم أكثر الخمسين، وهم فرسان خراسان، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضر، فإن أخرجتموهم من الأمر أعانوا قتيبة، قالوا: إنه قد وتر بني تميم بقتل ابن الأهم، قال: لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمضرية، فانصرفوا رادين

واتفقوا علي إسناد إمارتهم إلي وكيع^(١). "وأرسل حيان النبطي إلي وكيع: أرأيت إن كففت عنك وأعتك تجعل لي جانب نهر بلخ وخراجه ما دمت حيًا وما دمت واليًا؟ قال: نعم، فقال: للعجم هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوهم

لرأي حزين، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوذان الجهمي، فأبى، وتدافعوا، فرجعوا إلي حزين، فقالوا: قد تدافعنا الرياسة فنحن نوليك أمرنا وربيعة لا تخالفك، قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، قالوا: ما ترى؟ قال: إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم: قالوا: فمن ترى من تميم؟ قال: ما أرى أحدا غير وكيع، فقال حيان مولى بني شيبان: إن أحدا لا يتقلد هذا الأمر فيصلى بحره ويذلل دمه ويتعرض للقتل، فإن قدم أمير أخذه بما جنى، وكان المهناً لغيره إلا هذا الأعرابي وكيع، فإنه مقدم، لا يبالي ما ركب ولا ينظر في عاقبه، وله عشيرة كثيرة تطيعه، وهو موتور يطلب قتيبة برياسته التي صرفها عنه وصيرها لضرار بن حصين بن زين الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي، فمشى الناس بعضهم إلى بعض سرا، وقيل لقتيبة ليس يفسد أمر الناس إلا حيان، فأراد أن يغتاله - وكان حيان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيئا - قال فدعا قتيبة رجلا فأمره بقتل حيان، وسمعه بعض الخدم، فأتى حيان فأخبره، فأرسل إليه يدعوه فحذر وتمارض، وأتى الناس وكيعا فسألوه أن يقوم بأمرهم، فقال: نعم. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣٨، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٩٥، ٢٩٦؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٨، ٦٩.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥ ص ٣٤٠؛ البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦٠؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ٢٠١؛ د/ حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها؛ ص ٢٠٩، وكان بخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف، وبكر سبعة آلاف رئيسهم الحزين بن المنذر، وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبي، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان عوذي، والأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله بن حوذان، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر - أو عبيد الله بن علي - والموالي سبعة آلاف عليهم حيان. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣٨، ٣٩؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٧٣، وينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩.

يقتل بعضهم بعضاً، قالوا: نعم، فبايعوا وكيعاً سرّاً" (١).

"وأتى ضرار بن حصين قتيبة فقال: إن الناس يختلفون إلى وكيع، وهم يبايعونه - وكان وكيع يأتي منزل عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده - فقال عبد الله - وكان حاضراً المجلس-: هذا يحسد وكيعاً، وهذا الأمر باطل، هذا وكيع في بيتي يشرب ويسكر ويسلح في ثيابه، وهذا يزعم أنهم يبايعونه، قال: وجاء وكيع إلى قتيبة فقال: احذر ضراراً فإنه لا آمنه عليك، فأنزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد، وتمارض وكيع" (٢).

"ثم إن قتيبة دس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سرّاً، فتبين لقتيبة أن الناس يبايعونه، فقال لضرار: قد كنت صدقتني، قال: إني لم أخبرك إلا بعلم، فأنزلت ذلك مني على الحسد، وقد قضيت الذي كان علي، قال: صدقت، وأرسل قتيبة إلى وكيع يدعوه فوجده رسول قتيبة قد طلى على رجله مغرة (٣) وعلى ساقه خرزاً وودعاً، وعنده رجلان من زهران يرقيان رجله، فقال له: أجب الأمير، قال: قد ترى ما برجلي" (٤).

ثم خرج وكيع ونادى في الناس، فأقبلوا أرسالاً من كل وجه فأقبل في الناس

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٩؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٩؛
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٩٦، ولقد كان قتيبة قد عزله عن رئاسة بني تميم، فحقد
وكيع عليه وسعى في تأليب الجند سرّاً وتقاعد عن قتيبة متمارضاً. ابن خلكان: وفيات
الأعيان، ج٤ ص٨٧، ٨٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٩، وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٩.

(٣) مَغْرَة: شيء أحمر تصبغ به الثياب. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٥ ص١٨١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٩، وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٩.

يقول:

قوم إذا حمل مكرهه شدا الشراسيف^(١) لها والخزيم
واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواص من أصحابه وثقاته^(٢)، فيهم إياس بن
بيهس بن عمرو، ابن عم قتيبة، وعبد الله بن وألان العدوي، وناس من رهطه،
بني وائل، وأتاه حيان بن إياس العدوي في عشرة، فيهم عبد العزيز بن الحارث،
قال وأتاه ميسرة الجدلي - وكان شجاعاً - فقال إن شئت أتيتك برأس وكيع،
فقال قف مكانك، وأمر قتيبة رجلاً فقال ناد في الناس أين بنو عامر؟ فنأدى أين
بنو عامر، فقال محفن بن جزء الكلابي - وقد كان جفاهم - : حيث وضعتهم،
قال: ناد أذكركم الله والرحم! فنأدى محفن أنت قطعتها، قال: ناد لكم العتبي،
فناداه محفن أو غيره: لا أقالنا الله إذًا^(٣)، فقال قتيبة:

يا نفس صبراً على ما كان من ألم إذ لم أجد لفضول القوم أقرانا^(٤)

(١) الشراسيف: مفردها الشرسوف وهي أطراف الأضلاع المشرفة علي البطن، وقيل هو
غضروف معلق بكل بطن ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٩ ص ١٧٥.

(٢) ينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦٠، ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٠، ودعا بعمامة كانت أمه بعثت بها إليه، فاعتم بها -
وكان يعتم بها في الشدائد - ودعا ببرذون له مدرب كان يتطير إليه في الزحوف، فقرب إليه ليركبه
فجعل يقمص حتى أعياه، فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فقعده عليه، وقال دعوه، فإن هذا أمرًا
يراد. وجاء حيان النبطي في العجم فوقف، وعتيبة واجد عليه، فوقف معه عبد الله بن مسلم،
فقال عبد الله لحيان احمل على هذين الطرفين، قال لم يأن لذلك، فغضب عبد الله، وقال
ناولني قوسي، قال حيان: ليس هذا يوم قوس، فأرسل وكيع إلى حيان أين ما وعدتني؟ فقال
حيان لابنه: إذا رأيتني قد حولت فلنسوتي ومضيت نحو عسكر وكيع فمل بمن معك في العجم
إلي، فوقف ابن حيان مع العجم، فلما حول حيان فلنسوته، مالت الأعجام إلى عسكر وكيع،

ثم تهايج الناس، وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم، فرماه أهل السوق والغوغاء، فقتلوه، وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه^(١)، ودنوا منه، فقاتل عنه رجل من باهلة من بني وائل، فقال له قتيبة: انج بنفسك، فقال له: بئس ما جزيتك إذا، وقد أطعمتني الجردق^(٢) وألبستني النرمق^(٣)، وجاء الناس حتى بلغوا الفسطاط^(٤)، "فخرج إياس بن بيهس وعبد الله بن وألان حين بلغ الناس الفسطاط، وتركا قتيبة"^(٥).

وفطن قتيبة للهيثم بن المنخل وكان ممن يعين عليه، فقال:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني^(٦)
وهكذا فقدَّ الأمير قتيبة قدرته على فرض الانضباط عندما تخلى هو نفسه
عن هذا الانضباط، فثار الناس عليه - وترأسهم في ذلك وكيع بن أبي سود - ولم
يكتفوا بخلعه بل أجمعوا على قتله أيضًا.

فكبر أصحابه، وبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس، فرماه رجل من بني ضبة يقال له سليمان الزنجيرج - وهو الخرنبوب - ويقال بل رماه رجل من بلعم، فأصاب هامته - فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل، فوضع في مصلاه، فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة، ثم تحول إلى سريره. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٠؛ وينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص٤٦٠، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٩٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٩.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٩.

(٢) والجرّدق: فارسي معرب ويقصد به الرغيف. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٠ ص٣٥.

(٣) والنرمق: اللين من الثياب، وهو فارسي معرب أيضاً. ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص١١٩٣.

(٤) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٩.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤١ بتصرف يسير.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤١.

مقتل الأمير قتيبة:

تهايج الناس، وصبر مع قتيبة إخوته، وأهل بيته، وقوم من أبناء ملوك الصغد، أنفوا من خذلانه، وقطعت أطناب^(١) الفسطاط فسقط على قتيبة، وجرح جراحات كثيرة ثم قطعوا رأسه^(٢) وهو بفرغانة - في ناحية رباط سرهنك في قرية تسمى كاخ^(٣) - وذلك في ذي الحجة سنة (٩٦هـ/٤) أغسطس ٧١٥م، أو في

(١) الطُّنْبُ والطُّنْبُ: حَبْلٌ يُشَدُّ بِهِ الخِباءِ والسُّرادقِ ونحوهما. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١ ص ٥٦٠؛ المعجم الوجيز، ص ٣٩٥.

(٢) ينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ٢٠١؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١ ص ١٣٨؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص ١٠٥، وقيل إن الذي قتل الأمير قتيبة بن مسلم الباهلي هو نجد بن الصامت بن عابدين - أسماء بن قردوس بن الحارث بن مالك الدوسي القردوسي - مع أن المشهور أن الذي قتل قتيبة هو وكيع بن أبي سود؛ ولكن جمع ابن دريد في الاشتقاق بين القولين، وذكر أن وكيعاً كان الرأس في ذلك، وأن نجداً باشر قتله ومعه جهم بن زحر الجعفي. ينظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦ ص ٤٩٤.

(٣) أي رباط القائد، ويذهب الناس إلى هنالك دائماً لزيارته. ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٩.

(٤) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٩؛ يعقوبى: تاريخ يعقوبى، ج٢ ص ٢٩٦؛ السمعاني: الأنساب، ج١ ص ٢٨٩؛ الذهبي: دول الإسلام، ص ٦٦؛ ابن خلدون: العبر في تاريخ من غير، ج١ ص ١١٤؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج١ ص ٢٣٣. وقيل قتل سنة سبع وتسعين. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٨، وهو رأي مرجوح تعارضه أغلب المصادر، وذكر في سبب قتل الأمير قتيبة أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة نقم عليه لكونه كان خلعه في أيام أخيه الوليد فبعث إليه من قتله بعد أمور وحروب. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج١ ص ٢٣٣، وهو رأي مرجوح - أيضاً - فإن جيشه هو الذى تألب عليه وقتله - خاصة - بعد أن شتمهم وقرعهم وأهانهم؛ أما الخليفة سليمان فلم يرسل إليه أحد، ولم تكن بينه وبين

الخريف في مستهل سنة ٧١٦م على حد قول بعض المصادر^(١)، "وعاش ثمانية وأربعين سنة"^(٢)، "واختفى بموته عامل من أكبر العمال وأجدرهم، وقائد من أنجب القواد وأقدرهم، جعل همه الغزو، حتى دوخ الترك، وثبت السيادة العربية بما وراء النهر"^(٣).

وهكذا فقد كان أفول نجم الأمير قتيبة في هذا الوقت نتيجة حتمية لانتقال الحكم من الوليد إلي سليمان من جهة، ووفاة - ساعده القوي - الحجاج من جهة أخرى؛ فضلاً عن تغير الأهواء الذي كان من نتيجته أن فقدت العناصر القيسية في بلدان الخلافة ما كانت تتمتع به من رضى الحكام^(٤).

قتيبة حروب، وهذا ما ذكره أكثر المؤرخون.

(١) ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٨، وحدث خريم بن أبي يحيى عن بعض عمومه قال: أخبرني شيوخ من غسان قالوا: إنا لبثنية العقاب إذ نحن برجل يشبه الفيوج معه عصا وجراب، قلنا من أين أقبلت؟ قال من خراسان، قلنا فهل كان بها من خبر؟ قال نعم، قتل قتيبة بن مسلم أمس؛ فتعجبنا لقوله، فلما رأى إنكارنا ذلك، قال أين تروني الليلة من إفريقية؟ ومضى، واتبعناه على خيولنا فإذا شيء يسبق الطرف. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص٣٤٠؛ البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٥؛ وفي البلاذري أنه كان عمره يوم مات خمس وخمسين سنة. البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦١؛ وقيل كان عمره سبع وأربعين سنة. ينظر: أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ٢٠١، والرأي الأول أرجح.

(٣) د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٢٨.

(٤) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٨ بتصرف يسير، ولذلك عندما وجدت الأزدي أن الوقت مناسب للتخلص من قتيبة، لأنه كان شديد الوطأة عليهم، ولأنه صفى مكاسبهم التي فازوا بها أيام المهالبة، فاتفقوا مع حلفائهم من ربيعة على خلعه، ثم فاضوا تميماً؛ لأنها كانت حاكمة بدورها عليه؛ لأنه قتل نفراً من بني الأهم، ولم يقبل شفاعته وكيع بن أبي سود فيهم،

ورغم مرور القرون الطويلة فإن شعب آسيا الوسطى ينظر إلى قتيبة بن مسلم - حتى الآن - على أنه وليٌّ كبير من أولياء الله، ويعتبرون قبره مزاراً^(١). وعلى أية حال فقد خسرت الأمة واحداً من أنبل وأعظم رجالها بموت ذلك البطل والفتاح العظيم، الذي كان له أعظم الأثر في بسط نفوذ دولة الإسلام في مناطق شاسعة، فأسلم على يديه خلقاً كثيراً لا يحصيهم إلا الله ﷻ، فرفعه التاريخ إلى أفق زاهر يشرق بالبطولة والكرامة والشهادة، وفي ذلك عزاء أي عزاء.

"ولقد قتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم بنو مسلم، وقتل ابنه كثير بن قتيبة، وناس من أهل بيته^(٢) - وكان عدتهم أحد عشر رجلاً^(٣) -

كما أنه صرف وكيع عن رئاسة بني تميم، وولاها رجلاً من ضبة، وهكذا التقت كل القبائل على عزله، وتزعما وكيع بن أبي سود التميمي، وقتل قتيبة، وقام وكيع بولاية خراسان، ولم يزل عليها حتى أبعد سليمان بن عبد الملك عنها وأسندها إلى يزيد بن المهلب، وبذلك أسهمت تميم أكبر الإسهام في قتل قتيبة، وهو الذي رفعها بعد أن ذلت في ولاية المهالبة، أما قيس فإنها وقفت عاجزة عن الانتصار له والدفاع عنه. د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٦٧، ٩٣؛ وينظر: أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ٢٠١.

(١) د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٩، قلت: وهذا مخالف للعقيدة الإسلامية، حيث نهى رسول ﷺ عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وهي كما جاء في حديث أبي هريرة مرفوعاً: (لَا تُشَدُّ الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى). مسلم: صحيح مسلم، رقم (١٣٩٧)، ج ٢ ص ١٠١٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٢؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ٢٠١؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٤، ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩.

وأم ولده الصماء" (١)، ونجا أخوه ضرار، استنقذه أخواله من تميم (٢)، "وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة" (٣)، وضرب إياس بن عمرو - ابن أخي مسلم بن عمرو - على ترقوته فلم يمت" (٤).

"ولما غشي القوم الفسطاط قطعوا أطنابه، قال زهير فقال جهم بن زحر لسعد بن مجعد: انزل فحز رأسه (٥) وقد أثخن جراحًا، فقال أخاف أن تجول الخيل، قال تخاف وأنا إلى جنبك،

(١) البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦١.

(٢) ينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٤؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤١ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٤؛ وينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٩٦، وقيل قتل عبد الكريم بن مسلم بقزوين، وقال أبو عبيدة: قال أبو مالك: قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين، وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً، فصلبهم وكيع سبعة منهم لصلب مسلم، وأربعة من بني أبنائهم: قتيبة، وعبد الرحمن، وعبد الله الفقير، وعبيد الله، وصالح، وبشار، ومحمد بنو مسلم، وكثير بن قتيبة، ومغلس بن عبد الرحمن، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو: وكان عامل الجوجان، وضرار: وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة، فجاء أخواله فدفعوه حتى نحوه. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤١؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٦٦؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٢ بتصرف يسير.

(٥) يقصد رأس قتيبة؛ وقيل لما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سعيد بن خدينة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، فحبس عمال يزيد وحبس فيهم جهم بن زحر الجعفي، وعلى عذابه رجل من باهلة، فقبل له هذا قاتل قتيبة، فقتله في العذاب، فلما سعيد، فقال أمرني أن أستخرج منه المال فعذبته فأتى على أجله. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٢ بتصرف يسير، ويبدو أن الباهلي ما قتله إلا أخذًا بثأر الأمير قتيبة بن مسلم؛ ولكنه قال جملة الأخيرة حتى لا يؤاخذ الأمير سعيد بن خدينة.

فنزّل سعد فشق صوفة (١) الفسطاق فاحتز رأسه (٢).

وأقبل الناس يسلبون باهلة فمنعهم وكيع من ذلك (٣)، "ثم إنه طلب رأس قتيبة وخاتمه (٤)، فقيل له إن الأزد أخذته، فخرج وكيع وهو يقول ده درين سعد القين (٥):

- (١) صوفة الفسطاق: سقفه الذي يغطيه. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٨ ص ٢٠١.
- (٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٤٢، وقال قوم منهم هشام بن الكلبي: بل دخلوا عليه فسطاطه فقتله جهم بن زحر الجعفي، وضربه سعد بن مجعد، واحتز رأسه. البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦١.
- (٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٤٤؛ البلاذري: البلدان، ص ٤٦١، وحدث رجل ممن كان مع وكيع حين قتل قتيبة قال: أمر وكيع رجلاً فنادى لا يسلبن قتيلاً، فمر ابن عبيد الهجري على أبي الحجر الباهلي فسلبه، فبلغ وكيع فضرب عنقه. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٤٤.
- (٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٤٣؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩؛ وينظر: البيهقي: تاريخ يعقوبى، ج ٢ ص ٢٩٦.
- (٥) دُهُ دُرَيْن سَعْدُ الْقَيْن: هذا مثل قد تكلم فيه كثير من العلماء، فقل بعضهم: الأصل فيه أن العرب تعتقد أن العجم أهل مكر وخديعة، وكان العجم يخاطبونهم، وكانوا يتاجرون في الدر ولا يحسنون العربية فإذا أرادوا أن يعبروا عن العشرة قالوا ده، وعن الاثنين قالوا دو، فوقع إليهم رجل معه خرزات سود وبيض فلبس عليهم وقال ودريين أي نوعان من الدر، أو ده درين أي قال عشرة منه بكذا، ففتشوا عنه فوجدوه كاذباً فيما زعم فقالوا ده درين ثم ضموا إلي هذا اللفظ سعد القين لأنهم عرفوه بالكذب حين قالوا إذا سمعت بسري القين فإنه مصبح فجمعوا بين هذين اللفظين في العبارة عن الكذب وثنوا قولهم درين لمزاوجة القين، فإذا أرادوا أن يعبروا عن الباطل تكلموا بهذا ثم تصرفوا في الكلمة فقالوا دهدر ودهدن ودهدار وجعلوا كلها أسماء للباطل والكذب، وقال بعضهم: أصله ده در فتثوه عبارة عن تضاعف معني الباطل، والمبالغة فيه، كما جمعوا أسماء الدواهي فقالوا الأقورين والفتكرين والبرحين إشارة إلي اجتماع الشر فيه، ثم غيروا أوله عن ده بالفتح إلي ده بالضم ليكونوا قد تصرفوا فيه بوجه ما. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٤٣ حاشية رقم ١؛ وينظر: ابن منظور: لسان العرب،

في أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر
لا خير في أحزم جواد القرع في أي يوم لم أرع ولم أرع
والله الذي لا إله غيره لا أبرح حتى أوتي بالرأس^(١)، فقال له حضيفين يا أبا
مطرف تؤتى به فاسكن، وأتى حضيفين الأزدي فقال: أحمقى أنتم بايعناه وأعطيناها
المقادة، وعرض نفسه، ثم تأخذون الرأس! أخرجوه، فجاءوا بالرأس فقالوا: يا
أبا مطرف إن هذا هو احتزه فاشكمه، قال نعم، فأعطاه ثلاثة آلاف، وبعث
بالرأس إلى سليمان مع سليط بن عبد الكريم الحنفي ورجال من القبائل، ولم
يبعث من تميم أحدًا^(٢).

ومن خلال ما سبق في هذا المبحث يتضح لنا عدة أمور:

- مدى الاستقرار والهدوء والثقة التامة التي حققها الوليد لأمرائه وقواده،
الأمر الذي جعلهم يحققون أعظم الإنجازات في أيسر الأوقات.
- مدى العداوة الشديدة التي كانت بين سليمان بن عبد الملك والحجاج
بن يوسف وأتباعه وأعدائه.
- القرار الخطير من الأمير قتيبة حين خلع سليمان بن عبد الملك بعد
توليته الخلافة، وكيف لم يتمالك قتيبة زمام نفسه حتى شتم زعماء العرب
وقرعهم وأهانهم.

ج ١٣ ص ٤٨٩.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٣؛ وينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها،
ص ٤٦١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٩٦.

• مدى الأثر الكبير التي أحدثته العصبية القبلية في جيش قتيبة بعد تطاوله عليهم؛ الأمر الذي نتج عنه ذلك الانقلاب السياسي الخطير الذي أودى في النهاية بحياته.





المبحث السابع: موقف الناس من قتل الأمير قتيبة

لقد اختلف الناس في المصرع الذي لقيه القائد قتيبة بن مسلم، فمنهم - كابن كثير وبعض الشعراء - من سوغ قتله بأنه زل زلة كان فيها حتفه، وفعل فعلة رغم فيها أنفه، وخلع الطاعة فبادرت إليه المنية وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية.... ولكن سبق له من صالح الأعمال ما قد يكفر الله به سيئاته، ويضاعف به حسناته؛ ومنهم من استنطق قتل مجاهد رفع ألوية الإسلام فوق كل مكان، ولنرى ذلك جلياً من خلال ما يأتي:

▣ أولاً: الشعراء وموقفهم من قتل قتيبة:

أ. الشعراء المسوغون قتله:

لقد ادّعى بعض الشعراء من كل قبيلة أن سادتها وفرسانها هم الذين اغتالوه جزاءً وفاقاً لتجبره عليهم، وظلمه لهم^(١).

فهذا الحضيبن بن المنذر الرقاشي، سيّد بكرٍ، يتَمَدَّحُ ويفتخر بأن حلفاءه من

(١) ولا أدري أي ظلم هذا الذي وقع عليهم من الأمير قتيبة، وإذا كان ثمة ظلم وقع منه فلم لم يتكلم بذلك أحد حال حياته؟! ولكن الثابت تاريخياً - من خلال بعض أشعارهم، وخطب الأمير قتيبة - أنه أحسن إليهم، وقسم الأموال فيهم، واستطاع القضاء على الخلافات التي كانت بينهم؛ وعلى أية حال فإن الأهواء الشخصية كان لها دور كبير في ذلك.

الأزد هم الذين فتكوا بقتيبة، وأنهم هم الذين ساعدوا تميمًا على الأخذ بثأرها منه؛ حيث اختاروا لقتله رجُلَيْنِ جَبَّارَيْنِ، وانتخبت هي رجُلًا هزِيلًا، أسود الأنف، مختوم الزراعين، أصم الأذنين، قبيح الخِلْقَة، بَشَعِ الوَجْهِ، وهو وكيع بن أبي سود، فيقول:

وإن ابنَ سعد وابنَ زَحرٍ تعاورا بِسَيْفَيْهِمَا رَأْسَ الهِمَامِ المتوجِ
وما أدركتُ في قيسِ عيلانٍ وترها بنو منقَرٍ إلا بالأزدِ ومزجِجِ
عشيةً جُننا بابنِ زَحرٍ وجئتمُ بأدغمٍ^(١) مَرَقومِ الذراعينِ دِيَزَجِ
أصمِ عُذاني كأن جبينه لَطَاخَةٌ نَقَسٍ في أديمِ مُمَجْمَجِ^(٢)

"وهذا ثابت بن قطنة الأزدي، يصور حال قتيبة بفرغانة، وما آل إليه من المذلة قبل أن يقتل، وما انتهى إليه من مصير مروع فظيع، فقد قطعت رأسه، ولطخ الدم جبينه تلطيحًا، بعد أن كان في حياته عاتيًا متسلطًا فيقول:

ألم تر أن الباهلي بن مسلم بفرغانة القصوى بدار هوان
تَمُورُ أسابي الدماء بوجهه وقد كان صعبًا دائم الخطران^(٣)

(١) أدغم: الدغمة والدغم من ألوان الخيل: أن يضرب وجهه وجحافله إلي السواد مخالفًا للون سائر جسده، ويكون وجهه مما يلي جحافله أشد سوادًا من سائر جسده، وهو الذي يسميه الأعاجم ديزج. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢ ص٢٠٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٢.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٢؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٩٤، واللطاخة: البقعة، النقس: الحبر، الممجمج: كثير اللحم. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣ ص٥١، ج٦ ص٢٤٠، ج٢ ص٣٦١.

(٣) د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٩٣، والأسابي: طرائق الدم، ودائم الخطران: كثير الوعد والتهديد.

وهذا نهار بن توسعة يفتخر بأن قومه من بكر هُم الذين قاموا بقتله؛ لأنه طغى وبغى وتجبر عليهم فيقول:

ولما رأينا الباهلي بن مسلم تجبر عممناه عضباً مهنداً^(١)

"وأما بِيَهَسُ بنُ حاجبِ التميمي فيذهب إلى أن وكيعاً هو الذي ثار لقتلى عشيرته من الأهاتم، وانتصر للخلافة، ولسليمان بن عبد الملك؛ إذ لم يكذب ينادي شجعان قومه حتى لبوا نداءه؛ لأن من عادتهم أن يسرعوا إلى المستغيث، ويتسابقوا إلى المعالي، مع إعداد العدة للحرب، والفوز فيها بالنصر، فيقول:

وَرَدَ عَلَى سَعْدٍ وَكَيْعٍ دِمَاءُهَا حَفَاطًا وَأَوْفَى لِلْخَلِيفَةِ بِالْعَهْدِ

وَلَا دَعَى فِينَا وَكَيْعٌ أَجَابَهُ فَوَارِسُ لَيْسُوا بِالرَّبَابِ وَلَا سَعْدِ

فَوَرِسٌ مِنْ أَبْنَاءِ عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ سِرَاعٌ إِلَى الدَّاعِي سِرَاعٌ إِلَى الْمَجْدِ

مِيَامِينُ لَا تُكْشَفُ اللَّقَاءُ لَدَى الْوَعَى وَلَا نُكْذَرُ إِنْ حَشَتِ الْحَرْبُ بِالنُّكْدِ^(٢)

وأخذ وكيع بن أبي سود يتمجد بنفسه، تمجداً فيه العجب والكبر والغرور، إذ يقول مصوراً ازورار العرب عنه، وتحاميتهم له؛ لبذاءة لسانه، وكثرة شره وأذاه:

قَد جَرَبُونِي ثُمَّ جَرَبُونِي مِنْ غَلَوَتَيْنِ وَمِنْ الْمَثِينِ

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٤؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٩٣، ٩٤، والعرب تقول للرجل إذا سُودَّ قد عمم، وكانوا إذا سُودُّوا رجلاً عمموه عمامة حمراء. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢ ص٤٢٣، وهكذا وصل الحد بالشاعر (نهار) إلى أن يشاكل بين تعميم الرجل بالعمامة الحمراء إذا سود، وبين تعميمه بالسيف إذا قتل.

(٢) د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٩٤، ٩٥.

حتى إذا شئت وشيبيوني خلوا عناني وتنكبوني^(١)

ثم قال معتزاً بنسبه وأصالته:

أنا ابن خندف تنميني قبائلها للصالحات وعمى قيس عيلانا^(٢)

وعلى النحو الذي تمدَّح به شعراء القبائل العربية في خراسان بالثورة على قتيبة، وعزا كل منهم قتله إلى قبيلته أو إلى حلفائها، تمدَّح كذلك الشعراء في العراق من القبائل نفسها بهذا الأمر.

فهذا لطرماح بن حكيم الطائي القحطاني الكوفي يكرر المعاني التي رجعها شعراء الأزد كثيراً بخراسان، مع الإفاضة فيها، والتعظيم لأمرها، ومع الإحساس القوي بالعصبية لأهل اليمن والتباهي بهم على العرب كافة^(٣)، ومع المن على المسلمين عامة والخلفاء الأمويين خاصة، فقومُهُ هم الذين صانوا للعرب وخذتْهم وسيادتهم، وهم الذين وقَّوا للخليفة سليمان، لأنهم حماة الإسلام في أول عهده حيث وقفوا بجانب النبي ﷺ كثيراً، وهم كذلك أنصار الأمويين الذائدين عنهم، الموطدين لحكمهم فيقول:

لولا فوارسٌ مذحج ابنة مذحج والأزد زُغزَعٌ واستبيح العسكرُ

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٢؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٩٥.

(٢) المرجعان السابقان بنفس الصفحات.

(٣) وهذا منهجٌ عنه في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، حيث أن التفاضل بين الناس يقوم على أساس التقوى والعمل الصالح، كما أن العصبية لغير الدين منهي عنها أيضاً، وقد جاء الإسلام فأبطل هذه العادات والتقاليد.

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْبِلَادَ وَلَمْ يَؤُوبُ مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مُخَبِّرُ
وَأَسْتَطَلَقَتْ عَقْدُ الْجَمَاعَةِ وَأَزْدُرَى أَمْرُ الْخَلِيقَةِ وَأَسْتُجِلَّ الْمُنْكَرُ
قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا قُتَيْبَةَ عَنُوءَ وَالْخَيْلُ جَانِحَةٌ عَلَيْهَا الْعَيْشُ
مَنْ مَزَجِحِجٍ وَالْأَزْدِ حِينَ تَجْمَعْتُ لِلْحَرْبِ زَمَزَمَةٌ تَغِظُ وَتَهْدِرُ
وَالْأَزْدُ تَعْلَمُ مَا يَقَالُ ضُحَى غَدٍ تَحْتَ اللَّوَاءِ فَتَسْتَجِدُ وَتَضْبِرُ
فِي عِزْنَا انْتَصَرَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَبِنَا تَثَبَّتَ فِي دِمَشْقَ الْمُنْبِرُ^(١)

أما الفرزدق^(٢) شاعر بني تميم في البصرة فينسب كل ما حدث بخراسان - من الثورة على قتيبة وقلته - إلى قومه، ويستشعر مكانة قبيلته استشعاراً عارماً، وأخذ يكرر في المعاني التي ردها شعراء بني تميم بخراسان، مع الإسهاب فيها، والتضخيم لها، فإذا قومه هم الذين أراقوا دم قتيبة، ومنعوا أخاه ضراراً من الموت وما أحب وقتها أن له من غير تميم أب ولا أم، وإذا هم الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله في الأرض، فانتشر الإسلام في كل ناحية،

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٥، ١٧٦؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٩٥، ٩٦.

(٢) ولد أبو فراس همام بن غالب التميمي حوالي سنة ١٩هـ، ونشأ بالبصرة، وورث عن قبيلته الفصاحة والاعتزاز بمكانتها وتراثها وكثرة عددها، وحفظ القرآن بعد أن قال الشعر، وتعلم على المؤدبين فأصبح ذا ثقافة واسعة، وظل حياته يهجو الولاة والأمراء والشعراء؛ لأنه كثيراً ما كان ينفر من النظام والإذعان للحكام حتى أنه لم يكن مخلصاً في مديحه للأمويين مع اتصاله بهم، ونيله جوائزهم، توفي حوالي سنة (١١٤هـ / ٧٣٢م). د/ سعيد عبد المقصود: ظلام، د/ السيد تقي الدين السيد: تاريخ الأدب والنصوص، ص٢٣٣، د/ السيد تقي الدين: من أدب الجاهليين والإسلاميين، ص٢٠٨.

وارتفع صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ فَيَقُولُ (١):

وَمِنَا الَّذِي سَلَّ السُّيُوفَ وَشَامَهَا عَشِيَّةَ بَابِ الْقَصْرِ مِنْ فَرَّغَانَ
عَشِيَّةَ لَمْ تَمْنَعْ بَيْنَهَا قَبِيلَهُ بَعِزْ عِرَاقِي وَلَا بِيْمَانَ
عَشِيَّةَ مَا وَدَّ ابْنُ غِرَاءٍ أَنَّهُ لَهُ مِنْ سَوَانَ إِذْ دَعَا أَبَوَانَ
رَجَالَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِذْ مَا تَجَالَدُوا عَلَا الدِّينَ حَتَّى شَاعَ كُلُّ مَكَانٍ
وَحَتَّى دَعَا فِي سُورِ كُلِّ مَدِينَةٍ مَنَادٍ يَنَادِي فَوْقَهَا بِأَذَانٍ

والذي يتضح لنا من خلال الأبيات والمقطوعات السابقة، والتي نظمها الشعراء في خراسان والعراق، بعد موت قتيبة، "أن ما يشيع فيها من المنافسة والمفاخرة والمكاثرة يعود إلى سببين أساسيين: الأول: استبداد الروح الجاهلية، والعصبية القبلية بنفوس قبائلهم، وقوة إحساسهم بالفردية والذاتية، وضعف تمثلهم لفكرة الوحدة والأمة" (٢).

والثاني: رغبة كل قبيلة في منافقة سليمان بن عبد الملك ومصانعته، حيث أعلن شعراء كل قبيلة أن قومهم هم الذين رفضوا الخروج عليه، وعدوا عصيان قتيبة له عبثاً وفتنةً كبيرةً؛ ولذلك فإنهم انفصلوا عن قتيبة، وفتكوا به، إيماناً منهم بحق سليمان في الخلافة، واعتقاداً منهم بأن الفتنة يجب أن توأد في مهدها، لما تنذر به من أخطار جسيمة، تهدد الدين، وتوهن جانب المسلمين، ولا شك في أنهم أكبروا هذه المعاني ورددوها كثيراً، وجهروا بها، لأغراض شخصية، وأهواء

(١) تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٤؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٩٦، ٩٧.

(٢) د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٩٧ بتصرف يسير.

نفسية، فقد كانت كل قبيلة تطمع في أن يكافئها سليمان بالولاية على خراسان لقاء تعلقها به، ووفائها له^(١).

وقام وكيع بن أبي سود التميمي بالولاية بعد ذلك الإضراب وتلك الفوضى، ففرح العرب واستبشروا خيراً^(٢)؛ ولكن وكيع أخلف ظنون العرب به، وخيب آمالهم فيه، فقد أزلهم وتحكم برقابهم، وبطش بهم، ولم يقف عند هذا الحد من التعدي عليهم، بل خرج على حدود الشرع وأدابه، فإذا به لا يقنع بحد السكران جلدًا؛ بل يسفك دمه سفكًا، فلما روجع في ذلك وقيل له: "ليس عليه القتل؛ إنما عليه الحد"، لم بهذا الكلام ولم يخضع لأمر الله وسنة رسوله، بل قال في كبر وعناد: أنا لا أعاقب بالسياط، وإنما أعاقب بالسيف، فقال الشاعر
نهار بن توسعة:

وكنانبيكي من الباهلي فهذا الغداني شر وشر^(٣)
وهكذا فقد رضي بعض الشعراء عما حدث للأمير قتيبة، وعلتهم في ذلك أنه زلّ زلة عظيمة بخلعة الطاعة للخليفة سليمان. وقد تكون وجهة النظر هذه مقبولة بعض الشيء، إلا أنهم اتخذوا من هذا الحدث ذريعة لهم لينفثوا فيها عن

(١) ينظر: د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٩٧، ٩٨.

(٢) حتى إن نهار بن توسعة البكري نفخ في رأسه، وعظم دوره، ومضى يحجب للناس شخصيته، معلناً أنهم أسلموا إليه زمام أمرهم؛ لأنه مشهور بفنائه في الحروب، مذكور بوفائه للخليفة، وأنه قادهم قيادة سليمة، وساسهم سياسة عادلة، فاجتمعت كلمتهم والتأمت صفوفهم، واتحدوا بزعامته تحت راية الإسلام. د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٩٨.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٤؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٩٩.

حسدهم وحقدهم على الأمير قتيبة، وكان الدافع لهم على ذلك تلك العصبيات القديمة - بسبب التنافس على الولاية - التي أنساها لهم الأمير قتيبة وجعلهم يتسامون فوقها، ووحده كلمتهم تحت راية الجهاد.

بيد أن تلك العصبيات ظهرت مرة أخرى بعد موته، فأخذ كل شاعر يدعي أن قبيلته يرجع لها الفضل في قتله حفاظاً على وحدة المسلمين ووفاءً للخليفة. ولقد فرح الناس كثيراً بولاية وكيع بن أبي سود، وفهموا الأمر على غير حقيقته، فإذ بوكيع يخيب آمالهم فيسلط سيفه على رقابهم، وهنا أدرك الناس جميعاً مكانة الأمير قتيبة وفضله الذي لم يشعروا به من قبل، لم أعقد عليهم من نعم الله تعالى الكثير والكثير، وأيقنوا مدى الفارق الكبير بين هذا وذاك، فأخذوا يندبون حظهم على لسان شاعرهم نهار بن توسعة، ورحمة الله على الأمير قتيبة.

ب. موقف الشعراء المخلصين من قتل الأمير قتيبة:

لقد كان لمصرع قتيبة دوي هائل في العرب والفرس معاً؛ أما المخلصون من العرب فقد رثوه بقصائدهم النائحة، مراثي رقيقة مفجعة حزينة تتفق مع بشاعة المصرع، وأقضى مضاجعهم أن تكون نهاية البطل الفاتح قريبة عاجلة، بعد أن عقدت عليه الآمال، ومكن للإسلام في بلاد يعوذها الإشراق والإيمان^(١).

(١) ينظر: د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٦٢، محمد عبد الغني حسن: بطل السند، ص ٨٦.

فهذا هو الشاعر جرير^(١) يقول:

ندمتم على قتل الأعرابن مسلم وأنتم إذا لاقيتم الله أندم
لقد كنتم من غزوه في غنيمة وأنتم لمن لاقيتم اليوم مغنم
على أنه أفضى إلى حور جنة وتطبق بالبلوى عليكم جهنم^(٢)

وهذا عبد الرحمن بن جمانة الباهلي^(٣) فإنه لم ينكب في قريب له، عزيز
عليه فقط، وإنما نكب في بطل له تاريخه وماضيه، وفي رجل كان رأس قبيلته،
وسيدها العظيم الذي ارتفعت بحياته، وانحطت بمماته، فيقول:

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والقوم حولهُ وقوفٌ ولم يشهد له الناس عسكرا

(١) ولد أبو حرزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي باليمامة، من بيت كثر شعراؤه، ونشأ بالبادية وأقام بها، ولم يكن يتردد على العراق والشام إلا قليلاً عند مس الحاجة ليمدح الأمراء، فهو رأس الطبقة الأولى من شعراء الدولة الأموية، وأخصبهم شاعريةً، وأرقهم غزلاً؛ انقطع في أول أمره لمدح الحجاج والي العراق من قبل الخليفة عبد الملك، ولما ذاع شعره كبر على الخليفة أن يخص الحجاج بمدحه دونه، فأحس الحجاج بذلك فأوفده مع ابنه محمد إلى دمشق، فأصبح بذلك شاعر الخلفاء، فحسده الشعراء على هذه المكانة، ففضى حياته يهاجي شعراء عصره، ويناضلهم حتى تمت له الغلبة عليهم، ولم يثبت له إلا قريناه: الفرزدق والأخطل. ينظر: د/ سعيد عبد المقصود ظلام، د/ السيد تقي الدين السيد: تاريخ الأدب والنصوص "في عصر صدر الإسلام وبني أمية، ص ٢٤٧.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٨٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٧٦؛ محمد عبد الغني حسن: بطل السند، ص ٨٦.

(٣) عبد الرحمن بن جمانة بن عصيم احد بني طريف بن خلف بن محارب بن خصفة الباهلي، الشاعر المعروف، وجمانة أمه. ابن ماکولا: الإكمال، ج٢ ص ٥٣٢.

دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ وَرَاحَ إِلَى الْجَنَاتِ عَفَا مُطَهراً (١)
 "أما الفُراتُ السني العبدى فيشيد بجرأة قتيبة بن مسلم، وصحة شكيمته،
 وكبر همته، وقلة مبالاته بالموت، واكتراثه للحياة في الحرب، حين يجبن
 المترددون، ويعتمدون على غيرهم؛ مما هياً له الظفر بأعدائه من الصغد ظفراً
 مستمراً باهراً، والسبق إلى أبعد غايات المجد والسؤدد، وإدراك ما لم يدركه
 غيره من العلا والرفعة، فإذا بطولاته وفتوحاته حديث الناس في كل مجلس (٢)"،
 فيقول:

يَرَى الْمَوْتَ مَنْ عَادَى قَتِيْبَةَ مُجْهَرًا وَيَسُّ بِوَقَافٍ وَلَا بِمُؤَاكِلٍ
 وَلَكِنَّهُ سَمَّحٌ بِنَفْسٍ كَرِيْمَةٍ بَدُوْلٌ لَهَا يَوْمَ التَّفَاتِ الْقَنَابِلِ
 حَوَى الصُّغْدَ حَتَّى شَاعَ فِي النَّاسِ ذِكْرُهُ وَنَالَ التِّي أَعْيَتْ عَلَى الْمُتَطَاوِلِ (٣)

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٥؛
 د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٠٤، ويقصد بقوله عبها أم ولد له، ينظر:
 الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٥ بتصرف
 يسير، وأرى أن الشاعر قد بالغ في بيته الأخير مبالغة كبيرة؛ ولعل الذي دفعه إلى قول مثل هذا
 البيت هو تلك الصدمة الشديدة والفاجعة العظيمة التي فجج بها حينما رأى الأمير قتيبة
 مجندلاً على الأرض لا حول له ولا قوة، وهو ذاك البطل الكبير والفارس المغوار، الذي دوخ
 الأعداء وفتح البلاد، وهدى الله على يديه خلق كثير، فلم يتمالك الشاعر نفسه وظن أن قتيبة
 أكبر شخصية امتحن المسلمون بفقدائها بعد الرسول الكريم، وأقول: لو أن هذا الشاعر كان
 يعي ما يقول ويعتقده لكان واقفاً في إثم عظيم وجرم كبير؛ حيث لم يجز له أن يقول مثل هذا
 الكلام، فهناك صحابة رسول الله ﷺ الذين ثبت أنهم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، ونحن
 ندين الله - تعالى - بذلك.

(٢) حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص١٦٧.

(٣) ينظر: المرزبانى: معجم الشعراء، ص١٩٠؛ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص١٦٦،
 ١٦٧، والأغلب أن الفرات يشهر بيزيد بن المهلب في قوله: "ونال التي أعيت على

"ولقد ظل الفرات يفي لقتيبة، ويُجهر بتقديره له، حتى بعد اغتياله، وقيام يزيد بن المهلب بالولاية، مع ما كان يعرضه له إخلاصه لقتيبة من احتمال بطش ابن المهلب به" (١).

ويتضح ذلك جلياً حينما سُئل عنه وعن يزيد، فرفض ذمه، وأبى تقديم يزيد عليه، لأنه كان يؤمن بفضله وقدراته، كما كان يؤمن بوجود الثبات على المبدأ مهما تكن العواقب (٢). ولذلك فقد اعترف بِفَضْلِ الرجلين دون خشيةٍ من لومٍ، أو رهبةٍ من عذاب، وإن كان قد تخلص من المأزق تخلصاً بارعاً بتسويته بينهما، وجعله كلاً منهما نظيراً لصاحبه، فهما عنده جوادان مشهوران يلوذ بهما كل محتاج، وفارسان مغوران يرمى كلُّ منهما بنفسه في معترك الحرب ويقاتل قتال الأبطال، لاتصافهما بالشهامة والإباء، وحرصهما على العمل الصالح، فيقول:

سَأَنْطِقُ حَقًّا فِيهِمَا إِذْ سَأَلْتَنِي وَلَيْسَ أَخُو حَقِّ كَحَيَّرَانَ جَاهِلِ
هُمَا الْبَحْرَانِ لِلْعَافِينَ وَالْمُبْتَغِي الْقَرَى وَلِشَا عَرِينَ عِنْدَ وَقْعِ الْمَنَاصِلِ
هُمَا يَرِدَانِ الْمَوْتَ لَا يَرْهَبَانِهِ إِذَا ضَجَّ مِنْهُ كُلُّ أَشْوَسَ بَاسِلِ
حَيَاءً وَبَذْلًا لِلنَّفُوسِ وَحِسْبَةً بِكُلِّ سُرْيَجِي وَأَسْمَرَ عَاسِلِ (٣)

الْمُتَطَاوِلِ"، لضالة غزواته وانتصاراته بالقياس إلى قتيبة بن مسلم، ولكثرة إدعائه وغروره من ناحية، وكيداً له، ونكاية به - لأنه فضل الأزد على حلفائها من بكر - من ناحية أخرى. حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ١٦٧.

(١) حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ١٦٧.

(٢) وذلك بخلاف ما كان يفعله بعض الشعراء المضطربين مثل نهار بن توسعة وغيره.

(٣) ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٩٠؛ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ١٦٧،

وأما الأصم بن الحجاج الباهلي فيقول:

أَلَمْ يَأْنِ لِلأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا بَلَى نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالمَجْدِ وَالفَخْرِ
نَقُودُ تَمِيمًا وَالمَوَالِي وَمَذْحِجًا وَأَزْدَ وَعَبْدَ القَيْسِ وَالحِي مَنْ بَكَرِ
نَقَتْلَ مَنْ شِئْنَا بِعِزَّةِ مُلْكِنَا وَنَجْبُرُ مَنْ شِئْنَا عَلَى الحَسْفِ

وبالنظر فيما سبق تتضح لنا عدة أمور:

- إذا كان هناك من يذم قتيبة ويعيبه ويتجاوز الحد في وصفه، فإنه أيضًا لم يعدم الأنصار والأعوان، ومن يثنون عليه بعد موته.
- مدى الصدمة الشديدة التي صدم بها الكثير من الناس بموت هذا القائد العظيم وقد ترجم ذلك على لسان بعض الشعراء كما رأينا سلفًا.
- لا ننكر أن الأمير قتيبة قد أخطأ حين خرج على الخليفة سليمان، كما يؤخذ عليه كذلك تطاوله على زعماء العرب وشتمه لهم عندما لم يجيبوه إلى ما أراد، ولكن أقول: إن مما لا يجوز أبدًا هو تلك اللهجة وتلك الحرب الشعرية الشديدة التي شنّها بعض الشعراء على قتيبة بعد موته، فهو قد أفضى إلى ما قدم إليه، وقد أقدم على رب كريم يقبل القليل ويعفوا عن الكثير، فلعل الله قد غفر له زلته بما يكابده من قتال الأعداء ونشر الإسلام في بلاد كستها الوثنية بثيابها

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٥، ٤٦، ومن خلال تلك الأبيات يتبين لنا مدى الصدمة التي وقعت على نفس الشاعر، حتى أصبح مضرب الفكر، مفرق العواطف؛ الأمر الذي جعله لا يفاخر إلا بسياسة الأمير قتيبة وقيادته الحازمة، حيث خضعت له كل القبائل دون أن يرتفع صوت معارض، ونجح في توحيد صفوف العرب تحت راية الجهاد في سبيل الله.

المظلم الكثيف، والله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ (١)، ويقول أيضًا: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

ثانياً: الخليفة سليمان وموقفه من قتل قتيبة:

ذكر الطبري أنه ورد عن أشياخ من قيس قالوا: قال سليمان للهديلي بن زفر حين وضع رأس قتيبة ورؤوس أهل بيته بين يديه: هل ساءك هذا يا هذيل؟ قال: لو ساءني لقد ساء قومًا كثيرًا، فكلمه خريم بن عمرو والققعاق بن خليل فقال: ائذن في دفن رؤوسهم، قال: نعم، وما أردت هذا كله (٣).

ولعل الخليفة كان صادقاً في موقفه هذا؛ خاصة وأنه لم يثبت ثبوتاً قطعياً - على حد علم الباحث - أن الخليفة أمر بقتله، أو حتى عزله، بل الراجح أنه أرسل بعهد له على خراسان، ولكن جيشه هو الذي تألب عليه بقيادة وكيع التميمي.

ثالثاً: هيبة العجم من الأمير قتيبة و موقفهم من قتله:

إن فتوحات الأمير قتيبة الواسعة لتشهد له بالشجاعة والبطولة النادرة؛ مما جعله مهاباً لدى الترك والعجم، فقد كان مجرد ذكر اسمه يوقع الهلع في نفوس

(١) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٣؛ فتحي السيد حسن سيد أحمد البسيشي: الصراع القبلي في العصر الأموي وأثره في الحياة السياسية الاجتماعية، ص ٢٤٥.

خصومه، فقد ذكر الحسن بن رشيد قال: "قال الإصبهني^(١) لرجل: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة ويزيد، وهما سيدا العرب، قال فأيهما كان أعظم عندكم وأهيب؟ قال لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جحر به في الأرض مكبلاً بالحديد ويزيد معنا في بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا، وأعظم من يزيد"^(٢).

كما ذكر الطبري رواية أخرى عن يزيد بن سويد قال: "قال رجل من عجم أهل خراسان يا معشر العرب، قتلتم قتيبة، والله لو كان قتيبة منا فمات فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا، وما صنع أحد قط بخراسان ما صنع قتيبة"^(٣).

تعليق وتحليل:

من المؤسف أن تكون نهاية حياة هذا البطل الشجاع والقائد العظيم نهاية لا تليق به، فلقد راح -يرحمه الله- ضحية تسرعه وانتصاره لهواه، حيث خلع

(١) الإصبهني: وهي كلمة فارسية معناها المدير المالي للناحية. ينظر: د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٤؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٦٢؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٤٧، وذكر عن المفضل بن محمد الضبي أنه جاء رجل إلى قتيبة يوم قتل وهو جالس فقال اليوم يقتل ملك العرب - وكان قتيبة عندهم ملك العرب - فقال له اجلس. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٧٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٤٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ٢٠١؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ١٩٠؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج ١، ص ٥٠٣.

الطاعة وخرج على خليفة المسلمين، وكاد أن يحدث جرحاً عميقاً في جسد الأمة، فبادت إليه المنية وفارق الحياة. وأفضل ما يستشهد به في هذا المقام هو قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (١).

وإن مما يثير الدهشة والغرابة هو ذلك الأسلوب القاسي الذي تعامل به الأمير قتيبة مع زعماء العرب، حيث شتمهم وأهانهم وتفاخر عليهم؛ مما كان سبباً في نفورهم عنه والخروج عليه، ثم قتلهم له بعد ذلك.

وإن الناظر إلى تلك النهاية المأساوية للأمير قتيبة ليتساءل عن تلك الحال التي وصل إليها وما كان عليه من قبل - من حيث القدرة التامة على فرض الانضباط والطاعة - وهنا يمكن القول أنه قد فقد قدرته على ذلك عندما تخلى هو عن هذا الانضباط وأعلن تمرده فكان في ذلك الباعث القوي على مخالفته والثورة عليه.

ولكن يبدووا القضية ليست بهذه البساطة؛ "فقد ابتليت الدولة الأموية بأعمال تمرد كثيرة قادها - على الأغلب - ولاة خراسان وقادتها، وكان مصير هذه الثورات الفشل الذريع، مع ما تركته هذه الثورات من جراح عميقة في جسم الدولة الأموية، وعلى هذا فإن الأرضية لم تعد - في عهد قتيبة على الأقل - مؤهلة لقبول ثورة جديدة" (٢).

ومهما كان عليه الموقف فإن له بعض العذر فيما فعل؛ "حيث أن ثورته

(١) سورة الشورى، آية: ٣٠.

(٢) ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٥٧.

وتمرده إنما تقترن في الواقع بمجموعة من الأحداث المشابهة التي حدثت خلال تلك الفترة ذاتها؛ فقد توفي الحجاج بن يوسف في سنة (٤٥هـ/ ٧١٤م) وولي يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند، فأخذ محمد بن القاسم الثقفي وقيدته وحمله إلى العراق ثم قتله^(١).

وما من شك في أنه كان لهذا الحدث أثر عميق في نفس قتيبة؛ ولهذا فعندما توفي الوليد في السنة التالية، عرف أن في ذلك نهايته الحتمية، هذا إذا علمنا أنه كان من أنصار عزل سليمان وتولية عبد العزيز بن الوليد كما سبق.

وكما سبق أيضًا فإن قتيبة كان يعرف العلاقة الوثيقة التي تصل بين سليمان وبين منافسه على ولاية خراسان (يزيد بن المهلب)، ولذلك فضل تلك النهاية على الاستسلام خشية أن يحدث له ما حدث لمحمد بن القاسم الثقفي، خاصة وأنه قد ذكر في بعض المصادر "أن الخليفة سليمان لم يلبث أن أصدر قراره بعزل قتيبة وتولية يزيد بن المهلب، كما أمر بإحضار قتيبة إلى بلاط الخلافة في دمشق"^(٢).

وعلى هذا فإن قتيبة قد اتخذ قراره بإعلان التمرد لا نزقًا ولا طيشًا وإنما استنادًا لمعطيات ثابتة لم تترك له سوى خيار من اثنين؛ إما الاستسلام مع احتمال الذل والهوان، ثم الموت في النهاية، وإما إعلان التمرد والموت قتلاً

(١) ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ص ٢٤٥، ٢٤٦؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص ٥٠١، ٥٠٢.

(٢) ينظر: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢١٢؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج١ ص ٢٣٣؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٦١.

بإباء وشرف دون فكرة الاستسلام.

ويتوافق الخيار الثاني مع طبيعة الإنسان العربي الأبية، أكثر مما يتوافق الخيار الأول، وهو الاستسلام^(١).

لقد فضل الأمير قتيبة أن يموت في ساحة القتال دون أن يُعاني الذل والهوان ثم الموت في غياهب السجن وثقل الأغلال، لذا أعلن مخالفته الصريحة، وأبت عليه نفسه الاستسلام فسقط شهيداً، وصعدت روحه إلى بارئها راضية بمآثرها البيضاء وجهادها الخالد، وسلام على البطل العظيم.

"ومن المؤسف أن أكثر أعوانه من العرب تألبوا عليه في محنته، لا لشيء إلا أنه وثق في كفاية بعض الخراسانيين فقدمهم في الأولوية والقيادة مع نظرائهم من العرب، مؤثراً المساواة العادلة التي شرعها الإسلام، وكأنه بذلك قد جانب حقاً واضحاً واعتصم بضلال أكيد"^(٢).

وقد مرَّ بنا أن الحجاج بن يوسف كان ممن وافق الوليد على نقل الخلافة إلى ابنه، غير أنه توفي قبل موت الوليد وتولية سليمان، ولا شك في أنه كان من أكثر ولاية بني أمية كفاءة وقدرة وأقول: ماذا كان سيفعل الحجاج لو لم يباغته الأجل وعاش حتى ولي سليمان الخلافة، أكان سيفعل ما فعل قتيبة مع ما بينه وبين سليمان من النفور والشقاق؟ أم كان سيؤثر طاعة الخليفة وينتظر قضاء ربه، وإذا فعل هذا هل كان قتيبة سيتابع قائده وقدوته الحجاج أم كان سيخالف

(١) ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٥٨.

(٢) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٦١.

ويفل ما فعل من الخروج على الخليفة سليمان.

وعلى أية حال فإنه من غير الممكن تقويم الأمور بعيداً عن ظروفها وملابساتها. ومن باب الأمانة يجب أن نذكر هنا أنه رغم ما حدث من قتيبة إلا أنه عندما ألقى برأسه أمام الخليفة سليمان بن عبد الملك، لم يتردد الرجل في إظهار تأثره، وقال: ما أردت هذا كله!

وحينما أرسل يزيد بن المهلب عاملاً على خراسان كتب إليه: "إن قيساً تزعم أن قتيبة لم يخلع الطاعة، فإن كان وكيع قد تعرض له وثار عليه، ولم يكن خلع، فقيده وابعثه إلى"^(١).

وما من شك في أن سليمان كان صادقاً في موقفه - سواء عندما أرسل إلى قتيبة بعهدده على خراسان - كما سبق أن مر بنا - أو عندما علم بقتله، أو حينما كتب إلى يزيد بن المهلب - ويتأكد الصدق في سلوكه من خلال ما عرف عنه في حياته من العدل، ونفاذ البصيرة، والحرص على دعم قوة دولة المسلمين وتحقيق الاستقرار لها، كما توج أعماله في نهاية حياته باختياره لعمر بن عبد العزيز^(٢)، خليفة له.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٧٨؛ د/ حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها؛ ص٢٠٩.

(٢) هو عمر بن عبد العزيز: بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب (ت ١٠١هـ)، الإمام الحافظ، العلامة المجتهد، الزاهد العابد، أمير المؤمنين حقاً، أبو حفص القرشي الأموي المدني، ثم المصري، وكان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين رحمة الله عليه، ولد سنة ثلاث وستين، ولي عمر المدينة في إمرة الوليد من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، ولما ولي الخلافة سنة ٩٩هـ قام على المنبر فحمد

وأستطيع أن أستنتج من خلال هذا الفصل بعض النتائج الآتية:

١. إنَّ الأمير قتيبة هو أحد الأبطال والشجعان، ومن ذوي الحزم والدهاء، والرأي والغناء؛ قائد من القواد الكبار، واحد من سادة المعارك، وعباقرة الحروب في التاريخ العالمي؛ إنه أبو حفص: قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو الباهلي.

٢. كان أبوه مسلم عظيم القدر عند يزيد بن معاوية، ولكنه انضم فيما بعد إلي صف مصعب ابن الزبير وقتل معه في معركة مسكن.

٣. قيل إنَّ قبيلة كانت منحطة بين العرب، وكانوا يستنكفون من الانتساب إليها، كما هجاها كثير من الشعراء، ولكن قتيبة - ووالده من قبله - قد رفع هذه القبيلة المتواضعة، بما كسبه من مجد باذخ إلى مصاف القبائل العريقة، كما تذكر بعض المصادر أن هذه القبيلة قد أسلمت في وقت مبكر في حياة النبي ﷺ.

٤. ولد قتيبة بن مسلم في عهد معاوية بن أبي سفيان بالبصرة عام (٤٩هـ/٦٦٩م)، ولقب بالأمير أبو حفص، وكان يكنى بأبي صالح؛ وهو من التابعين، وقد سمع من عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

٥. ولقد نشأ قتيبة في بيت يهيم بالفروسية والبطولة، فكان أبوه بن مسلم بن مضرب المثل في الفتوة والبسالة، وكان له فرس من جياذ الخيل يسمى الحرون.

الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إني لست بفارض ولكني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص٥٦٦: ٥٩٠.

٦. عين والياً علي الري عام (٨٣هـ / ٧٠١م) في أيام عبد الملك بن مروان، ثم ولى خراسان عام (٨٥هـ / ٧٠٤م) في أيام ابنه الوليد - وكان وقتها قد بلغ نحو السابعة والثلاثين من عمره - وأقام بها عشر سنين.

٧. كان من كبار أمراء بني أمية وخيرتهم، وكان شهماً مقداماً نجيباً؛ اتصف بحبه للخير وحرصه عليه، كما جعل من نفسه القدوة الفعلية في تطبيق سنة رسول الله ﷺ، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله ﷻ.

٨. ولقد فضل الأمير قتيبة أن يموت في حومة القتال دون أن يلقي منيته في غياهب السجن وثقل الأغلال، فأعلن مخالفته الصريحة، ولكن شهماً طائشاً أودى بحياته، فسقط شهيداً، وطارت روحه الباسلة إلى ربها راضية بماثرها البيضاء وجهادها الخالد، فرفعه التاريخ إلى أفق زاهر يشرق بالبطولة والكرامة والشهادة، وفي ذلك عزاء أي عزاء، وسلام على البطل العظيم.



الفصل الثالث

فتوحات الأمير قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر

تمهيد

المبحث الأول: فتح بيكند

المبحث الثاني: فتح بخارى

المبحث الثالث: بعض النتائج التي ترتبت على فتح بخارى

المبحث الرابع: صلح قتيبة مع ملك خوارزم، وفتح خام جرد

المبحث الخامس: فتح مدينة سَمَرْقَنْد

المبحث السادس: فتح الشاش وفرغانة وكاشغر



ما أن ولي الأمير قتيبة خراسان في عهد الوليد بن عبد الملك^(١) حتى وثب لغزو بلاد ما وراء النهر فتوغل فيها وافتتح كثيرًا من المدائن كخوارزم وسجستان وسمرقند، وغزا أطراف الصين وفرض عليها الجزية، وخضعت له بلاد ما وراء النهر كُلِّهَا؛ فيعتبرُ بحق من أعظم القادة الفاتحين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ الدولة الأموية بصفة خاصة.

ومن الجدير بالذكر أن من أهم العوامل التي ساعدت على نجاح الأمير قتيبة في فتوحاته العظيمة وأعماله النادرة هو استقرار الدولة في عهده وخمود الثورات التي كانت مصدر قلق واضطراب للدولة الأموية من قبل.

كما لا ننسى أيضاً الدور العظيم والمهم لوالي العراق - والقائد المحنك اليقظ - الحجاج بن يوسف الثقفي "الذي وضع ثقته في الأمير قتيبة، وواصل إمداده بالرجال؛ فاجتمعت لقتيبة شجاعة القائد وإقدامه، وعزم الوالي

(١) ومن الجدير بالذكر أنه في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م) اتسعت الفتوح، واشتهر في ذلك العهد ثلاثة من القواد كان لهم أعظم الأثر في نشر الإسلام في مناطق كثيرة، وهم قتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم الثقفي، وموسى بن نصير.

وتصميمه، وقوة الدولة؛ فكانت أعماله الرائعة في بلاد آسيا الوسطى" (١).

ولقد امتاز الأمير قتيبة على من سبقه في أنه كان يضع لكل حملة خطة ثابتة، ويحدد لها وجهة معينة، ويجتهد في الوصول إلى ما يقصده غير عابئ بالمصاعب، معتمداً على بسالته النادرة وروح القيادة التي امتاز بها، وإيمانه العميق بالله تعالى (٢).

وتنقسم أعمال قتيبة إلى أربع مراحل حقق في كل منها فتح ناحية واسعة فتحاً نهائياً، وثبت أقدام العرب والإسلام فيها، وقد هابه الأتراك مهابة عظيمة، وفي أواخر أيامه كان مجرد ذكر اسمه يوقع الهلع في نفوس خصومه (٣).

المرحلة الأولى: ٨٦-٨٧هـ:

وفيها أخضع قتيبة إقليم طخارستان، الذي يقع على ضفتي نهر جيحون، والذي يبدو أن أوضاعه لم تستقر للمسلمين منذ فتحه الأول على يد الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان.

المرحلة الثانية: ٨٧-٩٠هـ:

وفي هذه المرحلة فتح إقليم بخارى بعد حروب كثيرة وصدامات مريرة مع أهل البلاد.

(١) ينظر: د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٤.

(٢) د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٣١.

(٣) د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٣١؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٦.

المرحلة الثالثة: ٩٠-٩٣هـ:

وهي المرحلة التي فرض فيها قتيبة السيادة الإسلامية على حوض نهر جيحون، وتوج عمله في هذه المرحلة بالاستيلاء على مدينة سمرقند أعظم المدائن في بلاد الصغد.

المرحلة الرابعة: ٩٤-٩٦هـ:

وفي هذه المرحلة عبر قتيبة نهر سيحون - بعد أن بسط سلطانه على أقاليم ما بين النهرين - وفتح أقاليم الشاش وفرغانة وكاشغر.

وكما سبق القول فقد قدم الأمير قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي، في سنة ست وثمانين، وهو ابن سبع وثلاثين سنة، فقدم والمفضل يعرض الجند وهو يريد أن يغزو (أخرون وشومان)^(١)، واضعاً نصب عينيه فتح بلاد ما وراء النهر، فخطب الناس خطبته المشهورة، حثهم فيها على الجهاد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الحق، والذب عن الحرمات وخذل العدو، مبيناً لهم الثواب العظيم الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله، محذراً إياهم من التهاون أو التخاذل، مستشهداً على ذلك بآيات من القرآن الكريم.

عرض قتيبة الجند ونظم الجيش ثم غادر مرو، بعد أن جعل على المهمات الحربية إياس بن عبد الله بن عمرو - وكان من أمهر القادة - وعلى الخراج عثمان بن السعدي.

(١) شومان: بلد بالصغانيان من وراء نهر جيحون وهو من الثغور الإسلامية وهي مدينة أصغر من ترمذ، ينسب إليها أبو بكر محمد بن عبد الله الشوماني. ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٣٧٣.

بيد أن ملوك تلك البلاد النائية سمعوا بقدوم الأمير قتيبة فمنهم أدرك أنه لا قبل له بقتال المسلمين فأذعن ورضي بالصلح، ومنهم من قاوم واستبسل دفاعاً عن وطنه وزياداً عن حياضه. ولقد كان من الفريق الأول ملك الصغانيان، "وذلك أنه لما كان قتيبة بالطالقان^(١) تلقاه دهاقين بلخ^(٢) وبعض عظمائهم، فساروا معه، فلما قطع النهر تلقاه (تيش الأعور) ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب، وسلم إليه زمام بلاده"^(٣).

والذي دعاه إلى ذلك "أنه كان يخشى سطوة جاره ملك شومان وآخرون، حيث كان قد غزاه وضيق عليه، فأراد (تيش) أن يحتفظ بعرشه ويتخلص من العدو الذي يشن عليه الغارة بين آن وآخر فانتهاز فرصة قدوم قتيبة وقابله تلك المقابلة، وشجعه على غزو آخرون وشومان وقد تحقق له ما أراد، فقد توجه قتيبة إليهما فلم يقاوما وصالحه ملكهما على فدية"^(٤)، فقبلها ورضي^(٥)، وتقدم

(١) الطالقان: بلد بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، وهي مدينة كبيرة، في مستوى من الأرض، ولها نهر كبير وبساتين. ينظر: الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٥٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤ ص ٦؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٨ حاشية رقم ١.

(٢) بلخ: مدينة قديمة ومشهورة بخراسان، تقع على نهر جيحون، وهي من أجل مدن خراسان، وأذكرها وأكثرها خيراً، وأوسعها غلةً، افتتحها الأحنف بن قيس، من قبيل عبد الله بن عامر بن كريز، في أيام الخليفة - الثالث - عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١ ص ٤٧٩، ٤٨٠؛ الإصطخرى: المسالك والممالك، ١٥٥، ١٥٦؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٩٠ حاشية رقم ٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٣٥ بتصرف يسير؛ وينظر: د/ إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج ١ ص ١٦٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٤١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٥٩؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ١٨٠.

(٥) ولكن الحجاج لم يعجب بخطة المصالحة والهدنة، فليس المراد من الغزو الإسلامي تكديس

قتيبة جنده، فسبقهم إلى مرو^(١) بعد أن استخلف عليهم أخاه صالح بن مسلم^(٢).

وهكذا فقد قضى الأمير قتيبة عام (٨٦هـ / ٧٠٥م) في القيام ببعض العمليات الاستطلاعية، لاختبار الطرق والأماكن خاصة وقد أشتهر هذا الإقليم بصعوبة طبيعته وقسوة مناخه وطبيعة سكانه المقاتلين الأشداء، وبرغم أن هذه العمليات البسيطة لم تعجب الحجاج إلا أن الأمير قتيبة كان أدري بما يفعل، حيث انطلق في سنته التالية وقد أعد العدة الكافية التي تضمن له النصر بإذن الله تعالى.

الثروات، وجمع الأموال؛ بل نشر الإسلام وحده هو الهدف الأول في بلاد تغمرها الوثنية بظلامها الكثيف؛ وإذ ذاك بعث إلى قتيبة يسترعي نظره إلى المهمة الأساسية للغزو والجهاد، ولم يكن قتيبة غافلاً عن رسالته في الغزو؛ ولكنه لأول عهده يختبر الدروب، ويستطلع المسالك في مطارح نازحة تستدعي المصانعة والترث، حتى إذا ملك أمره، وتبين طريقه عمد إلى تحقيق هدفه في ثبات واطمئنان، وهذا ما كان منه بعد الجولة الأولى، فقد أعد العدة الكافية لمهاجمة الحصون المنيعه في بخارى والصفد، ودقت طبول الحرب في أصقاع التركستان. محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٧.

(١) إحدى قواعد خرسان الأربع.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٤١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٥٩؛ د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ١٩٨؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج ١، ص ٤٩٥، والذي يتبادر إلينا من خلال هذه الرواية أن تلك المنطقة خضعت للأمير قتيبة بدون قتال، ولكن الإمام الطبري -أيضاً- يورد رواية أخرى يفهم منها أن قتيبة لقي حرباً حيث يقول: "وقد قيل إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة على بلخ؛ لأن بعضها كان منتقضاً عليه، وقد ناصب المسلمين، فحارب أهلها..... وعلى أية حال لا يبدو الخلاف كبير بين الروايتين؛ لأن أهل بلخ لم يكونوا ملحين في حربهم لقتيبة، بدليل أنهم صالحوا من غد اليوم الذي حاربوا فيه. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٣٥.



المبحث الأول: فتح بيكند

أولاً: أهمية موقعها ومكانتها:

تقع بيكند بين بخارى ونهر جيحون على مسافة ٤٤ كم من بخارى، (وهي في جمهورية أوزبكستان اليوم)، وهي أقدم من بخارى من حيث الإنشاء، كما كانت من أحسن وأمنع مناطق الإقليم، إلى جانب أنها كانت أحد المراكز التجارية الهامة^(١).

واعتبرت بيكند من جملة المدن ولم يرض أهل بيكند أن تسمى بيكند قرية، وإذا ذهب أهل بيكند إلى بغداد وسئل من أين أنت؟ قال من بيكند، ولا يقول بخارى، وهي ذات مسجد جامع كبير وأبنية عالية، وكان على بابها أربطة كثيرة^(٢)، ذكر أنها أكثر من ألف رباط^(٣).....

(١) ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٥٣٣؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٧؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٢٦.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٦؛ وينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٥٣٣؛ د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٧.

(٣) ولها سور حصين، ومسجد جامع، قد تنوق في بنائه، وزخرف محرابه، فليس بما وراء النهر محراب مثله، ولا أحسن زخرفة منه، وينسب إليها جماعة من الأعيان. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٥٣٣؛ وينظر: ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، ص ٢٥ حاشية رقم ١؛

بتعداد قرى بخارى^(١).

وكان سبب ذلك أن بيكند مكان عظيم جميل، وقد بنى أهل كل قرية هناك رباطاً وأقاموا به جماعة وبعثوا بنفقاتهم من القرية^(٢).

وفي فصل الشتاء وهو وقت غلبة الكفار، كان يتجمع هنالك من كل قرية جمع غفير للغزو، وينزل كل قوم برباطهم، وكان أهل بيكند جميعاً تجاراً، يتجرون مع الصين ويركبون البحر وكانوا أغنياء جداً، وقد لقي قتيبة بن مسلم عنتاً شديداً في الاستيلاء عليها؛ لأنها كانت في غاية الحصانة^(٣)، وكانوا يسمون بيكند قديماً شارستان أي (المدينة الكبيرة)، وسموها شارستان روين أي (المدينة الصفروية) لاستحكامها^(٤).

ويلاحظ مما سبق أن مدينة بيكند من جملة المدن القديمة، واشتهر أهلها بالتنافس في الخير وإكرام من ينزل بلادهم خاصة وأنهم كانوا تجاراً أغنياء، كما كانوا - أيضاً - من المحاربين الأشداء، وقد قاموا بتحصين مدينتهم تحصيناً قوياً بدليل ما لقيه المسلمون عند فتحهم لها كما سيأتي.

المقرئزي: جني الأزهار من الروض المعطار، ص ١٠٧؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٧٢.

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٦.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٦.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٦، ٣٧.

(٤) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٧، ٧٣.

ثانياً: الاستعداد لفتح بيكند:

جاءت الأخبار إلى الأمير قتيبة بأن هناك أسرى للمسلمين في قبضة نيزك (ملك طرخان)، "فكتب إليه طالباً إطلاق سراح الأسرى، وتهده في كتابه^(١)، فخافه نيزك، فأطلق الأسرى"^(٢)، وبعث بهم إلى قتيبة، فوجه إليه قتيبة (سليمان الناصح)^(٣)، مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعو إلى الصلح، وإلى أن يؤمنه، وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه، ثم ليطلبه حيث كان لا يقلع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك^(٤)، فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة - وكان يستنصحه - فقال له يا سليم: "ما أظن عند صاحبك خيراً، كتب إلي كتاباً لا يكتب إلى مثلي!، قال له سليم: يا أبا الهياج: إن هذا رجل شديد في سلطانه، سهل إذا سوهل، صعب إذا عوسر، فلا يمنعك من غلظة كتابه إليك، فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر، فقدم نيزك مع سليم على قتيبة^(٥)،

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٣؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٥٩؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص١٠٤. وبيدوا أن هؤلاء الأسرى كانوا من المسلمين الذين جاءوا إلى تلك البلاد قبل الأمير قتيبة.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٣؛ وينظر: ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٠.

(٣) وكان عند قتيبة بمثابة السفير عندنا اليوم، فكان يرسله في بعض المهام التي تتطلب حنكة ودهاء كما سيتضح ذلك من خلال هذا الفصل.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٠.

(٥) ينظر: ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٥٩؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج١ ص٢١٤؛

فصالح لأهل باذغيس^(١) في سنة (٨٧هـ/ ٧٠٦م)، على ألا يدخلها قتيبة^(٢).

وهكذا نرى مدى حرص الأمير قتيبة على إطلاق سراح الأسرى المسلمين ومدى حرصه على العنصر الإسلامي والعمل على حمايته والدفاع عنه، ولعله أراد ألا يتجه إلى أي غزوة وهناك من المسلمين من هو في قبضة الأعداء حتى لا يترك ثغرة من شأنها إعاقته أو التأثير عليه، كما تبرز شجاعته في أعلى صورها، ومدى دقته في اختيار سفراءه ومبعوثيه.

▣ ثالثاً: فتح مدينة بيكند:

وبعد أن أمن قتيبة شر نيزك وصالحه، أقام إلى وقت الغزو ثم غزا في تلك السنة - سنة سبع وثمانين - بيكند^(٣)، "فسار من مرو وأتى مرو الروذ، ثم أتى أمل، ثم مضى إلى زم^(٤)، فقطع النهر وسار إلى بيكند"^(٥) فلما نزل بهم

أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٨٠، ١٨١.

(١) باذغيس: ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ، نسب إليها جماعة من أهل الذكر منهم أحمد بن عمرو الباذغيسي. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٣١٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٥٩؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٧٧؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص ٢٢٦؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص ١٠٤؛ مجلة صوت الأزهر، ص ١٠.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٧؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٢٧.

(٤) إن توجه قتيبة إلى أمل ثم إلى زم، أمر بعيد الاحتمال؛ نظراً لاختلاف محور التحرك؛ لاسيما وإن أمل تقع جنوب بيكند مباشرة؛ فيكون الراجح انه أتى زم، ثم مضى إلى أمل فقطع نهر جيحون، وسار إلى بيكند.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٧؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي

استنصروا الصغد، واستمدوا المعونة ممن جاورهم، فأتوهم في جمع كثير^(١)، وأخذوا بالطريق^(٢)، فلم ينفذ لقتيبة رسول، ولم يصل إليه رسول^(٣)، ولم يجره له خبر شهرين^(٤)، وأبطأ خبره على الحجاج، فأشفق الحجاج على الجند، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد، وكتب بذلك إلى الأمصار، وهم يقتتلون كل يوم^(٥)، فكان الناس في المساجد يتلون القرآن، ويقيمون الختمات^(٦)، ويدعون

المفتري عليه، ص ٣٢٧؛ وينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٧، ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٥٩.

(١) ينظر: ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١ ص ٨١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٧٧؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٨.

(٢) أي قطعوا عليهم خطوط إمداداتهم الخلفية.

(٣) ولسنا نستطيع أن ندين الأمير قتيبة على ما حدث من هذا الحصار، فليس ذلك تقصيراً منه في تنفيذ خططه، "ولكنه نزل مطارح نائية لا عهد له بوهابها المطربة، وأكامها الممتدة، ومع ذلك لم يغفل لحظة واحدة عن خصومه، بل هجم بعد ذلك هجوم المستميت، وركز نضاله في جبهة واحدة فتفرق حماها أباديد، ووقع الرعب في الجيش الوثني، فتبعه قتيبة مُثخناً مُجَهِّزاً، وتحقق له ظفر مبدئي كان فألاً طيباً للقائد العظيم". د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٣٧، ٧٣٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٤٤؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢، ص ٢٢٤. وعند الترشيحي "أن قتيبة بقي في شدة أربعة أشهر لم تصل فيها أخباره هو وأصحابه إلى الحجاج". ينظر: الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٧٦، والرأي الأول أصح تؤيده أغلب المصادر.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٣٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٧٧؛ الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٧٦؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٨؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج ١، ص ٤٩٥.

(٦) أي يقيمون المجالس التي يقرأ فيها القرآن من أوله لآخره، ويقال للمصحف بأكمله في قرانا المصرية "الختمة"، ويقرأ الريفيون كذلك القرآن كله، في المناسبات، ويقال في ذلك إنهم عملوا ختمة أي سهروا ليلة يقرؤون فيها القرآن من أوله لآخره ووزعوا الصدقات، وفي

الدعوات^(١)، راجين الله أن يفك كرب الجيش الإسلامي. ويتجلى لنا من خلال تلك الحالة التي وصل إليها الجيش الإسلامي مدى صعوبة الموقف وازدياد خطره، كما تدلنا -أيضاً- على قوة إحساسهم بالله -تعالى- ومدى ثقتهم في قوته وقدرته.

بيد أنه كان لقتيبة عين (جاسوس) - يُقال له تنذر الفارسي - من العجم، "فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالاً جزيلاً على أن يصرف عنهم قتيبة، فأتاه، فقال: أخلني^(٢)، فنهض الناس، وانصرفوا، واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبي، فقال تنذر: "هذا عامل يقدم عليك، وقد عزل الحجاج، فلو انصرفت بالناس إلى مرو"^(٣).

وفي الحقيقة لم يحدث شيء من ذلك، ولكن نجح الأعداء في جعل تنذر عميلاً مزدوجاً يعمل لهم ولقتيبة، ولكن لم تنطلي هذه الخديعة على الأمير قتيبة، بل وفق في اكتشافها بفضل الله تعالى.

التركستان وأفغانستان وتركية والهند والحجاز وغيرها يختم المسلمون القرآن في ليالي شهر رمضان وهم يصلون صلاة التراويح، وذلك في أيام معدودات ويسمى ذلك "ختم" أيضاً. النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٦ حاشية رقم ١.

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٦.

(٢) وذكر أنه أخذ يخوف الأمير قتيبة كثرة الأعداء وموت الحجاج، فردَّ قتيبة قائلاً: "أما كثرة العدو ف ﴿ كَرَّمِنِ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَبْتَ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وأما عزلي فأنا أقاتل الله لا للحجاج، وأما أنت فقد خنت، وقرره فأقر فضربت عنقه. ينظر: علي الطنطاوي: رجال من التاريخ، ص ٩٨.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٣٨ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٤٤.

فلما أدرك قتيبة كذبه دعا سياه (مولاه)، فقال اضرب عنق تنذر، فقتله، ثم قال لضرار: "لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك، وإني أعطي الله عهداً، إن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لألحقنك به، فاملك لسانك، فإن انتشار هذا الحديث يفت في أعضاد الناس^(١). وأرى أن الأمير قتيبة قد وفق فيما فعله من قتل هذا الخائن، فإنه لا يؤمن عليه أن يظهر الخبر فيهلك الناس.

"ثم أذن الأمير قتيبة للناس، فدخلوا، فراعهم قتل تنذر، فوجموا، وأطرقوا، فقال قتيبة: ما يروعكم من قتل عبد أحانه الله" قالوا: إنا كنا نظنه ناصحاً للمسلمين، قال: بل كان غاشياً، فأحانه الله بذنبه، فقد مضى لسبيله، فاغدوا على قتال عدوكم، والقوهم بغير ما كنتم تلقونهم به"^(٢)

بيد أن هذه الكلمات قد أهدأت من روعهم وأزالت دهشتهم، وبثت فيهم روح الحماسة والبطولة مما جعلهم لا يكثرثون بالأعداء وكثرتهم ولا يهابون الموت، فاستماتوا في الحرب والقتال.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٧٧، ٧٨؛ "وإن الكتمان في الإسلام أمر حث عليه القرآن الكريم، وأمر به الرسول ﷺ وطبقه في كل حياته العسكرية، كما حذر الإسلام من إذاعة الأسرار العسكرية وجعل إزاعتها من شأن المنافقين"، وقد أدرك الأمير قتيبة أهمية هذا العنصر وجعله في مقدمة إستراتيجيته العسكرية.

د/ عبد الرحمن عميرة: الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، ص٢٥٤.
 (٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٨؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨١؛ د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص١٩٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣١.

"فغدا الناس متأهبين، وأخذوا مصافهم، ومشى قتيبة، فحضر أهل الرايات، فكانت بين الناس مشاورة^(١)، ثم تراحفوا والتقوا، وأخذت السيوف مأخذها، وأنزل الله على المسلمين الصبر فقاتلوهم، حتى زالت الشمس^(٢)، ثم منح الله المسلمين أكتافهم، فانهمزوا يريدون المدينة"^(٣)، "واتبعهم المسلمون، فشغلوهم عن الدخول، فتفرقوا، وأوسعهم المسلمون قتلاً وأسرًا كيف شاءوا^(٤)، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة، وهم قليل، فوضع الفعلة^(٥) في أصلها ليهدمها^(٦)، فسألوه الصلح، فصالحهم"^(٧).....

(١) مشاورة: يقال تشاؤل القوم تشاؤلاً، إذ تناول بعضهم بالرمح. ابن منظور: لسان العرب، ج ١١ ص ٣٧٤.

(٢) بيد أن حزم قتيبة وموقفه في تشجيع الجند وبث روح الحماسة فيهم جعل جيوش المسلمين لا يكثرثون بالأعداء وكثرتهم ولا يهابون الموت فاستماتوا في الحرب والقتال. د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٢٧.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٣٨؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٣؛ الذهبي: دول الإسلام، ص ٦١؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٧٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٤٤؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٧٨؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١ ص ٨١؛ الذهبي: دول الإسلام، ص ٦١؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٨.

(٥) أي المهندسين.

(٦) ويذكر النرشخي: أنه قد عانى المسلمون العجز خمسين يوماً، وعانوا المشاق، وأعملوا الحيلة، وحفر قوم أسفل الجدار والبرج، ونفذوا إلى حظيرة للدواب داخل السور، وحفروا الجدار، وأحدثوا ثغرة، ولم يكن المسلمون قد وصلوا إلى السور ونفذوا من الثغرة، فصاح قتيبة بأن كل من ينفذ من الثغرة أعطيته ديتة، وإذا قتل أعطيتها لأولاده، حتى رغب كل واحد منهم في الدخول واستولوا على الحصن. النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٣.

(٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٣٨؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٧٨؛

على مال أخذه^(١)، واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة^(٢) يسمى ورقاء بن نصر الباهلي^(٣).

ثم إن قتيبة ارتحل عنهم يريد الرجوع، فلما سار مرحلة أو اثنتين، وكان منهم على خمسة فراسخ (١٥ ميلاً)، نقضوا وكفروا، فقتلوا العامل وأصحابه، ومثلوا بهم بجذع^(٤) أنوفهم وأذانهم^(٥)، وبلغ قتيبة فرجع إليهم وقد تحصنوا،

ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص٧٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٥٩، و ذكر البلاذري في فتوح البلدان: أن الأمير قتيبة فتحها عنوة. ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٥٧؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٤٩٥؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٢٧؛ مجلة صوت الأزهر، ص١٠، ولعل البلاذري وغيره ممن تابعه في قوله هذا أنهم يقصدون بذلك فتح قتيبة لها للمرة الثانية بعد نقضهم الصلح في المرة الأولى.

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص٧٤؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٧٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٤؛ وينظر: ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٧٨؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨١.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص٧٤.

(٤) جدعوا: أي قطعوا.

(٥) وسبب ذلك: أنه كان في بيكند رجل له بتان جميلتان، فانتزعهما ورقاء بن نصر، فقال هذا الرجل: إن بيكند مدينة كبيرة فلم تأخذ ابنتي من بين كل أهل المدينة؟ فلم يجبه ورقاء، فوثب الرجل، وطعن ورقاء بسكين في سرتة ولكنها لم تكن قاضية ولم يقتل، فلما بلغ قتيبة الخبر عاد وقتل من كان في بيكند من أهل الحرب جميعاً، واسترق من بقى، بحيث لم يبقى في بيكند أحد وخربت؛ وكان أهل بيكند تجاراً وقد ذهب أكثرهم إلى بلاد الصين والجهات الأخرى للتجارة، فلما عادوا بحثوا عن أولادهم ونسائهم وأقربائهم وابتاعوهم من العرب، وعمروا بيكند كذلك مرة ثانية؛ وقد قيل: بأنه لم تكن مدينة تَحْرَبَتْ كلها وبقيت حاوية، ثم عمرت سريعاً على يد أهلها أنفسهم، إلا بيكند. النرشخي: تاريخ بخارى، ص٧٤.

فقاتلهم شهراً^(١)، ثم وضع الفعلة في أصل المدينة، فعلقوها بالخشب وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهدم^(٢).

غير أن الحائط سقط وهم يعلقونه فقتل أربعين من الفعلة فطلبوا الصلح فأبى وقاتلهم فظفر بهم عنوة، فقتل من كان فيها من المقاتلة^(٣)، "وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور، كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين، فقال لقتيبة: "أنا أفدي نفسي" فقال له سليم الناصح: "ما تبذل؟ قال: "خمس ألف حريرية صينية، قيمتها ألف ألف" فقال قتيبة: "ما ترون" قالوا: "نرى أن فداءه زيادة في غنائم المسلمين، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا، قال: "لا والله لا تروع بك مسلمة" وأمر به فقتل^(٤).

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٧٨؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص٧٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٥٩؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨١؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص١٠٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٨ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٧٨؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٨ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٧٨؛ الذهبي: دول الإسلام، ص٦١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨١؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٤٩٦؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٢٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٨ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٤؛ د/ حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها؛ ص٢٤٦؛ وهذا من الزهد في الدنيا، ثم إن الغنائم سيدخل فيها ما أراد أن يفندي به نفسه. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٧٨.

وبعد أن فتح المسلمون تلك المدينة وجدوا فيها من أنية الذهب والفضة ما لا يحصى^(١)، وصار في أيدي المسلمين شيء لم يصيبوا مثله بخراسان^(٢).

ورجع قتيبة إلى مرو، وقوي المسلمون^(٣)، فاشتروا السلاح والخيول، وجلبت إليهم الدواب، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة، وغالوا بالسلاح، حتى

(١) ولي قتيبة لقسمة الغنائم عبدالله بن وألان العدوي (أحد بن ملكان، وكان قتيبة يسميه الأمين بن الأمين) وإياس بن بيهس الباهلي، فأذابا الآنية والأصنام فرفعاه إلى قتيبة، ورفعاه إليه خبث ما أذابا من بقية الذهب غير النقي والأوشاب فوهبه لهما، فأعطيا به أربعين ألفاً فأعلماه فرجع فيه وأمرهما أن يذبيها فأذاباه، فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٩ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٧٨، ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٥٩. ولقد ساعدت وفرة الغنائم قتيبة على شراء ١٢ ألف من جياد الخيل، و١٢ ألف هجين، ودفع ثمن كل راحلة ٤ آلاف درهم، وتعهدوا بالرعاية طوال فصل الشتاء، وعندما أخذ في الاستعداد لغزو نومكشت وراميشنة قيد الخيول، وأضمرها حتى تذوب شحومها، وتصبح أكثر خفة لتجاوز الأنهار، وقفز الحواجز، والسير في المسالك الوعرة، ثم عهد بهذه الخيول إلى أفضل الفرسان الذين يدفعهم في الطلائع (المقدمات)؛ ولقد الاهتمام بتأمين القدرة الحركية لجيوش العرب المسلمين سنة متبعة منذ بداية فتوح المسلمين فكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من خصص من فضول أموال المسلمين مبلغاً لشراء خيول في كل إقليم على قدره. ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٣ حاشية رقم ١، ص١٠٣.

(٣) ويذكر: المطهر المقدسي في كتابه "البدء والتاريخ" أن قتيبة بن مسلم لما افتتح بيكند أصاب بها قدوراً عظماً يصعد إليها بالسلام، فتذاكروا أنها مما عملته الشياطين لسليمان عليه السلام؛ بقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِحَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ۚ قَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣]. المطهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج٤ ص٩٣؛ وينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٦.

بلغ ثمن الرمح سبعين ديناراً^(١). وفي كثرة غنائم هذا اليوم قال الشاعر الكمي: **ويوم بيكند لا تحصى عجائبه وما بخاراء مما أخطأ العدد^(٢)**

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٨ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٧٨؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٥٩؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٢٨. ويحكى النرشخي: أنه لما فتح قتيبة بيكند، وجد في معبد الأصنام صنماً من الفضة يزن أربعة آلاف درهم، ووجد أواني من الفضة، فجمعها كلها ووزنها، فكانت مائة وخمسين ألف مثقال، ووجد حبتين من اللؤلؤ كل منها كبيضة الحمام، فقال قتيبة: من أين أتيتم بهاتين اللؤلؤتين بهذا الحجم الكبير؟ قالوا: أتى بهما طائران في منقاريهما، وألقيا بهما في بيت الأوثان هذا، فجمع قتيبة الطرائف، وبعث بهما مع هاتين الحبتين إلى الحجاج، وكتب رسالة بفتح بيكند، وذكر قصة هاتين الحبتين من اللؤلؤ في الكتاب، فكتب الحجاج الجواب قائلاً: علم ما ذكرت، وساورني العجب من هاتين اللؤلؤتين الكبيرتين، وذینك الطائرين اللذين أتيا بهما، وأعجب من هذا سخاؤك إذ حصلت على مثل هذين الشئین الفاخرین، وبعثت بهما إلینا، بارك الله عليك. النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٤، ٧٥. وفي التعليق على هذه القصة أقول: إن ما ذكر من وجود صنم من الفضة وزنته، وكذلك أواني الفضة وزنتها، فهذا ليس بغريب، خاصة إذا علمنا أن الأمير قتيبة - بعد أن فتح مدينة سمرقند وحرق أصنامها وجد من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال، وقد ذكر ذلك في بعض المصادر كما سيأتي عند الحديث عن فتح سمرقند؛ وأما عن الحبتين من اللؤلؤ وسبب وجودهما فلم أجد - على حد علم الباحث - من تحدث عن هذا إلا النرشخي في كتابه السابق، غير أنني لا أستطيع رد هذا الكلام حيث أن كتاب النرشخي يعد من أهم الكتب التي درست أحوال هذه البلاد دراسة شبه وافية، هذا إذا علمنا أن مؤلفه كان قريب العهد بتلك الأحداث. وفي قصة هاتين الحبتين من اللؤلؤ دلالة واضحة عما كان يتمتع به الأمير قتيبة من الزهد، وعدم أكثرائه بجمع الغنائم، وصرف كل همه لنشر تعاليم الإسلام، وتطهير البلاد من الشرك والضلال، وقمة الرخاء والدعة والرفاهية التي وصل إليها أهل تلك البلاد.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٩؛ وينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٣٣ حاشية رقم ١؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٢٨.

وهكذا فتح الله على المسمين تلك المدينة التي استحكمت عليهم لفترة طويلة - بالمقارنة بغيرها من البلاد الأخرى التي فتحوها - فلقد حاصرهم الأعداء حصاراً محكماً وانقطعت أخبارهم عن المسلمين شهرين متتابعين حتى ظن الناس بالأمير قتيبة وجنوده الظنون، ثم حمل المسلمون على العدو حملة صادقة ففتح الله عليهم؛ بل ورزقهم الله من وراء ذلك الفتح الخير الوفير الذي لم يحصلوا على مثله من قبل، كما يتضح لنا -أيضاً- من خلال فتح تلك المدينة مدى حرص الأمير قتيبة على تحقيق الأمن والاستقرار فيها، لدرجة أنه لم يرجع إلى مرو حتى طهر البلاد من الثائرين والتمرديين، وبعد أن ترك فيها حامية من المسلمين.

وعلى أعقاب فتح بيكند

الأمير قتيبة يغزو نومشكت وراميشنة:

كان من نتائج ما من الله به على المسلمين في بيكند من غنائم وفيرة "أن تجمع في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة، فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجند، فأذن له، فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب، وآلة السفر، فدفعه إلى الجند"^(١).

أخذ الجند في التجهز والاستعداد حتى إذا أقبل الربيع خطب الأمير قتيبة في الناس واستحثهم فقال "إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد، وأنتقلكم

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٩ بتصرف يسير؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٤، ٣٣.

قبل أن تحتاجوا إلى الإمداد من البرد، فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح، فأتى آمل، ثم عبر من زم، إلى بخارى فأتى نومشكت - وهي من بخارى - فصالحوه^(١)، وذلك بعد أن استخلف على مرو "بشار بن مسلم"^(٢).

كان التحرك المبكر لقتيبة غير متوقع، فبوغت أهل نومشكت؛ مما حملهم على استقبال قتيبة وعقد الصلح معه في عام (٧٠٧هـ / ٧٠٧م)، ثم صار إلى راميشنة، فصالحه أهلها، فانصرف عنهم^(٣).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا كيف كان الأمير قتيبة يُرعى اهتمامًا كبيرًا بشؤون جيشه الإدارية، وتجهيز قواته المسلحة بما تحتاجه من عدة وسلاح، في حين أنه كان لا يغفل عامل الأرض وطبيعة الأجواء حفاظًا على جيشه، واضعًا في حسابه مبدأ الاقتصاد بالقوى والنفقات.

تحالف ضد الأمير قتيبة:

كان من أثر انتصارات قتيبة المتتالية في فتوحاته المتسلسلة "أن تألب الترك،

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٣٩ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٤٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٥٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٧؛ الذهبي: دول الإسلام، ص ٦٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٧؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٨٢؛ د/ محمد عبد السمیع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ١٩٨.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٤١، ٧٤٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٥٩؛ الذهبي: دول الإسلام، ص ٦٢؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٢٦؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص ١٠٥.

في مائتي ألف، بقيادة ملكهم - كورمغانون، ابن أخت ملك الصين^(١) - ومعهم الصغد وأهل فرغانة، فاعترضوا المسلمين في طريقهم، فلحقوا عبدالرحمن بن مسلم الباهلي وهو على الساقة، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل^(٢).

فلما كادوا أن يلحقوا به "أرسل رسولاً إلى قتيبة يخبره، وغشيه الترك، فقاتلوه، وأتى الرسول قتيبة، فرجع بالناس، فانتهى إلى عبدالرحمن وهو يقاتلهم، وقد كاد الترك يستعملونهم^(٣)، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم^(٤)"، وبفضل الله ﷻ ثم بشجاعة قتيبة وسياسته الحربية الباهرة انتصر المسلمون وانهمز الأعداء، وتشتت جمعهم وتمزق شملهم، "وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة - بلاءً حسناً- فهزم الله الترك، وفض جمعهم، ورجع إلى قاعدته (مرو)، وقطع النهر من الترمذ إلى بلخ، ثم إلى مرو"^(٥).

ومن الواضح أن الدافع وراء هذا التحالف هو خوف الترك من ازدياد نفوذ

(١) ويذكر النرشخي "أن ملك الصغد قد استأجر كورمغانون هذا، فجاء بأربعين ألف رجل ليناصروه"، وعلى أية حال فإنهم قد تجمعوا يريدون القضاء على جيوش الفتح الإسلامي. ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٤١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٤٧؛ وينظر: الذهبي: دول الإسلام، ص ٦٢؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٨؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج ١، ص ٤٩٦.

(٣) أي: يلحقون بهم الهزيمة.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٤١، ٧٤٢ بتصرف يسير.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٤١، ٧٤٢ بتصرف؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٥٩؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ١٨٢؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢، ص ٢٢٦.

المسلمين ودهشتهم من انتصاراتهم المتتابة، فأدركوا أن الخطر قد أحدق بهم، فحاولوا وقف هذا الزحف الإسلامي ولكن دون جدوى، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.





المبحث الثاني: فتح بخارى

أولاً: فضلها ومكانتها:

بخارى من أقدم المدن التاريخية في آسيا الوسطى^(١)، وتعد مركز التقاء القوافل العالمية ومن أهمها طريق الحرير، وتقع بخارى على ممر الطرق التجارية الذي يربط آسيا والصين بالشرق الأدنى والهند، ويصفها الاصطخري بأنها أول الكور في بلاد ما وراء النهر، فمن كان بها فخراسان أمامه، وما وراء النهر وراءه^(٢).

وهي الآن من أعظم مدن جمهورية (أوزبكستان الحالية) إحدى جمهوريات الإتحاد السوفيتي سابقاً، وتقع في سهل فسيح منبسط، تحيط به الخضراء والمياه، والبساتين؛ تشتهر بموقعها الطبيعي الجميل وبكثرة بساتينها

(١) وبخارى: مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر، قديمة طيبة، بينها وبين سمرقند سبعة أيام وسبعة وثلاثون فرسخاً، أحد منتزهات الدنيا، ويحيط ببناء المدينة والقصور والبساتين والقرى المتصلة بها سور يكون اثني عشر فرسخاً في مثلها، ليس فيها أرض باثرة. ينظر: القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥١٠؛ الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١٧١؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤٠٩؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٢٨.

(٢) ينظر: الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١٧١_١٧٦؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٢٨؛ مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج ٢ ص ٢٢٢.

ووفرة غلالها وزروعها وبصناعاتها التقليدية التي تعتمد على المهارة اليدوية، وفيها العديد من المعالم التاريخية الأثرية الإسلامية^(١). واسم بخارى مشتق من كلمة بخار المغولية التي تعنى العلم الكثير، وسميت بهذا الاسم لوجود كثير من العلماء فيها، فقد عاش فيها أشهر العلماء^(٢) والشعراء ورجال الدين، الذين كانت لهم مكانتهم العالمية الإسلامية على مر العصور^(٣).

وهناك أسماء عدة لمدينة بخارى منها: أرض النحاس، ومدينة التجار، وبخارى الشريفة، وبخارى العظيمة^(٤).

ولقد تأسست مدينة بخارى فوق المجرى السفلي لنهر زرفشان (نهر الصغد)؛ ويذكر المؤرخون أن ملوك الصغد بنو سورا حول المدينة طوله ٧٠ كم وأحيط هذا السور بحدائق وبساتين ومرعى، وكان الدخول إليها من خلال سبعة أبواب حديدية لكل باب اسم خاص به^(٥).

- (١) د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤٠٩.
- (٢) ولم تزل بخارى مجمع الفقهاء ومعدن الفضلاء ومنشأ علوم النظر؛ ينسب إليها الإمام البخاري، صاحب الصحيح؛ الذي هو أقدم كتب الأحاديث، كان وحيد عصره وفريد دهره. ينظر: القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥١٠، ٥١١؛ ابن النديم: الفهرست، ص ٣١٥؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١٠.
- (٣) ينظر: د/ وائل غالى: تاريخ العلوم العربية وتحديث تاريخ العلوم، ص ٦٢٢؛ د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٨.
- (٤) ينظر: د/ وائل غالى: تاريخ العلوم العربية، ص ٦٢٢، وقد سمي الصينيون هذه المدينة منذ القرن الخامس الميلادي "نومي" وهو الاسم الذى يقابل الاسم القديم "نومجكات"، الذى كان معروفاً أيضاً في العهد الإسلامي. الترشيح: تاريخ بخارى، ص ٨؛ وينظر: الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١٧١؛ دائرة المعارف الإسلامية: إعداد وتحريير: د/ إبراهيم زكي خورشيد، ج ٦، ص ٣٤٦.
- (٥) ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٣٥٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا،

وكانت بخارى أكثر مدن إقليم ما وراء النهر ازدهامًا بالسكان حيث تأسست على ممر الطرق التجارية التاريخية التي تربط آسيا والصين بالشرق الأدنى والهند^(١).

كما كانت تحكم بخارى أسرة تركية، وكانت ملكة بخارى - ويطلق عليها "خاتون" بمعنى "السيدة ذات المنصب واللقب الرفيع" - تدير الحكم في بخارى حتى زمن قتيبة، وخاضت حروب كثيرة مع العرب، وقد توفيت في عهد قتيبة، وخلفها ابنها "طغشادة" وقد تولى حكم بخارى ثلاثين عامًا، واعتنق الإسلام وسمى ابنه قتيبة حباً في القائد المسلم العظيم^(٢).

وكان الترك في بخارى ذوى ثراء فاحش وكان لهم نفوذهم على الحياة التجارية للمدينة^(٣).

وأما عن فضلها فقد روى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ستفتح مدينة خلف نهر يقال له جيحون، يقال لها بخارى، محفوفة بالرحمة ملفوفة بالملائكة، منصور أهلها، النائم فيها على الفراش كالشاهر سيفه في سبيل الله، وخلفها مدينة يقال لها سمرقند، فيها عيون من عيون الجنة،

ج٤، ص٤٣٤؛ الاضطخري: المسالك والممالك، ص١٧١؛ د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص٢٩.

(١) د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص٢٩.
(٢) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص٢٣، ٢٤؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص٢٧٨؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص٢٩؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١ ص١٣٧.

(٣) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص٢٣، ٢٤؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص٢٩.

وقبر من قبور الأنبياء، وروضة من رياض الجنة، يحشر موتاهها يوم القيامة مع الشهداء^(١).

وتُسَمَّى بخارى بـ "الفاخرة" ففي الحديث: أن جبريل عليه السلام ذكر مدينة يقال لها فاخرة وهي بخارى، فقال ﷺ: "لم سميت فاخرة؟ فقال: لأنها تفخر يوم القيامة على المدن بكثرة شهدائها، ثم قال: "اللهم بارك في فاخرة، وطهر قلوبهم بالتقوى، واجعلهم رحماء على أمتي!"^(٢) فهذا يقال: ليس على وجه الأرض أرحم للغرباء، وأحسن اعتقادًا وطهرًا منهم^(٣).

ومما سبق يتبين لنا أن مدينة بخارى تعد من أهم المدن التاريخية القديمة، وقد تميزت بموقعها الجميل والفريد؛ مما كان سببًا في ازدهارها وتقدمها، في كثير من نواحي الحياة المختلفة؛ لذا كانت مقصدًا للطلاب والباحثين خاصة بعد الفتح الإسلامي لها، ويكفي في الحديث عن فضلها أنه نبغ منها أمثال الإمام البخاري - وحيد دهره وفريد عصره - ويُعدُّ كتابه (الصحيح في الحديث) من أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

▣ ثانيًا: قتيبة يطرق أبواب بخارى:

عرفت المنطقة الإسلام قبل فتح المسلمين لها عن طريق العلاقات السياسية والاجتماعية والتجارية التي كانت قائمة بين تجار بخارى ومرو وبين

(١) القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥١٠؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١٠.

(٢) والظاهر من سياق الحديث أنه موضوع.

(٣) القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥١٠؛ الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٤٢؛ د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٨.

الأسر العربية التي استوطنت خراسان في الأزمنة السابقة، إلى جانب قدوم طائفة من التجار العرب إلى بخارى واستقرارهم فيها^(١).

وكان الولاية بدءاً من عيد الله بن زياد قد حاصروا بخارى مرات كثيرة قبل ظهور قتيبة، لكنهم لم يحققوا النجاح المرجو في نشر الإسلام فيها^(٢).

وبدأ قتيبة عملياته عام (٧٠٨هـ/٧٠٨م) مع إطلالة الربيع - بعد فتح نومشكت وراميشنة، وذلك عندما جاءت رسالة الحجاج بوجوب فتح بخارى - فعبر نهر جيحون^(٣) عند زم، والتقى بقوات الصغد وكش ونسف عند بداية المفازة الصحراوية، وبعد معركة ضارية، انتصر المسلمون على الترك مضى قتيبة بالمسلمين حتى نزل بخرقانة السفلى، عن يمين وردان، فلقوه بجمع كبير، فقاتلهم يومين وليلتين حتى ظفر عليهم^(٤) ^(٥)، ثم إن قتيبة غزا (وردان خذاه)

(١) د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٢٩؛ وينظر: د/ يس محمد مراد: موضوعات في جغرافية العالم الإسلامي، ص ١٨، ١٩.

(٢) د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٩.
(٣) وحكي أن نهر جيحون مع كثرة مائه يجمد في الشتاء؛ وكيفية جموده أنه إذا اشتد البرد وقوي جمد أولاً قطعاً، ثم تسري تلك القطع على وجه الماء، وكلما ماست قطعة من تلك القطع أخرى التصقت بها، ولا تزال تنضم حتى يصير جيحون كله سطحاً واحداً، ثم يبقى باق الماء تحته جارياً، وهو نهر قتال قلما ينجو غريقه. ينظر: ابن فضال: رسالة ابن فضال، ص ٣٣، ٣٤؛ القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٦.

(٤) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٤٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٤٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٨٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ١٨٣.

(٥) وقال في ذلك نهار بن توسعة:

وباتت لهم منا بخرقان لئلةً وليئتنا كانت بخرقان أطول

ملك بخارى، فلم يتمكن من حسم الصراع معه، ولم يظفر من البلد بشيء - وذلك لأنه لم يأتها من المواطن التي تساعده على فتحها - فرجع إلى مرو، وكتب إلى الحجاج بذلك^(١)، فكتب إليه الحجاج: "أن صورها إلى" فبعث إليه بصورتها (مخططها، وموقعها الجغرافي)، فلما اطلع الحجاج على المصور أشار عليه بفتحها ودله على المواطن التي تمكنه من الاستيلاء عليها^(٢)، فكتب إليه "أن كس بكش، وانسف نسف، ورد وردان، وإياك والتحويط، ودعني من بنيات الطريق^(٣)، وارجع إلى مراغاتك، فتب إلى الله مما كان منك، وأتها من مكان كذا وكذا^(٤)(٥).

ومما سبق يتبين لنا بجلاء مدى الثقة المتبادلة بين الأمير قتيبة والحجاج

ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٢.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٥٩، ٦٠؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص٢٢٤؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٣٤٩.

(٢) وذلك مما يدلنا على أهمية معرفة جغرافية المدن وأحوالها، خاصة عند الغزو والقتال.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٣؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص٢٢٤.

(٤) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٤٩؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٣؛ د بسام العسلي:

قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٤، ٣٥.

(٥) وإنَّ المتأمل لا يسعه إلا الإعجاب بمهارة الحجاج الحربية، ومواهبه التي لم تكن قاصرة على ميدان السياسة، بل شملت ميدان الحرب وهو بعيد عنه، وكأننا به وقد جلس إلى مكتبه لينظر في خريطة تلك البلاد التي لم يرها، وبعبرية يرسم لقائده ويأمره بتنفيذها متحملاً تبعه ذلك إن كان ثمة تبعه. ينظر: د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف، ص٣٢٩ بتصرف يسير.

خاصة عند الشدائد والأزمات - وهذا بعد الثقة في الله تعالى - فنرى أن الحجاج كان لا يفتأ يمد قتيبة بالنصح والإرشاد، فيأمره هنا بأن يجد في تدمير كش ونسف وفتحهما، ويحذره من تحويط العدو له أو التردد واللجوء إلى الأهداف الثانوية، كما يأمره أن يسلك الطريق المستقيم الذي لا تعريج فيه، والابتعاد عن الطرق الفرعية خشية المباغته، كما يُرعي اهتمامه إلى ضرورة فتح بخارى وجعلها قاعدة له، وأن يتقلب فيها كما تتقلب الدابة في مراغتها (كناية عن السيطرة عليها).

هذا وقد أخطأ الباحث محمود محمود أبو الفيض في رسالته حينما قال: "إنَّ شخصية قتيبة وعزمه الذي لا يلين وإرادته القوية، كل ذلك هو ما شكل المحور الأصلي لنشر الإسلام في بخارى والتركستان، ومن الصعب التكهن بمن كان يساند قتيبة في مهمته النبيلة هذه، فإنه باستثناء اسمه لم يرد في المصادر الأصلية أسماء شخصيات في تحقيق هذا الانقلاب العظيم"^(١)، وهو قول مردود بما سبق، فقد رأينا مدى الاهتمام الكبير من الحجاج بقائده قتيبة ومتابعته لتحركاته باستمرار، وإمداده بما يحتاج إليه سواءً بالعدة والعتاد أو بالنصح والإرشاد، ونلاحظ ذلك أيضًا من خلال حزن الأمير قتيبة الشديد حينما توفي الحجاج ومدى اغتمامه بذلك، كما سنرى من خلال هذا الفصل.

▣ ثالثاً: فتح بخارى:

جاءت جاءت الرسالة السابقة من الحجاج إلى قتيبة وفيها تحذير له من نقاط ضعف لا يجوز لقائد كقتيبة الوقوع فيها، "وأمر له بالتوبة مما كان من

(١) ينظر: محمود محمود أبو الفيض: الطرق الصوفية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٦٩.

انصرافه عن وردان خذاه (ملك بخارى) قبل الظفر به، والمصير إليه، ويعرفه الموضوع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه^(١).

وهنا لم يسع الأمير قتيبة إلا أن خرج في سنة تسعين إلى بخارى ثانيةً واضعاً نصب عينيه تنفيذ الخطة التي رسمها له القائد الأعلى، وقد تمكن بها من الزحف على المدينة ومحاصرتها.

بيد أن وردان (ملك بخارى) قد استعد لمجابهة احتمال هجوم قتيبة، "فأرسل في طلب الدعم من الصغد والترك ومن حولهم، ولكن قتيبة سبق وصول الدعم، فحاصر بخارى وطوق قوات وردان"^(٢).

إنَّ التحرك السريع للأمير قتيبة قد ساعده على تطويق قوات وردان وتنظيم الهجمات المضادة قبل أن تصل قوات الدعم؛ مما خفف من خطورة الموقف وإحراز النصر فيما بعد.

"فعندما وصلت قوات الدعم، خرجت قوة من المسلمين لقتالها، فقالت الأزد - وقد أوردت شرف مجابهة قوات الدعم وحدها - اجعلونا على حدة (ناحية) وخلوا بيننا وبين قتالهم، فقال قتيبة: تقدموا، فتقدموا يقاتلونهم، وقتيبة

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٠؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٦ بتصرف يسير.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٣؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص٨٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٣؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٦؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٤٩٦.

جالس - عليه رداء أصفر فوق سلاحه - فصبروا جميعاً في معركة طاحنة كان التفوق فيها لصالح قوات الدعم، ولم تلبث هذه القوات أن حطموا صمود الأزد، واندفعوا في تقدمهم، حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه إلى منطقة الشؤون الإدارية، ومعسكر النساء، حتى ضرب النساء وجوه الخيل^(١)، فكروا راجعين، وانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم، حتى ردوهم إلى موافقهم^(٢).

ووقف الترك على نشز^(٣) فقال قتيبة من يزيلهم لنا عن هذا الموضع؟ فلم يقدم عليهم أحد، والأحياء كلها وقوف، فمشى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم إنكم أنتم بمنزلة الحطمية^(٤)، فيوم كأيامكم، أباي لكم الفداء^(٥)، فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال: يا بني تميم أتسلمونني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف، فسلم الراية لقائد فرسان تميم (هريم بن أبي طحمة المجاشعي) في حين تولى

(١) لقد كان قتيبة لا يغفل ما يعرف حديثاً (بالحرب الشعبية)، "وهذا التقليد الذي سار عليه إنما هو إتباع لسنة رسول الله ﷺ وللقيادة من بعده، حتى خلال المعارك الحاسمة كاليرموك والقادسية وفتح الفتوح، فقد كان للنساء دور كبير في إثارة الحماسة والاشتراك في الحرب، وتعتبر هذه الظاهرة أوضح برهان على تطبيق قادة العرب المسلمين لمبدأ (الحرب الشعبية) بمفهومها الحديث"، حيث يشرك المسلمون جميعاً في أداء فريضة الجهاد. ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٤٠ بتصرف يسير.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٥٤ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص

٦١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٨٣.

(٣) الشَّزْر: المكان المرتفع من الأرض. ينظر: المعجم الوجيز، ص ٦١٦.

(٤) الحَطْمِيَّةُ: الدروع الثقيلة العريضة، التي تكسر السيوف. المعجم الوجيز، ص ١٥٩.

(٥) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٥٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات

الإسلامية، ج١، ص ١٨٣؛ الشيخ / محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص ٤٩٦.

وكيع قيادة قوة المشاة^(١).

"ووصلت قبيلة تميم بفرسانها ومشاتها إلى نهر واسع بينهم وبين العدو، فوقف هريم، فقال له وكيع، اقحم يا هريم، فنظر هريم إلى وكيع نظر الجمل الصؤول وقال: أنا أقحم خيلي هذا النهر: فإن انكشفت كان هلاكها، والله إنك لأحمق، قال: يا ابن اللخناء^(٢) ألا أراك ترد أمري! وطعنه بعمود كان معه، فضرب هريم فرسه فأقحمه، وقال ما بعد هذا أشد من هذا"^(٣).

ولم يكن هناك خيار آخر (لهريم) غير عبور النهر، ولم لا وقد اختارهم الأمير قتيبة دون غيرهم من القبائل وهذا شرف، بالإضافة إلى أن وكيع قائد قبيلته قد تحمس لهذا الأمر فلم يجد هريم بداً من العبور مهما كانت العواقب.

"وحينما انتهى وكيع إلى النهر، دعا بخشب فقنطر النهر، وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على الموت فليعبر، ومن لا فليثبت مكانه، فما عبر معه إلا ثمانمائة رجل"^(٤).

وسار بالقوة بعد ذلك حتى اقترب من العدو، فأعطى جنده المشاة فترة

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٣.

(٢) اللّخَن. أي التتن. ينظر: المعجم الوجيز، ص٥٥٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٣، ١٨٤.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٤.

استراحة قصيرة، ومضى لتنظيم قواته فجعل الخيل على مجنتيه لحمايتها^(١)، ثم قال لهريم: إني مطاعن القوم فاشغلهم عنا بالخيل، وقال للناس: شدوا، فحملوا فما اثنوا حتى خالطوهم، وحمل هريم خيله عليهم فطاعنوهم بالرمح، فما كفوا عنهم حتى حדרوهم عن موقفهم، ونادى قتيبة، أما ترون العدو منهزمين، فأتبعهم الناس^(٢)، ونادى قتيبة: من جاء برأس فله مائة^(٣) وانطلق الجند يعبرون النهر، وأسرعت قوات الخصم بإخلاء ميدان المعركة والانسحاب بسرعة قبل أن تصلهم قوات المسلمين^(٤).

وهكذا فقد كانت معركة بخارى من أشد المعارك التي شهدتها المسلمون،

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٥؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٨؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٤٩٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٧ بتصرف يسير.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٥؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٤، ٢٥٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١؛ ويذكر المطهر المقدسي: أن الأعداء قتل منهم في هذه الغزوة خمسين ألف فارس". ينظر: المطهر المقدسي: مطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦ ص٣٨.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٥، ومن طريف ما ذكر: أنه جاء يومئذ أحد عشر رجلاً من بني قريع، كل رجل يجيء برأس فيقال له، من أنت؟ فيقول قريعي، قال: فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه، فقالوا له: من أنت؟ قال: قريعي، قال: وجهم بن زحر قاعد، فقال: كذب والله أصلحك الله! إنه لابن عمي، فقال له قتيبة: ويحك! ما دعاك إلى هذا؟ قال: رأيت كل من جاء يقول قريعي، فظننت أنه ينبغي لكل من جاء برأس أن يقول قريعي، قال: فضحك الأمير قتيبة. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٥؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٤.

(٤) بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٧، ٣٨.

وانتهت بهزيمة البخاريين وضياع مملكتهم، "وجرح يومئذ خاقان الترك وابنه في المعركة، ورجع قتيبة إلى مرو، وكتب إلى الحجاج إني بعثت عبدالرحمن بن مسلم، ففتح الله على يديه" (١)؛ ولعله أراد بذلك أن يكون لأخيه مكانة لدى الحجاج (٢).

وتذكر بعض المصادر أن قتيبة حاول فتح بخارى ثلاث مرات، وفي كل مرة كان أهلها يعلنون إسلامهم ثم يرتدون؛ فكان يذهب إلى مرو ويعود إلى ولاية بخارى - حماها الله من الآفات والبلبات - لكن في المرة الرابعة توطن الإسلام هناك ورسخ في النفوس (٣).

ولقد رأينا من خلال ما سبق مدي إصرار الحجاج على فتح مدينة بخارى، ومدى حرص الأمير قتيبة على تنفيذ تلك الرغبة - خاصة وقد ذكرت بعض

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٤٥ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٥٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦١؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٠؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٣٠.

(٢) إلا أن مولى للحجاج كان قد شهد الفتح، فقدم، فأخبره الخبر، فغضب الحجاج على قتيبة، فاغتم لذلك، فقال له الناس: ابعث وفدًا من بني تميم، وأعطهم وأرضهم، يخبروا الأمير، "أن الأمر على ما كتبت" فبعث رجالاً فيهم عرام بن شتير الضبي، فلما قدموا على الحجاج، صاح بهم وعاتبهم، ودعا بالحجام بيده مقراض، فقال: لأقطعن ألسنتكم، أو لتصدقني، قالوا: الأمير قتيبة (أي هو الذي فتح بخارى) وبعث عليهم عبدالرحمن، فالفتح للأمير، والرأس الذي يكون على الناس عبدالرحمن، وكلمه بهذا عرام بن شتير، وبهذا الأسلوب الذكي هدأ الحجاج وسكن. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص ٧٤٥، ٧٤٦ بتصرف بسيط.

(٣) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٦، ٧٧؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٢٧٧؛ د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٢٠.

المصادر أنه حول فتحها أكثر من مرة- رغم ما لقيه الجيش من بأس واستبسال شديدين من جانب الترك، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية تلك المدينة كموقع متميز ييسر من خلاله فتح مناطق أخرى كثيرة؛ وبفضل الله - تعالى - ثم بفضل حنكة الأمير قتيبة وسياسته الزكية في التعامل مع قادة القبائل - خاصة قبيلة تميم - نصر الله المسلمين وفتحت المدينة أبوابها أمام نور هذا الدين الحنيف.





المبحث الثالث

بعض النتائج التي ترتبت على فتح بخارى

أولاً: صلح قتيبة مع الصغد:

كان من أثر الهزيمة المنكرة التي لحقت بجيشي الصغد وبخارى وإصابة خاقان الترك وابنه في المعركة؛ "أن تقدم (طرخون) ملك الصغد - وعاصمته سمرقند - حتى وصل الضفة المقابلة من نهر جيحون، وعرض على قتيبة الصلح، فوافق قتيبة" (١)، "وأخذ منه رهناً عليه" (٢)، ووقعا اتفاقية الصلح، وعندما رجع (طرخون) إلى بلاده رفض أهل مملكته قبول الصلح، وخلعوه عن الملك (٣)، ونصبوا ابن أخيه مكانه، بيد أن طرخون تألم من هذا الموقف المتمرد، فاتكأ على سيفه وانتحر (٤)، "وأرسل الملك الجديد رسولاً يعلن

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٥٥؛ د.١/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ٧٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٨٣، وبدهي أن الذي دفع طرخون إلى ذلك - وهو الذي قاوم المسلمين وتحالف مع الترك - أنه توقع الغزو لبلاده ولا طاقة له بدفع تلك الجيوش ولا القدرة على مقاومتها.

(٣) وقد قالوا له عند رجوعه: إنك قد رضيت بالذل، واستطبت الجزية، وأنت شيخ كبير، فلا حاجة لنا بك، ثم حبسوه، لكنه لم يطق ذلك فقتل نفسه. ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٦٢؛ الذهبي: دول الإسلام، ص ٦٣.

(٤) ينظر: د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص ٢٢٥؛ بسام العسلي:

رفضه لاتفاقية الصلح المعقدة مع عمه" (١).

لقد أراد طرخون بمبادرته السابقة أن يحقن دماء قومه بتجنبيهم حرب المسلمين، وأرى أنه كان موفقاً في ذلك خاصة بعد أن رأى ما أدهشه من فتوح وعلم أنه لا طاقة له بحرب المسلمين، غير أن الحمقى من قومه أبوا ذلك الصلح ونحوه عن الملك؛ مما كان أحد الدوافع لغزو مدينة سمرقند وفتحها - بعد ذلك - ونشر الإسلام فيها، وصدق الله حيث يقول: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (٢).

ثانياً: غدر نيزك:

لمَّا فرغ قتيبة من تنظيم أمور بخارى - بعد فتحها - "رجع إلى مرو، ومعه نيزك وقد أذهله ما شهد من فتوح، وأصبح يخاف بأس قتيبة، فقال لأصحابه وخاصته: مُتَهَمٌ أنا مع هذا ولست آمنه، فلو استأذنت ورجعت كان الرأي قالوا: استأذنه، فلما كان قتيبة بآمل، استأذنه في الرجوع إلى تخارستان، فأذن له" (٣)، وتذكر بعض المصادر أنه قد أسلم وسمي بعبد الله (٤).

فلما فارق عسكره متوجهاً إلى بلخ، قال لأصحابه: أغذوا السير، فساروا

قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٣٨؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ١ ص ١٣٨.
(١) بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٣٨؛ وينظر: د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٢) سورة النور، آية: ١١.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٥٥؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦١؛ اليعقوبي:

تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٨٦؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ١٨٤.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٠٨.

سيرًا شديدًا حتى أتوا النوبهار^(١)، فنزل يصلي فيه ويتبرك به، وقال لأصحابه: إني لا أشك أن قتيبة قد ندم حين فارقتنا عسكره على إذنه لي^(٢)، وسيقدم الساعة رسوله على المغيرة بن عبدالله يأمره بحبسي، فأقيموا ربيثة تنظر، فإذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب، فإنه لا يبلغ البروقان حتى يبلغ تخارستان، فيبعث المغيرة رجلاً فلا يدركنا حتى ندخل شعب خلم، ففعلوا^(٣).

"وأقبل رسول من قبل قتيبة إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك، فلما مر الرسول إلى المغيرة - وهو بالبروقان، ومدينة بلخ يومئذ خراب - ركب نيزك وأصحابه فمضوا، وقدم الرسول على المغيرة، فركب بنفسه في طلبه، فوجده قد دخل شعب خلم، فانصرف المغيرة راجعاً"^(٤).

لقد تدارك قتيبة الأمر وندم على إذنه (لنيزك) وفكر فيما ربما يقم به (نيزك) إن لم يتم القبض عليه في أسرع وقت؛ ولذا لم يتردد في بعث رسول إلى المغيرة يأمره بحبسه، إلا أنه قد جد في السير - حيث توقع أن الأمير قتيبة سيندم على هذا القرار - حتى دخل شعب خلم ففجأ من قبض المغيرة عليه.

نيزك وتأليف حلف كبير لمقاومة الغزو العربي الإسلامي:

-
- (١) النوبهار: مكان بلخ. ياقوت معجم البلدان، ج٥ ص٣٠٧.
(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٥؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٤.
(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٦، ٧٤٧؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٨، ٣٩ بتصرف يسير.
(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٧؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٤.

أظهر نيزك الخلع، وعمل على تأليف حلف كبير لمقاومة الغزو العربي، وقد لقيت هذه الفكرة قبولاً حسناً في نفوس الترك، "فكتب إلى أصبهذ بلخ، وإلى باذام (ملك مرو الروذ)، وإلى سهرب (ملك الطالقان)، وإلى ترسل (ملك الفارياب)، وإلى الجوزجاني (ملك الجوزجان)، يدعوهم إلى خلع قتيبة، فأجابوه، وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة"^(١).

ومع أن (نيزك) أبلى بلاءً حسناً مع الأمير قتيبة في حربه ضد التحالف التركي - بقيادة ابن أخت ملك الصين - ومع أنه أسلم وتسمى بعبد الله، إلا أنه لم يكن مخلصاً في ذلك، فقد كشف عن حقه الشديد للمسلمين حينما هالته فتوحاتهم العظيمة، وتبين أنه كان يظهر الخضوع والاستسلام خدعة ودهاء، ليتمكن من الاطلاع على أحوال الجيش الإسلامي ومدى قدراته وإمكانياته؛ لذلك لم يلبث أن ارتد، وأخذ في تأليب الترك على المسلمين؛ خشيةً على ملكه وسلطانه. "وكان (جبغويه) ملك تخارستان ضعيفاً، فأخذ نيزك فقيده بقيد من ذهب مخافة أن يفسد عليه تدييره - وكان جبغويه هو الملك ونيزك من عبيده جعله

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٧ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٠٨، ٢٠٩؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٩؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص١٠٥، وقيل: إن نيزك كتب إلى كابل شاه، يستظهر به، وبعث إليه بثقله وماله، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده، فأجابه إلى ذلك، وضم ثقله. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٧، ويبدو أنه ما فعل ذلك إلا تأميراً لقاعدته في حال فشلته وهزيمته.

قائداً لقواته - فلما استوثق منه وضع عليه حراسةً قويةً^(١).

وبدأ نيزك في العداء الصريح للمسلمين بأن "أخرج محمد بن سليم الناصح - عامل قتيبة بتلك البلاد - وبلغ قتيبة ما فعله نيزك قبل الشتاء، وقد تفرق الجند، فلم يبق مع قتيبة إلا أهل مرو، فبعث عبدالرحمن - أخاه - إلى بلخ في اثني عشر ألفاً، وكلفه بالتوجه إلى البروقان، وقال: أقم بها ولا تحدث شيئاً، فإذا حسر الشتاء فعسكر، وسر نحو طخارستان^(٢)، واعلم أني قريب منك"^(٣). وهنا لم يسع عبدالرحمن إلا أن ينفذ ما أمره به قتيبة فسار فنزل البروقان، حتى إذا ما انقضى فصل الشتاء وافاه^(٤).

أما قتيبة، فقد أمهل حتى إذا كان في آخر الشتاء، كتب إلى أبرشهر ويورد وسرخس وأهل هراة ليقدموا قبل أوانهم الذي كانوا يقدمون عليه فيه للغزو والحرب^(٥).

-
- (١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٧ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم، ص٣٩.
- (٢) وهكذا يكون قتيبة قد وضع قوة دفاعية لإحباط كل محاولة قد يقوم بها أهل طخارستان، لتوجيه هجوم وقائي مسبق، وكلف هذه القوة بالتحرك مع نهاية الشتاء للقيام بالهجوم الوقائي، مع اتخاذ ترتيباته للوصول إلى هذه القوة في الوقت المناسب. ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم، ص٩٥.
- (٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١.
- (٤) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٦؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٥؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٣٩.
- (٥) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٤٧.

وإنَّ الإنسانَ ليعجب من طاعة عبد الرحمن التامة لأخيه قتيبة، حيث أمره بالذهاب إلى البروقان دون أن يخبره عما يخطط له ولا فيما يدبره، بل كل ما قاله له "واعلم أنى قريب منك"، ولكن يذهب بهذا العجب ثقة عبد الرحمن التامة في أخيه وقائده العظيم قتيبة بن مسلم.

▣ ثالثاً: فتح الطالقان:

وسبب ذلك أنَّ (ملك الطالقان) كان أول من استجاب لنيزك طرخان واتفق معه على حرب قتيبة^(١)، "فلما هرب نيزك من قتيبة، ودخل شعب خلم الذى يصل إلى طخارستان، علم أنه لا طاقة له بقتيبة، فهرب، وسار قتيبة إلى الطالقان، فأوقع بأهلها، وقتل منهم مقتلة عظيمة"^(٢)، واستخلف عليها أخاه عمرو بن مسلم^(٣).

وهكذا رأينا شدة الأمير قتيبة وقسوته في معاملة أهل الطالقان، وما ذلك إلا لأنهم ارتدوا وغدروا بعامله (حبيب بن حصين الباهلي) وقتلوه، ولقد كان قتيبة

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٤؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص١٠٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٦ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١؛ الذهبي: دول الإسلام، ص٦٢، ٦٣؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٥، وذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ج٩ ص٨٤ أن الأمير قتيبة: صلب منهم صفيين على امتداد أربعة فراسخ (١٢ ميل) في نظام واحد، وهذا إن صح ففيه مبالغة في التنكيل والعذاب وهو غير جائز شرعاً، غير أنه جرت عادة الرواة العرب على التكثير والمبالغة في مثل هذا المقام.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٥.

في فعله هذا شبيهاً بفعل رسول الله ﷺ في بني قريظة والنضير حينما غدروا به ﷺ.

▣ رابعاً: قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان سنة (٩١هـ):

مضى فصل الشتاء، وجاء العام الجديد (٩١هـ / ٧١٠م) "وقدم أهل أبرشهر وبيورد وسرخس وهراة بجيوشهم على الأمير قتيبة"^(١)، فسار بالناس إلى مرو الروذ، واستخلف على الحرب حماد بن مسلم، وعلى الخراج عبد الله بن الأهم، وبلغ مرزبان مرو الروذ إقباله إلى بلاده، فهرب إلى بلاد الفرس، وقدم قتيبة مرو الروذ فأخذ ابنين للمرزبان فقتلتهما، ومضى إلى الفارياب، فخرج إليه ملك الفارياب مدعناً مقرّاً بطاعته، فرضي عنه ولم يقتل بها أحداً، واستعمل عليها رجلاً من باهلة^(٢)، "وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً، وسار قتيبة إلى الجوزجان، فلقيه أهلها سامعين مطيعين، فقبل منهم ولم يقتل فيها أحداً، واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني، ثم أتى بلخ فلقيه الأصبهذي في أهل بلخ، فدخلها فلم يقيم بها إلا يوماً واحداً"^(٣).

ومن الجدير بالذكر هنا أن قسوة الأمير قتيبة وشدته كانت مقتصرة على المتمردين والثائرن فقط، ولعل أهل مرو الروذ قد حاربوه ووقفوا في وجهه حتى

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٣ بتصرف يسير؛ وينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٤١؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٣٢.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٨٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٥٩؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦١.

لا يدخل بلادهم - وذلك بعد أن هرب ملكهم - فقاتلهم حتى ظفر عليهم وقتل أبناء ملكها الهارب؛ أما أهل الفارياب والجوزجان فقابلوه بالصلح فقبل منهم ولم يمس أحداً منهم بمكروه، وهذا دليل قوي على أنه ما كان يتعرض لغير المقاتلين.

مضى قتيبة بعد ذلك إلى شعب خلم وهو يتبع أخاه عبد الرحمن لمساعدته في حرب نيزك - رأس الحلف - "لكن الثائر سار إلى بغلان، بعد أن ترك مجموعة من المقاتلين لحماية فم الشعب؛ وللدفاع عن مداخله وحراستها"^(١).

كما وضع نيزك - أيضاً - حامية من المقاتلين في قلعة حصينة^(٢) من وراء مضيق الوادي (فم الشعب)، فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على مضيق الشعب إرادة دخوله إلا أنه لم يتمكن من ذلك^(٣).

بيد أن المعلومات التي توفرت للأمير قتيبة -آنذاك- لم تكن تشير إلى محاور للاقتراب سوى منفذ الوادي هذا الذي امتنع عليهم، وسوى مفازة - لا ماء فيها ولا نبات - لا يستطيع المجازفة بدفع الجند لاختراقها، فتحير في الأمر ومكث في موقعه محاولاً إيجاد مخرج من هذا المأزق الغير متوقع.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٨؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٥.

(٢) وهذه القلعة تسمى شمسية لعلوها وارتفاعها واتساعها، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٨.

(٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢.

"وفي تلك الأثناء قدم عليه الرؤب خان ملك (الرؤب وسمنجان) فاستأمنه؛ على أن يدلّه على مدخل القلعة التي وراء هذا الشعب، فأمنه قتيبة، وأعطاه ما سأله، وبعث رجلاً ليلاً فانتهى بهم إلى القلعة التي من وراء شعب خلم، فباغتهم بالهجوم، وأبادوا حامية القلعة"^(١)، وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب، فدخل قتيبة والناس الشعب، فأتى القلعة، ثم مضى إلى سمنجان، ونيزك ببغلان، عند نبع يعرف باسم (فنج جاه)، وبين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة^(٢).

أقام قتيبة بسمنجان أياماً ليستريح هو وجنوده، "ثم سار إلى (نيزك)، وقدم أخاه عبد الرحمن، وبلغ (نيزك) ذلك؛ فارتحل من منزله حتى قطع وادي فرغانة، ووجه ثقله وأمواله إلى ملك كابول^(٣) - حسب الاتفاق المبرم بينهما - ومضى حتى نزل الكرز، وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه، فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق (الكرز)"^(٤)، ونزل قتيبة أسكيمشت بينه وبين عبد الرحمن فرسخان، فتحرز نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد، وذلك الوجه صعب

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٩؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٥؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٦؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٨.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٥.

(٣) وكابول عاصمة أفغانستان اليوم.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٥٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٥.

لا تطيقه الدواب، فحاصره قتيبة مدة شهرين كاملين^(١)، "حتى قل ما في يد نيزك من الطعام وأصاب جنده الجدرى، وجدر جبغويه ملكهم"^(٢).

وفي هذا الوقت كان الشتاء قد أقبل فخاف قتيبة البرد على جنوده، فدعا (سُليماً النَّاصح) وقال له: "انطلق إلى نيزك واحتل لأن تأتيني به بغير أمان، فإن أعياك وأبى فآمنه، واعلم أني إن عايتك وليس هو معك قتلتك، فاعمل لنفسك"^(٣) فقال سُليماً النَّاصح: فاكتب لي إلى عبد الرحمن لا يخالفني، قال قتيبة: نعم، وكتب بذلك إلى عبد الرحمن^(٤).

ولقد وافق الأمير قتيبة مباشرة على طلب سليم السابق وذلك حتى يتمكن من أداء مهمته، خاصة وقد كلفه بمهمة صعبة تحتاج إلى صلاحيات كثيرة.

فراه عندما وصل إلى عبد الرحمن، "طلب منه إرسال مجموعة من الفرسان للتمركز عند مدخل الوادي، وقال له: إن على هؤلاء الفرسان إعاقتنا عن الوصول إلى مدخل الوادي إذ ما خرجنا أنا ونيزك"^(٥).

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٠ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١ ص١٣٨؛ مجلة صوت الأزهر، ص١٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٠؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤ بتصرف يسير؛ وينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٠٩.

(٤) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٠ بتصرف يسير؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٦.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٠.

وبعث عبد الرحمن خيلاً، فكانوا حيث أمرهم سليم، ومضى سليم، وقد حمل معه من الأطعمة ما يكفي أياماً، حتى أتى نيزكاً، فقال له نيزك: خذلني يا سليم، قال: ما خذلتك، ولكنك عصيتني، وأسأت بنفسك، خلعت وغدرت، قال: فما الرأي؟ قال: الرأي أن تأتيه، وليس يبارح موضعه هذا، فقد اعتزم على قضاء الشتاء في موقعه، هلك أو سلم فقال: نيزك آتية على غير أمان؟ قال سليم: ما أظنه يؤمنك؛ لما في قلبه عليك، فإنك قد ملأته غيظاً، ولكني أرى ألا يعلم بك حتى تضع يدك في يده، فإني أرجو إن فعلت ذلك أن يستحي ويعفو عنك^(١)، قال: أترى ذلك قال: نعم، قال: إن نفسي لتأبى لهذا، وهو إن رأي قتلني، فقال له سليم: ما أتيتك إلا لأشير عليك بهذا، ولو فعلت لرجوت أن تسلم وأن تعود حالك عنده إلى ما كانت، فأما إذ أبيت فإني منصرف، قال: فنغديك إذاً، قال: إني لأظنكم في شغل عن تهيئة الطعام، ومعنا طعام كثير^(٢).

"ودعا سليم بالغداء، فجاءوا بطعام كثير، لا عهد لهم بمثله منذ حصروا^(٣)، فانتبه الأتراك لشدة جوعهم، فغم ذلك نيزك، وانتهز سليم تلك الفرصة فقال: يا أبا الهياج أنا لك من الناصحين، أرى أصحابك قد جهدوا، وإن طال بهم الحصار وأقمت على حالك، لم آمنهم أن يستأمنوا بك، فانطلق وأت قتيبة"^(٤).

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٦٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٢.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٤؛ بتصرف يسير؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٨٦؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي، ص ٣٣٣.

(٣) ويذكر ابن كثير أن أصحاب نيزك وقعوا على الأطعمة يتخاطفونها، وكان قد أجهدهم الجوع. ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٨٧.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٦٠.

ولكن نيزك أبى أيذهب بغير أمان، فلم سليم بدأ من أن يؤمنه، وألح أصحاب نيزك عليه بالخروج، فخرج في جماعة من أعيان قومه ومعهم قوة من الجند^(١).

ولما خرجوا من الشعب، نفذ جنود عبد الرحمن التعليمات بأن حاصروا الشعب وحالوا بين الأتراك وبين الخروج، فخاف نيزك وأراد أن يفر فنصحته سليم بعدم فعل ذلك وأن مصلحته في أن تصل إلى قتيبة في غير هذه الضجة العسكرية عسى أن وفق إلى صلح شريف معه^(٢).

"وأقبل سليم ونيزك ومعه أعيان قومه فقط حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم، فأرسل رسولا إلى قتيبة يعلمه، فأرسل قتيبة عمرو بن أبي مهزم، إلى عبد الرحمن أن أقدم بهم علي، ففعل"^(٣).

ولمّا وصل نيزك ومن معه إلى قتيبة حسبهم، وكتب إلى الحجاج يخبره بذلك، وأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك^(٤)، فاستدعاه، وقال له: هل لك عندي عهد، أو عند عبد الرحمن، أو عند سليم؟ قال لي عند

بتصرف يسير؛ وينظر: أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٦؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٣٣.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤؛ يعقوبي: تاريخ يعقوبي، ج٢ ص٢٨٦.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٤٥، ٤٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٠؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٥ بتصرف يسير.

(٤) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٠ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية،

ج١، ص١٨٦.

سليم، قال: كذبت، وقام فدخل، ورد نيزكاً إلى حبسه، ومكث قتيبة ثلاثة أيام لا يظهر للناس، ثم خرج في اليوم الرابع فجلس وأخذ يستشير الناس في أمر نيزك، واختلفت وجهات النظر فيه، فمنهم من قال بعدم قتله للعهد، ومنهم من قال بوجوب قتله لعدم أمنه على المسلمين سواء أكان له عهد أم لا.

وظل الأمير قتيبة متردداً حتى دخل ضرار بن حصين الضبي، فسأله الأمير قتيبة عن رأيه فقال ضرار: إني سمعتك تقول (أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله، فإن لم تفعل لا ينصرنك الله عليه أبداً) فأطرق قتيبة طويلاً، ثم قال: والله لو لم يبق من أجلي إلا ثلاث كلمات، لقلت اقتلوه، اقتلوه، اقتلوه، وأرسل إلى نيزك، فأمر بقتله^(١)، وقتل أصحابه، فقال المغيرة بن حبناء كلمة له طويلة في مديح عمل قتيبة مطلعها:

لَعَمْرِي لِنِعْمَتِ غَزْوَةِ الْجَنْدِ غَزْوَةٌ قَضَتْ نَجْبَهَا مِنْ نِيزِكٍ وَتَعَلَّتْ^(٢)

(١) ولقد كانت قصة قتل نيزك على هذا الوجه موضع تعليق؛ لذلك نرى ثابت قطنه يقحم الموضوع في إحدى قصائده فيعيب على قتيبة غدره بنيزك فيقول:

لا تحسبن الغدر حزمًا فربما ترقى به الأقدام يومًا فزلت
وشاركه في ذلك بعض المعاصرين فكان الواحد منهم يقول "غدر قتيبة"، على أن سلوك قتيبة كان موضع الرضا من الكثيرين فيها هو ذا المغيرة بن حبناء ونهار بن توسعة يمتدحان ما صنعه قتيبة مع نيزك في قصيدتين لا تقل أبيات الواحدة منهما روعة عن البيت الفرد الذي جاء في قصيدة ثابت قطنة. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٦، ٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦١ بتصرف يسير؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٣٥، ٣٣٦؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٠٨.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٠، ٢٦١ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢.

وهكذا فقد رأينا مدى حرص الأمير قتيبة على الإمساك بهذا الغادر - الذي نقض العهد وجمع الجموع لمقاومة الفتوح الإسلامية- فأخذ يتبعه في كل مكان برغم ما كلفه ذلك من أموال وما واجهه من صعاب، إلا أنه لم يجد خياراً آخر غير القبض عليه؛ حتى لا يستفحل أمره ويشتد خطره، ولقد حاول أن يؤتى به بغير أمان ولا عهد حتى يتمكن من قتله فلم يتحقق له ذلك؛ مما جعل الأمير قتيبة يضطرب في أمره برغم ما جاءه من كتاب الحجاج الذي يأمره فيه بقتله، غير أنه في النهاية وبعد مشاورات كثيرة أمر بضرب عنقه.

ولعله أراد أن يجعله عبرة لغيره ممن تسول له نفسه بالغدر والخروج على المسلمين مثل ما فعل نيزك؛ وإن كان يبدو أن ما فعله قتيبة كان غدرًا - حيث قتله مع العهد مخالفًا ما أمر به الشرع- فأقول: لعله أراد أن يرتكب أخف الأضرار بقتله، فلو بقي هذا الثائر حيًا لكان خطرًا على المسلمين سواء أفرج عنه أم بقي أسيرًا في أيديهم، هذا فضلاً عن أنه في حكم المرتد مهدور الدم، كما أن الأمير قتيبة كان أدري بما يفعل وبما هو أجدى وأنفع للإسلام والمسلمين، ولا نستطيع أن نتقص من قدره أو أن نتهمه بالغدر مطلقًا، والله يسامحه ويغفر له زلته إن كان ثمة زلة.

ويختلف الرواة في عدد القتلى، فيروى الطبري عن علي بن محمد "أن قتيبة قتل مع نيزك نحو (٧٠٠) وأخذ قتيبة من أموالهم وخيولهم وثيابهم وأبنائهم ونسائهم شيئاً كثيراً^(١) - ولعله يقصد أولئك الذين بقوا في الشعب - وتروي

(١) ويذكر الطبري أن الزبير مولى عباس الباهلي أخذ خفًا لنيزك فيه جوهر، فكان أكثر من في بلاده مالاً وعقارًا، من ذلك الجوهر الذي أصابه في خفه، فسوغه إياه قتيبة، فلم يزل موسراً حتى

باهلة أنه قتل معه (١٠٠٠ و ١٢) (١).

وهذا كلام لا يصدق، فإنه لا يُعتقد أنه حضر مع نيزك هذا العدد لأنه لم يخرج لغزو؛ بل إن السبعمئة كثير أيضاً، ولكن جرت عادة العرب على التكثير؛ للفخر وبيان القوة والسطوة، وما عرفوا أن ذلك سيكون موضع نقد، سيّما من أعداء الإسلام (٢).

وفي قتل نيزك وأصحابه قال الشاعر نهار بن توسعة لقتيبة:

أراك الله في الأتراك حكماً كحُكمٍ في قُرَيْظَةَ والنضير (٣)
قضاءً من قتيبة عَيْرُ جُورٍ به يُشفي الغليل من الصدور
فإن ير نيزك خزيًا وذلًا فكم في الحرب حُمقٌ من أمير (٤)

عمل قتيبة بعد ذلك على إعادة تنظيم الإدارة في تخارستان، وأطلق سراح ملكها جغبويه - الذي أصبح مغلوباً على أمره فيما حدث - وأرسله إلى الوليد، فلم يزل بالشام حتى مات الوليد، ولم يسمع له بعدها خبر؛ ورجع قتيبة

هلك. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦١؛ وينظر: أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٧.
(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٥، ٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦١ بتصرف يسير؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص١٠٥.

(٢) ينظر: د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٣٥.

(٣) وقريظة والنضير: قبيلتان يهوديتان، غدرتا بالرسول ﷺ فعاقبهما بإخراجهما من المدينة، وإبادة المقاتلين ممن آذوا المسلمين.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٤٦.

إلى مرو، واستعمل أخاه عبدالرحمن على بلخ^(١).

"ثم إنه أرسل إلى الحجاج بالخراج وبأخبار الفتح، فكان ما يردده الحجاج دائماً: بعثت قتيبة فتى غراً، فما زدته زراعاً إلا زادني باعاً"^(٢).

لم يتمالك الحجاج نفسه حينما علم بإنجازات الأمير قتيبة حتى قال تلك الكلمات السابقة يعلن فيها صراحةً أنه ولي قتيبة خراسان وهو فتى غر، ذو خبرة محدودة في إدارة الحرب وممارسة القيادة، فإذ به يصبح أستاذاً من أساتذة فن الحرب في التاريخ الإسلامي.

"ما أن استقر قتيبة في مرو، حتى وصله طلب أمان من ملك الجوزجان - وكان قد هرب عن بلاده تأييداً لنيزك، ثم تراجع عن موقفه عندما علم بمصرعه - فأمنه قتيبة على أن يأتيه فيصالحه، فطلب رهناً يكونون في يده، ويعطى رهائن مقابل ذلك، فأعطى قتيبة حبيب بن عبدالله بن عمر بن حصين الباهلي، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته، فخلف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض حصونه، وقدم على قتيبة فصالحه، ثم رجع فمات بالطالقان"^(٣)، "فقال أهل الطالقان إنهم سموه"^(٤) "فقتلوا حبيباً، فما كان من قتيبة إلا أن قتل

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم، ص٤٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٦؛ بتصرف يسير؛ وينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ص٢٤٦؛ مجلة صوت الأزهر، ص١٠.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٤٥، ٤٦.

(٤) أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٨٧.

الرهن الذين كانوا عنده، وذلك سنة إحدى وتسعين^(١).

وأرى أنه لم يكن في وسع الأمير قتيبة غير ما فعل - فهم قد غدروا أولاً بقتل حبيب الباهلي، وكان عليهم أن يترثوا حتى يتبينوا سبب قتل ملكهم - كما أنه أراد بقتل تلك الرهن أن ينذر الجميع فيكون في ذلك حفاظاً على مرؤوسيه في المناطق الأخرى.

▣ خامساً: غزو شومان^(٢) وكس ونسف سنة (٩١هـ):

أفاد ملك شومان (قيسلستان) من الاضطراب الذي أثاره غدر نيزك، فطرد عامل قتيبة، ومنع الفدية التي كان قد صالح قتيبة عليها،^(٣) "فبعث إليه قتيبة رسولاً وهو (عياش الغنوي) ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان إلى أن يؤدي الفدية على ما صالح عليه قتيبة، فقدموا البلد، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجل، وأقام عياش الغنوي"^(٤)، فقال: أما ها هنا مسلم! فخرج إليه رجل من المدينة فقال: أنا مسلم، فما تريد؟ قال: تعينني على جهادهم قال: نعم، فقال له عياش: كن خلفي؛ لتمنع لي ظهري، فقام خلفه -

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢.

(٢) وشُومان: من الثغور الإسلامية، وفي أهلها قوة وامتناع، بنبت في أراضيها الزعفران، ينسب إليها أبو بكر محمد بن عبد الله الشوماني. ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٧، ٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٧.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦١ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩١.

وكان اسم الرجل المهلب - فقَاتلهم عياش، فحمل عليهم، ففترقوا عنه، وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله، فوجدوا به ستين جراحة، فغمهم قتله، وقالوا: قتلنا رجلاً شجاعاً" (١).

ولما علم قتيبة بتلك الحادثة الشنيعة - المخالفة لقوانين الحرب المتعارف عليها (٢) - استشاط غضباً وقرر أن يذهب إليهم بنفسه وبرغم أن قواته مازالت متعبة بعد قتال نيزك إلا أنه لم يتردد في المسير إليهم.

"وكان ملك شومان صديقاً لأخيه صالح بن مسلم، فأرسل إليه صالح رجلاً يأمره بالطاعة (٣)، ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح، فأبى وقال لرسول صالح: "ما تخوفني به من قتيبة، وأنا أمنع الملوك حصناً، أرمي أعلاه، وأنا أشد الناس قوساً، وأشد الناس رمياً، فلا تبلغ نشابتي (٤) نصف حصني، فما أخاف من قتيبة!" (٥).

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٨؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٣٦.

(٢) ومنها عدم التعرض للرسول بأي أذى.

(٣) عسى أن تحقن دماء المسلمين.

(٤) النشابة: النبل، والجمع النشاب. المعجم الوجيز، ٦١٥.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٨؛ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩١؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٤٧، ولقد فهم الموقف على غير حقيقته، وخيل إليه أن قتيبة أضعف من أن يناوئه، وأنه ما لجأ إلى المفاوضة إلا ضعفاً، فرفض الصلح، على الرغم مما كان بينه وبين صالح من الصداقة. ينظر: د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف، ص٣٣٦

وهنا لم يجد قتيبة بدأً من مقاتلته، فذهب إليه فوجده قد تحصن "فوضع عليه المجانيق^(١)، ورمى حصنه فهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه ورأى ما نزل به، جمع ما كان له من مال وجوهر، فرمى به في عين في وسط القلعة، لا يدرك قعرها"^(٢). ثم جمع قواته، وفتح أبواب القلعة، وخرج إليهم فقاتلهم حتى قتل، ودخل قتيبة القلعة بعد أن فتحها عنوة، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية^(٣)، ثم رجع ففتح كس ونسف، وامتنع عليه أهل فرياب^(٤) فأحرقها، فسميت المحترقة، ثم مضى إلى بخارى^(٥).

وهكذا رأينا مدى الشجاعة والروح الإيمانية العالية التي كان يتحلى سفراء الأمير قتيبة ومبعوثيه، ومدى حرصه على سلامتهم وعدم المساس بهم؛ لذا نراه

بتصرف يسير.

(١) قيل أن الأمير قتيبة وضع منجنيقاً كان يسمى (الفحجاء) فرمى بأول حجر، فأصاب الحائط، ورمى بآخر فوق في المدينة، ثم تابعت الحجارة، فوقع حجر منها في مجلس الملك، فأصاب رجلاً فقتله، حتى دمر الحصن. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٢.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩١؛ مجلة صوت الأزهر، ص١٠.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢/د محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٩؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص١٠٥؛ مجلة صوت الأزهر، ص١٠.

(٤) فرياب: مدينة ببلاد الترك. ابن منظور، لسان العرب، ج١ ص٦٥٧.

(٥) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٦٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٠؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩١؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص٢٢٥.

يخرج إلى شومان بنفسه - الذين اعتدوا على رسوله - وما كف عنهم حتى هزمهم واستولى على المدينة وما فيها عنوة.

كانت عمليات السنة التالية، سهلة يسيرة، حيث غزا الأمير قتيبة سجستان قاصداً (رتبيل ملكها) " فلما نزل سجستان، استقبلته رسل رتبيل^(١) يريدون منه الصلح على أموال عظيمة خيول ونساء من بنات الملوك، فقبل ذلك وانصرف، واستعمل عليهم ربة بن عبد الله الليثي^(٢)، وعاد إلى مرو^(٣).

ومن خلال ما سبق تبين لنا كيف أحدث فتح مدينة بخارى رُودَ فعل كثيرة من أهل البلاد، حُسمت في نهاية الأمر لصالح المسلمين وذلك بفضل الله ﷻ.



- (١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢.
- (٢) ويذكر اليعقوبي: أن قتيبة لما سار إلى سجستان أرسل إليه رتبيل: إنا كنا قد صالحناكم وقبلتم الصلح، فماذا دعاكم إلى نقضه؟ فأرسل إليه: أن الحجاج أبقى ذلك، فرد عليه رتبيل: إن قبلتم الصلح كان أصلح لكم، وإلا رجونا النصر عليكم، فقال قتيبة لأصحابه: إن هذا مشؤوم، وقد هلك فيه عبد الله بن أمية وابن أبي بكرة وغير واحد، ولا نأمن الحيل التي كان رتبيل يحتالها، من تحريق الطعام، والعلوفات، وأخذ الحصون، وغير ذلك، فولى قتيبة عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي، وسار إلى خوارزم. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٠٩، ٢٠١٠ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٢.
- (٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٢ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢.



المبحث الرابع

صلح قتيبة مع ملك خوارزم، وفتح خام جرد سنة (٩٣هـ)

ولقد كان من أهم الأسباب التي ساعدت الأمير قتيبة علي ذلك هو النزاع القائم بين ملك خوارزم وأخيه الأصغر؛ "حيث كان الملك ضعيفاً، فغلبه أخوه على أمره، فكان إذا بلغه أن عند أحد من مواطني مملكته جارية أو دابة أو متاعاً فاحراً أرسل فأخذه، أو بلغه أن لأحد منهم بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة، أرسل إليه فغصبه، وأخذ ما شاء، وحبس ما شاء، لا يمتنع عليه أحد، ولا يستطيع الملك منعه أو تأديبه، وكثيراً ما رفع الناس ظلماتهم للملك، فكان يقول: لا أقوى عليه"^(١).

وزاد الأمر على الملك حتى ملاًه غيظاً، فلما طال ذلك منه عليه "كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه حتى يسلمها إليه، وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم، واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه، وكل من كان يضاده يحكم فيه بما يرى، وبعث في ذلك رسلاً، ولم يطلع أحداً من مرزبته ولا دهاقينه (معاونيه ومستشاريه) على ما كتب به إلى قتيبة"^(٢).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٢ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٢

فقدت رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت الغزو، وقد تهيأ للحرب واستعد لها، فأظهر قتيبة أنه يريد الصغد، ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبل قتيبة، وسار بعد أن استخلف على مرو (١).

وجمع ملك خوارزم (٢) ملوكه وأحاباره (كهنته) ودهاقينه وخدعهم بأن أكد لهم أن قتيبة لا يقصدهم وأنه خارج للصيد والقنص والتمتع بمظاهر الطبيعة في فصل الربيع (٣).

وبهذه الخديعة استطاع الأمير قتيبة بسهولة أن يصل إلى هزارسب - دون النهر - وهنا شعر العدو بدنو قتيبة منهم "فقال خوارزم شاه لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نقاتله، لكن الملك قاوم هذا الاتجاه عندما قال لهم: إني لا أرى ذلك، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة، ولكنني أرى أن نصره بشيء نؤديه إليه، فنصره عامنا هذا، ونرى رأينا فوافقوا على ذلك (٤)".

بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩١؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٢، ٦٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٥٨؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٦؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٧؛ د/ محمد عادل عبد العزيز: التفسير العلمي لحركة الفتوح الإسلامية والتعريب، ص٦٨.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٢ بتصرف يسير؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٤٩.

(٢) وخوارزم: ناحية مشهورة ذات مدن وقرى كثيرة، وسيدة الرقعة فسحة البقعة، جامعة لأشتات الخيرات وأنواع المسرات، بها فضائل لا توجد في غيرها من سائر الأقطار، وخصال محمودة لا تتفق في غيرها من الأمصار. القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ٥٢٥.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٢ بتصرف يسير؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٢ بتصرف يسير؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛

وأقبل خوارزم شاه، فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر، وبقي نهر بلخ هو الفاصل بين مواقع قوات قتيبة في هزارسب، ومكان نزول خوارزم في "فيل" وتم الصلح على عشرة آلاف رأس وعين ومتماع^(١) - وقيل تم الصلح على مائة ألف رأس^(٢) - بشرط أن يعينه على ملك خام جرد، وأن يفي له بما كتب إليه، فقبل ذلك منه قتيبة، ووفى له، إذ دفع إليه أخاه الذي نغص عليه حياته، ثم أرسل أخاه عبد الرحمن إلى ملك (خام جرد) الذي كان يناصب خوارزم شاه العداء فقاتله، فقتله عبد الرحمن، وغلب على أرضه، ثم قبض من خوارزم ما كان صالحه عليه ورجع^(٣).

وهكذا فقد ضاق صدر ملك خوارزم على أخيه الذي أصبح يشاركه في كل شيء رغمًا عنه، بالإضافة إلى العداء المستمر بينه وبين حاكم خام جرد المجاور له، وهنا وجد أن خير وسيلة للتخلص من هؤلاء الأعداء هو أن يرسل إلى الأمير قتيبة ليسلم إليه بلاده مقابل أن يحقق له ما يريد من القضاء على أعداءه ومناوئيه، فحقق له قتيبة ما أراد، وبهذا وصلت فتوحاته إلى مناطق لم يحاول من سبقه فتحها، (ورب ضارة نافعة).

وينظر: أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٦.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٣ بتصرف يسير؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٥٨؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ وكانت مدائن خوارزم الرئيسية ثلاثة، لكن فيل كانت أكثرهن منعة، وقوة وتحصينًا. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٢.

(٢) قوله "على مائة ألف رأس" لعله مما يؤخذ منهم خراجًا، وإلا فمن البعيد استرقاق هذا العدد وأخذه منهم، وماذا يصنعون بهذا العدد، وأي طعام يكفيهم كل يوم.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٣، البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٥٨؛ الذهبي: دول الإسلام، ص٦٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٠.



المبحث الخامس

فتح مدينة سمرقند سنة (٩٣هـ)

▣ أولاً: أهمية موقعها ومكانتها:

كانت سمرقند مركزاً تجارياً وثقافياً بالإضافة إلى أنها كانت مركزاً سياسياً لإقليمها، ورغم أنها مدينة تركية إلا أن شعبها كان يتألف من أخلاط من الأقوام الذين يختلفون لغة وعرقاً وثقافة، وهي أعظم مدائن ما وراء النهر^(١).

وكان الدخول إلى المدينة من خلال اثني عشر باباً ويقع بها سور داخلي (قلعة) يحيط بمركز المدينة^(٢)، وكان لهذه القلعة أربعة أبواب مختلفة^(٣)، ويقع

(١) د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٣٦.
(٢) وقيل إن سعيد بن عثمان - والي خراسان في سنة (٥٥هـ) - عبر النهر ونزل على سمرقند محاصراً لها، فحلف لا يبرح حتى يدخل المدينة ويرمى القهندز (القصر) بحجر، أو يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم، فدخل المدينة، ورمى القصر بحجر ثبت فيه، فتطير أهلها بذلك وقالوا ثبت فيها ملك العرب، وأخذ رهناً منهم وانصرف. د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١٤.

(٣) وبها الجامع والقهندز ومسكن السلطان، وبسمرقند أشياء ظريفة تنقل إلى سائر البلاد: منها الكاغد السمرقندي الذي لا يوجد مثله إلا بالصين، وبها جبل قال صاحب تحفة الغرائب: في هذا الجبل غار يتقاطر منه الماء في الصيف. ينسب إليها جماعة من أهل العلم كثيرون: منهم الإمام الفاضل البارح ركن الدين العميدي أعجوبة الزمان. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٦؛ وينظر: د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١٣.

المسجد وبيوت الولاية داخل هذه القلعة^(١).

وأكثر دروبها ودورها فيها الماء الجاري ولا تخلو دار من بستان، حتى لو صعدت قصرها لا ترى أبنية المدينة لاستتارها بالبساتين والأشجار، وأما داخل سور المدينة ففيه أودية وأنهار وعيون وجبال^(٢).

وذكر أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند وقف على جبلها ثم قال لأصحابه شبهوه، فلم يأتوا بشيء، فقال قتيبة كأنه السماء في الخضرة، وكأن قصوره النجوم، وكأن أنهاره المجرة، فاستحسنوا هذا التشبيه وتعجبوا من إصابته^(٣).

وقد تأسست سمرقند عند ملتقى الطرق التاريخية القادمة من الهند وإيران على الساحل الشمالي من نهر زرافشان (الصغد)^(٤)، وهي الآن من أعظم

(١) ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٢٢٤؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤١٣؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص٣٦، د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤١٣.

(٢) القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣٦.

(٣) السيد محمود شكري الألوسي: بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص١٨٦.

(٤) ينظر: بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص٨٣؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص٣٦؛ مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج٢ ص٢٢٤، وسمرقند قديمة العهد: يقال أنها بنيت بمعرفة الاسكندر المقدوني واستولى عليها بعده ملوك الطوائف، المقدونية ببلخ، ثم الاشكانيون ثم السامانيون وقد وصلت إلى أعلى مدارج الإعمار والازدهار في عهد السامانيين، وبقيت على هذه الحال في عهد السلجوقيين والخوارزمشاهية إلى أن دمرها جنكزخان وعمرها تيمورلنك الذي اتخذها عاصمة لإمبراطوريته، واستولى عليها الأوزبك بعده وخربوها، وفي سنة ١٨٦٨هـ احتلها الروس وجعلوها عاصمة لولاية زرافشان. النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٨، ١٩ حاشية سفلية رقم ١؛ وينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص١٨٧؛ د/ عبد المنعم ماجد:

وأجمل مدن جمهورية أوزبكستان في الإتحاد السوفيتي سابقاً^(١)، وفيها آثار إسلامية كثيرة من مساجد ومدارس ولا سيما قبر تيمورلنك^(٢). وقد اتخذ الترك هذا الإقليم موطناً لهم لرخائه؛ بسبب طريق الحرير التاريخي^(٣)، فكانت تابعة للأتراك وكانت من المراكز النشطة للوجود العسكري التركي، بالإضافة إلى كونها مركزاً إدارياً للأسر الحاكمة تركية الأصل أثناء الفتوح الإسلامية^(٤). وكانت سمرقند قاعدة لكفاح الأتراك أمام الهجمات العربية في سنوات الفتح الأولى^(٥).

ومن أسباب شهرة سمرقند أنها كانت مركزاً للعبيد الأشداء، وكانوا أفضل العبيد الذي عرفوا في الشرق الأوسط، وقد خرج من بينهم الموالي ذوا الأصول التركية والقواد العظماء والعلماء الأجلاء ورجال الدولة العظام^(٦). وأما عن فضلها فثمة حديث مرفوع لأنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: مدينة خلف نهر جيحون تدعى بسمرقند، لا تقولوا لها سمرقند ولكن قولوا المدينة

التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص ٢١٢.

(١) يُنظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٩ حاشية سفلية رقم ١، د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١٢.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٩ حاشية سفلية رقم ١.

(٣) وبسمرقند عدة مدن مذكورة في مواضعها، منها كرمانية ودبوسية وأشروسنة والشاش ونخشب وبناكث. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٤٨؛ وينظر: القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٥.

(٤) د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٣٧.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) المرجع السابق، نفس الصفحة.

المحفوظة، فقالوا يا أبا حمزة وما حفظها؟ قال: أخبرني رسول الله ﷺ أن مدينة خلف النهر تسمى المحفوظة لها أبواب، على كل باب خمسة آلاف ملك يحفظونها، وخلف المدينة روضة من رياض الجنة، وخارج المدينة ماء حلو عذب من شرب منه شرب من ماء الجنة، ومن اغتسل به خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ومن تعبد فيها ليلة يقبل منه عبادة ستين سنة، ومن صام فيها يوماً فكأنما صام الدهر، ومن أطعم فيها مسكيناً لا يدخل الفقر منزله أبداً^(١).

وهكذا فقد كانت مدينة سمرقند ذات تاريخ مجيد ومجد بازخ؛ اختلف المؤرخون حول أول من بناها ف قيل (ذو القرنين)، وقيل بل بناها (الإسكندر المقدوني) وقيل غير ذلك، ولقد نالت مكانة عالية بين باقي مدن ما وراء النهر الأخرى وذلك بسبب موقعها الجغرافي المتميز والفريد؛ كما اشتهرت بطيب هوائها وسحر جمالها، وكانت أولى الإشاعات للإسلام فيها حينما فتحها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم؛ ولقد نبغ منها على مدار التاريخ الكثير من العلماء والأدباء

ثانياً: التخطيط لها وفتحها:

ما أن أمضى الأمير قتيبة الصلح مع حاكم خوارزم (ملكها) حتى تقدم إليه المجشر بن مزاحم السلمي، وطلب التحدث إليه على انفراد، وعندما تم له ذلك، قال المجشر لقتيبة: إن أردت الصغد يوماً من الدهر، فالآن، فإنهم آمنون

(١) القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٥؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١٤، ٤١٥. قلت: والحديث لم أجد له أصلاً في جميع كتب السنة.

من أن تأتيهم من عامك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام^(١)، وسأله قتيبة: هل أشار بهذا عليك أحد؟ قال: لا، فعاد يسأله: وهل أعلمته أحدًا؟ فأجاب المجشر بالنفي أيضاً، وعندها قال له قتيبة: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك^(٢).

وهذه المحاوراة بين قتيبة والمجشر تبرز لنا مدى حرص الأمير قتيبة على السرية التامة فيما يدبره ويخطط له، حتى يتمكن من مباغطة العدو، قبل أن يأخذ أهفته أو يجمع الجموع أو يضع كمائن وغير ذلك.

"ثم إنَّ قتيبة أقام يومه ذلك، فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال: سر في الفرسان والرماة، وقدم الأثقال إلى مرو، فوجهت الأثقال إلى مرو، ومضى عبد الرحمن يتبع الأثقال يريد مرو يومه كله، فلما أمسى كتب إليه: إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى مرو، وسر في الفرسان والرماة نحو الصغد، واكتم الأخبار، فإني - بالأثر - أتبعك"^(٣).

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ بتصرف يسير؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ بتصرف يسير. إنَّ من أهم متطلبات القتال "الكتمان"، والقاعدة الذهبية التي يتداولها العسكريون هي: أنَّ الأمة التي تكتم أسرارها الحربية هي الأمة التي يمكن أن تنتصر، والقائد الذي لا يتحلى بمزيد من الكتمان؛ يقود رجاله حتمًا إلى الهاوية، وإفشاء الأسرار الحربية خيانة بالنسبة للمدنيين والعسكريين على حدٍ سواء. د/عبد الرحمن عميرة: الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، ص٢٥٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤؛ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ د/عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٣٥٠؛ د/محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٩.

ولما وصلت الرسالة، أمر عبد الرحمن أصحاب الأثقال أن يمضوا إلى مَرَوَ، وسار حيث أمره، وخطب قتيبة الناس فقال: إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزوة فيه ممكن، وهذه الصغد شاغرة برجلها، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا، ممنوعنا ما كنا صالحنا عليه طرخون، وصنعوا به ما بلغكم^(١)، وقال الله: ﴿فَمَنْ تَكَّنْ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِئُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾^(٢)، فسيروا على بركة الله، فإني أرجو أن يكون خوارزم والصغد كالنضير وقريظة، وقال الله: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝﴾^(٣)(٤).

وهذا الكلام من الأمير قتيبة يدل على أنه كان لا يغفل مبدأ المباغته في الحرب ويعلم نتائجه وثماره، وقد تحقق له ما أراد من حصار سمرقند، ورغم ما جاءها من دعم وإمدادات عسكرية من الملوك إلا أنه تمكن - بفضل الله - من فتحها والاستيلاء عليها.

"وصل إلى الصغد، وقد سبقه إليها عبد الرحمن بن مسلم في عشرين ألفاً، وقدم عليه قتيبة في أهل خوارزم وبخارى، بعد ثلاثة أو أربعة من نزول عبد الرحمن بهم، فقال: إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ۝﴾^(٥)

(١) أي عزلهم له وتولية ابن أخيه، مما كان سبباً في انتحاره كما سبق ص ٢٨، ٢٩ من هذا الفصل.

(٢) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢١.

(٤) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٧٤ بتصرف يسير؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣

ص ٦٣؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ١٩٦.

(٥) سورة الصفات، آية: ١٧٧، ولقد ذلك الأمير قتيبة تيمناً بقول رسول الله ﷺ حينما حاصر

فحاصرهم شهراً^(١)، حدثت خلاله مجموعة من المعارك والاشتباكات في جهة واحدة^(٢).

اشتد الحصار على أهل الصغد، فخافوا طول الحصار، فكتب (غوزك) ملك الصغد رسائل إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان الترك جاء فيها: إنَّ العرب إن ظفروا بنا عادوا فأغاروا عليكم بمثل ما أتونا به، وأصبحتم أضعف وأذل، فانظروا لأنفسكم، ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها^(٣).

"واستجاب الملوك لدعوة غوزك ملك الصغد، وطلبوا إليه مقاومة العرب وخذاعهم حتى يباغثوهم"^(٤). واجتمع هؤلاء الملوك، فقالوا: إنما نؤتى من سَفَلَتِنَا وإِنهم لا يجدون كوجدنا، ونحن - معاشر الملوك - المعنيون بهذا الأمر، فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم، فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة - مباغته - فإنه مشغول بحصار الصغد^(٥).

يهود خيبر.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٤، ١٥ بتصرف يسير؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢١٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٣٥٠.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥ بتصرف يسير؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٣.

(٣) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٥٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤ بتصرف يسير؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص٢٢٥.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٤.

(٥) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات

"وانتخبوا فرساناً من أبناء المرازبة، والأساورة الأشداء الأبطال" (١)، وولوا عليهم ابناً لخاقان ملك الترك، وأمر وهم أن يباغثوا (٢) قتيبة بهجوم ليلي (٣).

وجاءت عيون المسلمين، فأخبروا قتيبة بذلك (٤)، فانتخب قتيبة ثلاثمائة أو ستمائة، من أهل النجدة والبأس، واستعمل عليهم صالح بن مسلم، (٥) فصيرهم

-
- الإسلامية، ج١، ص١٩٧؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٩؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص١٠٥؛ مجلة صوت الأزهر، ص١٠.
- (١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢ بتصرف يسير؛ وينظر: د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٣٥١؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٧.
- (٢) جاء في لسان العرب: باغثته مُباغثةً وبغاثاً فاجأه، وقوله عز وجل "فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً" أي فجأة، والمُباغِثَةُ المُفاجأة. ابن منظور: لسان العرب، ج٢ ص١٠.
- (٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٤.
- (٤) فلقد كان يقظاً متذكراً نصيحة الحجاج حين أرسل إليه "... وإياك والتحويط..."، لذلك كان بائناً عيونه في كل مكان، فأخبروه بالأمر، وفي ذلك دليل على أن قتيبة قد أعد شبكة استخبارات واسعة وعلى درجة عالية من الكفاءة، مما جعله يتمكن بسهولة من القضاء على هذه المجموعة من الفرسان، حيث حول الأمر فباغثهم قبل أن يباغثوه فكان النصر في ركابه.
- (٥) وذكر أنه خطبهم قبل انصرافهم قائلاً لهم: "إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم، وتأييده إياكم في مزاحفتكم ومكاثرتمكم، كل ذلك يفلجكم (لينصركم) الله عليهم، فأجمعوا على أن يحتالوا عزتكم وبياتكم، (ليباغثوكم بهجوم ليلي)، واختاروا دهاقينهم وملوكهم، وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم، وقد فضلكم الله بدينه، فأبلوا الله بلاء حسناً، تستوجون به الثواب، مع الذب عن أحسابكم" الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٧ بتصرف يسير؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٤؛ وينظر: د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٨.

في الطريق الذي يخاف أن يُؤتى منه^(١)، وبعث صالح عيوناً يأتونه بخبر القوم، ونزل على فرسخين من عسكر القوم، فرجعت إليه عيونته، فأخبروه أنهم يصلون إليه من ليلتهم، ففرق صالح خيله ثلاث فرق، فجعل كميناً عن يمينه، وكميناً عن يساره، وأقام مع مجموعة من الفرسان على قارعة الطريق، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه، جاء المشركون باجتماع وإسراعٍ وصمتٍ، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون العسكر، ولم يعلموا بمكان صالح حتى اصطدموا به^(٢).

وهنا شدوا عليه "حتى إذا اختلفت الرماح بينهم، خرج الكمينان، فاقتلوا قتالاً شديداً، حتى قال أحد الذين اشتركوا في قوة الكمين: حصرناهم فما رأيت قط قوماً كانوا أشدَّ قتالاً من أبناء أولئك الملوك ولا أصبر فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا نفر يسير، وحوينا سلاحهم، واحتزنا رؤوسهم، وأسرنا منهم أسرى، فسألناهم عمن قتلنا، فقالوا: ما قتلتم إلا ابن ملك، أو عظيمًا من العظماء، أو بطلاً من الأبطال، ولقد قتلتم رجالاً إن كان الرجل ليعدل بمائة رجل"^(٣).

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج١ ص١٠٠؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٧.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥ بتصرف يسير؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص١٠٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٥٨؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج١ ص١٠٠.

وقال مقاتل آخر "إنا لنختلف عليهم بالظعن والضرب، إذ تبينت تحت الليل قتيبة، وقد ضربت ضربة أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة، فقلت: كيف ترى بأبي أنت وأمي! قال: اسكت دق الله فاك" (١)، "قال فقاتلناهم، وأقمنا نجمع الأسلاب ونحتز الرؤوس حتى أصبحنا، ثم أقبلنا على العسكر، فلم أر جماعة قط جاؤوا بمثل ما جئنا به، ما منا رجل إلا معلقاً رأساً، معروفاً باسمه، وأسير في وثاقه، وسلبنا من جيد السلاح، وكريم المتاع، ومناطق الذهب، ودوابٍ فرهية" (٢)، فنقلنا قتيبة ذلك كله، فقال: جزاكم الله عن الدين والأعراض خيراً" (٣)، وأكرمني من غير أن يكون باح لي بشيء، وقرن بي في الصلة والإكرام حيان العدوي، وحلياً الشيباني، فظننت أنه رأى منهما مثل الذي رأى مني (٤).

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٤، ٥٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٧ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٣٣٩، وقرة الشيء بالضم يُقره فراهةً وفراهيّة، ويُقال برذونٌ فارهٌ وحمارٌ فارهٌ إذا كانا سيورين، ولا يقال للفرس إلا جوادٌ، ويقال له رائع، ودابةٌ فارهةٌ أي نشيطة حادة قويّة. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣ ص٥٢١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٧ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٥.

(٤) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٥؛ ولقد كان هذا التصرف من الأمير قتيبة كاف حتى يشعر جميع المقاتلين بأنه معهم باستمرار وأنه يتابع أعمالهم جميعاً، ويعرف المقاتل القوي ويميزه عن سواه فيندفع الجميع للتجاوب مع شجاعة قائدهم في مواجهة مواقف الخطر، وتتحول قوة المسلمين بكاملها إلى كتلة من الشجاعة التي تجابه الأخطار وتتحداها. ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص١٢٤ بتصرف يسير.

وكسر ذلك أهل الصغد، فطلبوا الصلح، وعرضوا الفدية، فأبى قتيبة، وقال:
"أنا ناثر بدم طرخون، كان مولاي، وكان من أهل ذمتي" (١).

فقد سبق أن طرخون قد صالح قتيبة ودفع الجزية فلم يقبل ذلك قومه
ف عزلوه، وولوا ابن أخيه مكانه مما كان سبباً في انتحاره، فغضب من ذلك قتيبة
فلم يرض منهم بالصلح وقال "أنا ناثر بدم طرخون"؛ وهذا الموقف من الأمير
قتيبة يبين لنا شدة اهتمامه وحمايته وخوفه على حلفائه، وهو في ذلك مقتدياً
برسول الله ﷺ، فحين قامت قريش بمساعدة حلفائها من قبيلة بكر في الاعتداء
على قبيلة خزاعة حلفاء النبي ﷺ هبَّ رسول الله ﷺ لنصرة خزاعة، ودخل مكة
محطماً أصنامها أمام صنائد الكفر والطغيان، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَمْرِهِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

استمرت الحرب وأخلص أهل بخارى وأهل خوارزم القتال إلى جانب
قتيبة، "فأرسل إليه غوزك ملك الصغد يقول له: إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي
من العجم (٣)، فأخرج إلي العرب فغضب قتيبة، وأمر بعرض الناس وتمييز أهل

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٨؛ يعقوبي: تاريخ يعقوبي، ج٢ ص٢٨٧
بتصرف؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٦؛ وينظر: د/ محمد عبد السميع جاد،
د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة،
ص٢٠٠؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص٢٧.

(٢) سورة يوسف، آية: ٢١.

(٣) فلقد كان قتيبة يفرض على الأقاليم المحالفة للمسلمين أو المعاهدة لهم بتجنيد عدد منهم في
الجيش معه، وذلك كإجراء تكميلي لتطوير أسلوب الجهاد وإشراك أكبر قوة ممكنة تحت راية
العرب المسلمين، وهذا هو الذي دفع غوزكاً على إرسال هذه الرسالة إلى قتيبة.

البأس" (١)، ثم جلس يعرضهم بنفسه، ودعا العرفاء، فجعل يدعو برجل رجل فيقول ما عندك؟ فيقول العريف شجاع، ويقول ما هذا؟ فيقول مختصر، ويقول ما هذا فيقول جبان (٢)، فسمى قتيبة الجبناء الأنتان، وأخذ خيلهم وجيد سلاحهم، فأعطاه الشجعان والمختصرين، وترك لهم رث السلاح، ثم زحف بهم، فقاتلهم بهم فرساناً ورجالاً (٣).

واستمر الصراع بين الفرسان في حين برز قتيبة بسريره وقعد عليه ليتابع المعركة، وحمل الصغد على المسلمين حملة حطموهم حتى جاوزوا عسكرهم، وقتيبة محتب بسيفه ما حل حبوته، وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب، فهزموهم حتى ردهم إلى عسكرهم (٤)، "وقتل من المشركين عدد كبير، ودخلوا مدينة سمرقند وتحصنوا بها" (٥).

وإنَّ الإنسان ليعجب من شجاعة قتيبة المنقطعة النظير، فرغم خطورة الموقف وتدمير الأعداء لقوة القلب في بداية المعركة إلا أن قتيبة (ما حل حبوة

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ بتصرف يسير؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٥٦.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٥٦.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٥٦.

(٤) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٥٦؛ وينظر: د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ٢٠٠.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٥٦.

سيفه) بل بقى رابط الجأش هادئاً يتابع المعركة ليستفيد من أخطاء العدو، حتى كان النصر في ركابه؛ وهذا ما يطلب من القادة في مثل هذه المواقف الحرجة لاتخاذ القرارات الصحيحة في الوقت المناسب.

"رمى قتيبة المدينة بالمجانيق، فثلم فيها ثلثة^(١) فسدوها بغرائز الدخن^(٢)، وأطال قتيبة المقام، واستمر في رمى سمرقند بالمجانيق، فثلم فيها ثلثة أخرى وقال قتيبة: ألحوا عليها حتى تعبروا الثلثة، فقاتلوهم حتى صاروا على ثلثة المدينة، ورماهم الصغد بالنشاب، فوضعوا ترستهم، فكان الرجل يضع ترسه على عينه ثم يحمل حتى صاروا على الثلثة، فقالوا له: انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غداً"^(٣).

وهنا أجاب الأمير قتيبة بقوله: لا نصالحهم إلا ورجالنا على الثلثة، ومجانيقنا تخطر على رؤوسهم ومدينتهم^(٤).

وجاء رجل حتى قام على الثلثة، فشم قتيبة بالعربية الفصحى^(٥)، "وأسرع

(١) ثَلَّمَ الإِنَاءَ وَالسَّيْفَ وَنَحْوَهُ كَضَرَبَ وَفَرِحَ، وَثَلَّمَهُ فَانْتَلَمَ وَتَثَلَّمَ: كَسَرَ حَرْفَهُ فَانكَسَرَ، وَالثُّلْمَةُ بِالضَّمِّ: فُرْجَةُ الْمَكْسُورِ وَالْمَهْدُومِ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٤٠٢.
(٢) الدُّخْنُ: بِالضَّمِّ حَبُّ الْجَاوِزْسِ أَوْ حَبُّ أَصْعَرٍ مِنْهُ أَمْلَسُ جِدًّا بَارِدٌ يَابِسٌ حَابِسٌ لِلطَّبْعِ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٥٤١؛ وينظر: الفيومي: المصباح المنير، ص ١٩١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ١٥، ١٦ بتصرف يسير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٩٢؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج ١ ص ١٠٠؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٣؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٤) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٧٥.

(٥) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ١٥، ١٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية،

المسلمون نحو الرجل وهو ملح بالشم في حين كان قتيبة محتب بشملة وهو يردد كالمناجى لنفسه: حتى متى يا سمرقند يعيش فيك الشيطان، أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية"^(١). وصلت هذه الكلمات إلى مسامع أحد القادة فانصرف إلى أصحابه فقال لهم: كم من نفس أبية ستموت غدًا منا ومنهم^(٢).

"وكان مع قتيبة قوم رماة، فقال لهم قتيبة: اختاروا منكم رجلين، فاختروا، فقال: أيكما يرمي هذا الرجل، فإن أصابه فله عشرة آلاف، وإن أخطأه قطعت يده، فتلكاً أحدهما، وتقدم الآخر فرماه، فلم يخطئ عينه^(٣)، فأمر له بعشرة آلاف"^(٤).

وأرى^(٥) أن الأمير قتيبة لم يكن مخطئاً في هذا القرار حينما أمر بقتل هذا

ج٩ ص٩٢؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٧.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥، ١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٥؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٣٥١.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٥؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٧.

(٣) وقال هذا الرامي وهو (خالد بن باب مولى مسلم بن عمرو) "كنت في رماة قتيبة، فلما افتتحنا المدينة صعدت السور، فأتيت مقام ذلك الرجل الذي كان فيه، فوجدته ميتاً على الحائط، ما أخطأت النشابة عينه حتى خرجت من قفاه". الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٦؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٧.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٥، ١٦؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٦، ٥٧؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٢.

(٥) وقد يرى أستاذيَّ الكريمين الجليلين - الأستاذ الدكتور / أحمد شحاته، والدكتور / أحمد

الرجل الذي ألح بالشتم، ولا مجال هنا لأن يوصفه الأعداء بأنه سفاك للدماء وأن دين الإسلام دين عنف وإرهاب وقتل، فإن قيل لماذا؟ قلت: لأن الوقت لم يكن وقت سلم بل كان وقت حرب، فجيوش المسلمين تحاصر المدينة التي نقضت العهد، وقد استمات أهلها في الدفاع عنها، كما أن الشاتم حتماً من المحاربين المعاندين؛ حيث لا يجروء أحد من الأهالي المسالمين أن يصعد فوق السور والنبال تهطل كالمطر من كل جانب؛ كما أن الأمير قتيبة التي وجهت إليه هذه الشتائم هو القائد، إذا شتمه يعتبر شتم للمسلمين جميعاً؛ ولذا لم يحتمل قتيبة هذا الأمر واعتبر أن الشاتم ناطقاً بلسان المشركين جميعاً، فأمر بقتله وحث الجيش على الجد في القتال لفتح المدينة وإزالة مظاهر الشرك عنها.

"وحمل المسلمون بقوة، فدخلوا مدينة سمرقند^(١)، فصالحهم أهلها^(٢)،

محمد عبد القادر - أن رأي هذا مخالف لما يروونه، إلا أنه اجتهد مني قد أخطئ فيه وقد أصيب، وقد تعلمت منهما حرية الرأي المنضبط والمعتبر، هذا فضلاً عما أكنه لهما من توير وحب واحترام.

(١) وروى اليعقوبي "أن قتيبة أحب الصلح، فراسل غوزك يدعوهُ إلى ذلك، فقال لأهل سمرقند: علام نصلحهم وبلدنا لا يدخله إلا رجلان، أما أحدهما: فقيل، وأما الآخر: فاسمه أكاف، فكبر قتيبة وكبر المسلمون، وقالوا أميرنا اسمه قتب البعير فأذعنوا بالصلح على أن يدخل فيصلبي ركعتين. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢١٠.

(٢) ويقول الباهليون: سار قتيبة فجعل النهر يمينه، حتى ورد بخارى، فاستنزههم معه، وسار حتى إذا كان بمدينة أربنجن - وهي التي تجلب منها اللبود الأربنجية (نوع من اللباس) - لقيهم غوزك صاحب الصغد في جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة، فكانت بينهم وقائع من غير مزاحفة، كل ذلك يظهر المسلمون ويتحاجزون حتى قربوا من مدينة سمرقند، فتراحفوا يومئذ، فحمل الصغد على المسلمين حملة حطموهم، حتى جازوا عسكرهم، ثم كر المسلمون عليهم حتى ردوهم إلى عسكرهم، وقتل الله من المشركين عدداً كثيراً، ودخلوا

على ألفي ألف ومائتي ألف درهم في كل عام^(١)، واشترط قتيبة - بعض الشروط المهمة المتعلقة باستقرار الإسلام في تلك البلد - أن يسلمه أهل سمرقند ثلاثين ألف (كرهينة في قبضته) ليس فيهم صبي ولا شيخ ولا عيب، كما اشترط إخلاء المدينة من كل مقاتل، وأن يبنى له فيها مسجد فيدخل ويصلي، ويوضع له فيها منبر، فيخطب ويتغدى ويخرج^(٢).

ونفذ أهل سمرقند شروط قتيبة، فقال قتيبة: الآن ذلوا حين صار إخوانهم وأولادهم في أيديكم ودخل قتيبة سمرقند في أربعة آلاف انتخبهم، فلما دخلها أتى المسجد فصلى وخطب، ثم تغدى^(٣)، "وأرسل إلى أهل الصغد: من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه، فإني لست خارجاً منها، وإنما صنعت هذا لكم،

مدينة سمرقند، فصالحوهم. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ١٨.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ١٦ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٩٢؛ الذهبي: دول الإسلام، ص ٦٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص ٢٨٧ بتصرف؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج١ ص ١٠٠؛ الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص ١٣٧٠، وقيل: إن قتيبة صالحهم على سبعمائة ألف درهم، وضيافة المسلمين ثلاثة أيام، وكان في صلحه بيوت الأصنام والنيران. البلاذري: فتوح البلدان، ج١ ص ٤١١، ويذكر اليعقوبي: أنه صالحهم على ثلاثة آلاف درهم يؤديها غوزك إلى رأس كل سنة، وجعل له عهد الله وذمته وذمة الأمير الحجاج بن يوسف، وأشهد له شهوداً. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص ٢١٠.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٧٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٨؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٥١.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ١٦ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٩٢؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٨؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص ٢٢٥.

ولست آخذ منكم أكثر مما صالحتكم عليه، غير أن الجند يقيمون فيها" (١).
 وبعد ذلك جمع قتيبة (٢) ما تحتويه بيوت النيران وحلية الأصنام، فكانت
 كالقصر العظيم حين جمعت، فأمر بتحريقها (٣)، "فقال الأعاجم: إن فيها
 أصناماً من حرقها هلك، فقال قتيبة أنا أحرقها بيدي فجاء (غوزك)، فجثا بين
 يديه، وقال: أيها الأمير إن شكرك علي واجب لا تعرض لهذه الأصنام، ولكنه
 لم يبال ودعا بالنار، فأخذ شعلة بيده، وخرج فكبر، ثم أشعلها بيده، فأسلم منهم
 خلق كثير، وأشعل الناس فاضطربت، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير
 الذهب، والفضة خمسين ألف مثقال (٤)، وتلا قتيبة ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ ﴾

- (١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٧٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٣؛ د/ محمد عبد
 السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد
 عصر النبوة، ص ٢٠٠؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٥٨.
- (٢) وحدث من شهد قتيبة وفتح سمرقند، أو بعض كور خراسان، أنهم استخرجوا منها قدوراً
 عظيماً من نحاس، فقال قتيبة لحضين: يا أبا ساسان، أترى رقاش كان لها مثل هذه القدور،
 قال: لا، لكن كان لعليلان قدر مثل هذه القدور، فضحك قتيبة وقال: أدركت بثأرك. الطبري:
 تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ١٦.
- (٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ١٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ،
 ج٤ ص ٢٧٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،
 ج٣ ص ٢٤٨ بتصرف يسير؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج١ ص ١٠٠؛ د/ إبراهيم
 أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج١ ص ١٦٠؛ د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ
 الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٢.
- (٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٧٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،
 ج٣ ص ٢٤٨ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٣؛ العكري الدمشقي:
 شذرات الذهب، ج١ ص ١٠٠؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في
 العصر الأموي، ص ٣٥١؛ د/ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،

وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾ (١)، (٢).

وهكذا فقد فتح الله على المسلمين تلك المدينة المنيعة الحصينة التي نقضت العهد وشقت عصا الطاعة، وقد حقق الله رجاء الأمير قتيبة حينما قال: فيأني أرجو أن يكون خوارزم والصغد كالنضير وقريظة.

وإن تلك الغزوة المباركة لتبرز لنا عدة أمور جلية من أهمها:

- مدى ثقة الأمير قتيبة بربه عز وجل ومدى فطنته وشجاعته.
- مدى صبر وثبات الجنود المسلمين في تلك المعركة الرهيبة، ولا عجب فهم يستمدون طاقتهم من عقيدتهم الدينية وإيمانهم العميق بالله تعالى، كما يرجون إحدى الحسنين (النصر أو الشهادة).
- كما تبرز لنا -أيضاً- مدى الحرص الشديد من الأمير قتيبة على نشر الإسلام في تلك المدينة، فليس المراد من الغزو فتح الحصون واستباحة الأموال فقط، وإنما هناك هدف أسمى من ذلك وهو إنقاذ هؤلاء من خطر الشرك والضلال إلى نور التوحيد والهدى والإيمان؛ نلاحظ ذلك من خلال

ص ١٣٧؛ د/ فليب حتي، د/ ادوارد جرحي، د/ جبرائيل جبور: تاريخ العرب، ص ٢٧٠، ٢٧١، والمثقال يساوي درهماً ودانقين ونصف، والدانق يساوي سدس درهم. ينظر: د/ على جمعة: المكايل والموازن الشرعية، ص ١٨؛ د/ محمد حسن العمادى: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٥٤.

(١) سورة النجم، آية: ٥٠، ٥١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٧٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٩٣؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٥٨.

البنود التي وضعها قتيبة قبل فتح المدينة ومنها بناء مسجد قبل دخولها، وهذا أمر غير مسبوق إليه، حيث كانت العادة - من قبل - بناء المساجد عقب الفتح للبلاد، وهذا ما سوف نراه بشيء من التفصيل في الفصل الرابع إن شاء الله.

تعليل وتحليل:

قد يبدو مما سبق أن الأمير قتيبة قد غدر بأهل سمرقند؛ حيث أن الجنود لم تخرج منها حسب الشروط المتفق عليها، وقد تحدث بذلك بعض الناس في وقتها.

فيروى الطبري "عن عمر بن عبد الله التميمي قال: حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند، قال: قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام فقدمتها، فدخلت مسجدها، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنبي رجل ضير، فسألته عن شيء من أمر الشام، فقال: إنك لغريب؟ قلت: أجل، قال: من أي بلد أنت؟ قلت: من خراسان، قال: ما أقدمك؟ فأخبرته، فقال: والذي بعث محمداً بالحق ما افتتحتموها إلا غدرًا، وإنكم يا أهل خراسان للذين تسلبون بني أمية ملكهم، وتنقضون دمشق حجرًا حجرًا^(١)؛ وقال محمد بن أبي عيينة لسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن علي: إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر، إنه غدر بخوارزم وسمرقند"^(٢).

وفي رأي أن هذا ليس غدرًا منه؛ لأن بقاء الجند في المدينة أمرٌ تبرره الظروف

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٧.

والملايسات، وحتى لو سلمنا أن ذلك كان غدرًا فإن الحجة أنه غدر بغدر، فقد نقضوا العهد ومنعوا قتيبة ما كان قد صالح طرخون عليه - كما سبق - ثم عزلوه عن الملك، ولقد كان عادة أهل هذه البلاد نقض العهود.

"ولقد كانوا يدعون أنهم مسلمون، ثم لم يلبثوا أن يشقوا عصا الطاعة على الخليفة عندما تنسحب جيوشه من البلاد"^(١).

فتقول بعض المصادر - كما سبق أن مر بنا - أن الأمير قتيبة حاول فتح بخارى ثلاث مرات، وفي كل مرة كان أهلها يعلنون إسلامهم ثم يرتدون؛ ولم يتم توطيد الإسلام فيها وترسيخه في النفوس إلا بعد غزوها للمرة الرابعة وبناء المسجد فيها؛ فقد كانوا يدينون بعبادة الأصنام؛ ومن ثم كانوا ينتهزون فرصة إخلاء المدينة من الجند المسلمين ويعودون إلى شعائرهم ودياناتهم المجوسية

(١) ينظر: توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٤٣؛ ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٧؛ د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ١٩٩؛ ولنضرب مثلاً على ذلك فما هو وردن خداه - ملك بخارى - استنجد بملك الصغد ضد قتيبة في سنة تسعين فلبى طرخون الطلب. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٤٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٨٣؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١ ص ٨٢، وطبيعي أن انضمامه إلى عدو قتيبة يعد نقضاً للصلح، ولما انهزم ملك بخارى بادر طرخون إلى طلب الصلح من قتيبة، فأجابه قتيبة إلى الصلح، ولم يعاقبه بغزو بلاده؛ بل كان مسلماً حقاً، ولم يرض ذلك الصلح أهل الصغد الذي عقده ملكهم ونددوا عليه في قبول الجزية وحسوه وولوا غوزك مكانه، وهم بذلك قد نقضوا مرتين؛ بانضمامهم إلى عدو قتيبة أولاً، وعدم رضاهم بالمعاهدة التي عقدها ملكهم ثانياً. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ٧٤٥ بتصرف كبير؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٨٣؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦١؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٣٠، ٣٤٢.

ويرتدون عن الإسلام.

"ورداً على هذه الأفعال أمر قتيبة بأن يتنازل السكان الأصليين عن نصف منازلهم للعرب، وقيموا معهم في نفس السكن، وبهذا الأمر يستطيع مراقبتهم ظاهراً وباطناً"^(١)؛ مما اضطر الشعب إلى الالتزام بالإسلام طواعية أو كرهاً، وعدم التآلب على المسلمين مرة أخرى.

"ثم إنَّ الأمير قتيبة قد تصالح معهم على أن يبني مسجداً ويُصلِّي فيه، والمسجد بيت العبادة للمسلمين، فمن يعمره إذا خرج قتيبة وأصحابه؟ ومن يدعوا أهلها إلى الإسلام وهو الغاية الأولى من الفتح؟، إذاً فمقتضى الصلح إقامة نفر في البلد لذلك وإن كان ضمناً"^(٢).

كما أن الأمير قتيبة لم يلزم أحداً بالخروج بل ترك ذلك لهم فمن أحب أن يساكن الجند فلا بأس عليه ومن لا فلا حرج عليه أيضاً، وإنه ملتزم بشروطه معهم فليس آخذاً إلا ما صالحهم عليه، كما أنه كان يتمنى إسلامهم ونلاحظ ذلك من خلال قوله: حتى متى يا سمرقند يعيش فيك الشيطان.

ولقد قصَّد الشعراء القصائد في فتح سمرقند، ومدح فعل قتيبة - دون نكير عليه - مثل الشاعر نهار بن توسعة وغيره. ومع كل هذا رأينا أنه "لما استخلف عمر بن عبد العزيز، وفد عليه قوم من أهل سمرقند، فرفعوا إليه أن قتيبة دخل

(١) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٧؛ د/ هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٣١.

(٢) ينظر: د/ محمد عبد السمیع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ٢٠١ بتصرف يسير.

مدينتهم، وأسكنها المسلمين على غدر - في رأيهم - فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً، ينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا، فنصب لهم (جميع بن حاضر الباجي) فحكم بإخراج المسلمين على أن ينادوهم على سواء، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب، وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم" (١).

فرى من خلال هذا الموقف "أن عمر العادل الفقيه أراد أن يمسح أيّ شبهة تعلق بفتوحات المسلمين، وعرف أن الإسلام قد أقيمت شعائره وشرائعه بين هؤلاء القوم، وأن هذا الإنصاف يملؤهم حياء وعزة نفس ورضا بالإسلام وأهله؛ وهذا كثير في تاريخ الإسلام كرد المسلمين الجزية لأهل حمص، وحكم شريح بالدرع لليهودي لما لم يأت أمير المؤمنين علي بيينة تثبت ملكيته له، فلما رأى اليهودي عدل القاضي أقر بالدرع لعلي، وأقر بالشهادتين وأسلم لله رب العالمين" (٢).

ومما سبق يتبين لنا أنّ الأمير قتيبة قد فعل ما اضطرت له الظروف والملابسات إليه، وما رآه أصلح لجيشه ولأهل هذه البلاد ولدعوة الإسلام؛ الأمر الذي يجعلنا لا نستطيع أن نحكم عليه بالغدر، والله أعلم.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٨، ٤٥٩؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٤١١؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٧٨ حاشية رقم ١.
(٢) ينظر: د/ محمد عبد السمیع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ٢٠١ بتصرف يسير.

عودة إلى حركة فتوح قتيبة:

ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو ليستريح استعداداً للجولة الأخيرة التي سيفتح فيها المناطق السيحونية، "واستخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم^(١)، وخلف عنده جنداً كثيفاً، وآلة من آلة الحرب كثيرة، وقال لا تدعن مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله، وإن وجدت معه حديدةً أو سكيناً فما سواه فاقتله، وإن أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله"^(٢).

وهذه الإجراءات السابقة قد يبدو من خلالها بعض الشدة والقسوة من الأمير قتيبة، إلا أنه ما فعل ذلك إلا من أجل حماية المسلمين واستقرار الإسلام

(١) ويذكر اليعقوبي: أن أهل سمرقند غدروا بعبد الله بن مسلم، وأتاه خاقان ملك الترك، وكتب إلى قتيبة، فتوقف قتيبة حتى انحسر الشتاء، ثم سار إليه فهزم عسكر الترك، واستقامت له خراسان. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢١٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٣؛ وينظر: الشيخ / محمد الخضري: الدولة الأموية، ج١، ص٤٩٨؛ الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص١٣٧٠، ولما فتح قتيبة سمرقند، دعا قتيبة نهار بن توسعه فقال: يا نهار أين قولك:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب
أقاما بمرو الروذ رهن ضريحه وقد غيبا عن كل شرق ومغرب
أفغزو هذا يا نهار؟ قال: لا، هذا أحسن، إن الذي أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحرب، وأنا الذي أقول:

وما كان مذكنا ولا كان قبلنا ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
أعم لأهل الترك قتلا بسيفه وأكثر فينا مقسما بعد مقسم
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٩؛ وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٩٣؛
الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤ ص١٤٦؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥٩.

"وكان قتيبة حينما غزا بخارى قد عين إياس بن عبد الله بن عمرو لقيادة القوات المحاربة في خوارزم وكان ضعيفاً، كما عين على خراجها عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني تميم، فاستضعف أهل خوارزم إياساً، وجمعوا له، فكتب عبيد الله إلى قتيبة يستنجده، فبعث قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً، وقال اضرب إياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة واحلقهما، وضم إليك عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني مسلم، واسمع منه، فإن له وفاء"^(١) فمضى حتى إذا كان من خوارزم على مسافة قريبة، أرسل إلى إياس من ينذره للتنحي عن السلطة، وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقة^(٢). "ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم، فحاربهم وانتصر عليهم فعدوا معه صلحاً، وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور"^(٣).

وهكذا نرى مدى شدة الأمير قتيبة على قواده وعماله ومحاسبته لهم بل ومعاقتهم أحياناً خاصة إذا بدر من أحدهم ما يستدعي ذلك، وما فعله مع إياس بن عبد الله ليس ظلماً ولا بطشاً منه وإنما لما علم من ضعفه ولينه مما جرأ أهل

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٩، ٢٠؛ وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣، ٦٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٧.

(٢) وينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٧؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٦٠.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٧٧؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٣.

البلاد عليه، والأمر لا يحتمل أي خطأ أو تقصير مثل هذا، فقد نزل المسلمون بلاد مترامية والأعداء يحوطون من كل جانب ينتظرون أدنى فرصة للانقضاض على المسلمين.





المبحث السادس

فتح الشاش وفرغانة وكاشغر

□ أولاً: غزو الشاش وفرغانة سنة (٩٤، ٩٥هـ) (١):

(١) والشاش: مملكة وراء نهر سيحون إلى الشمال من أشروسنة. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٠٨. وليس فيما وراء النهر إقليم على هيئتها، وهى في أرض مستوية سهلة، ذات بساتين ومنتزهات كثيرة، وهى من تغور بحر الترك ولأهلها شوكة ومنعة. المقرئزي: جني الأزهار من الروض المعطار، ١٤٥، وكانت الشاش (طشقند حالياً) أكبر ثغر في وجه الترك، وكانت عامة دورهم يرى فيها الماء. ينسب إليها القفال الشاشي، كان عالماً فقيهاً ذا تصانيف كثيرة. القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٨؛ وينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٢٨، حاشية رقم ٢. وفرغانة: مملكة واسعة وراء نهر سيحون. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٤٥٣؛ وهى عبارة عن وادي تحيط به الجبال العالية من جهات ثلاث، وتقع في هذه الناحية مدينتا سمرقند وخجند، ولا يستطيع العدو أن يأتي إليها في الشتاء من أي مكان قط غير هذه الجبهة الغربية، ويمر من وسطها نهر سيرداريا (سيحون). ينظر: ظهير الدين محمد بابر شاه: تاريخ بابر شاه المعروف ببرنامج، ص ٥٨، ٧١، ٧٢، حاشية رقم ١؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢، ص ٢١٣، ٢١٤، وتقع فرغانة اليوم في جمهورية أوزبكستان، وفيها العديد من الآثار والمساجد الإسلامية؛ وهى مدينة قديمة تاريخية ذات مجد عريق؛ يقول عنه الاصطخرى "وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة، وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم". الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٨٦ حاشية رقم ١، أقول: وما هي فرغانة لا يجد أهلها قوتهم بعد الاحتلال الروسي البغيض.. وأين هي مدنها وقراها الكثيرة التي كان يذكر منها أربعون ذات مسجد جامع ومنبر؛ وإلى فرغانة نسب جماعة من أهل العلم، منهم: أبو العباس أحمد الفرغانى، عالم الفلك المشهور؛ الذى عاش زمن المأمون، له كتاب (جوامع النجوم

انطلق قتيبة لمتابعة فتوحاته في بداية فصل الربيع كعادته، (عام ٩٤هـ)، ولما أن عبر نهر سيحون^(١) فرض على أهل بخارى وكس ونسف وحوارزم عشرين ألف مقاتل، فساروا معه إلى الصغد ودفعهم إلى الشاش، وتوجه هو إلى فرغانة^(٢)، وسار حتى أتى خجندة، ودارت معارك مستمرة، كانت قوات المسلمين تخرج كل يوم منها بانتصارات جزئية دون الوصول إلى نصر حاسم^(٣)، وفرغ الناس من قتالهم ذات يوم، فركبوا خيولهم، وانتشروا في كل مكان، فوصل منهم رجل إلى موقع مرتفع يشرف على السهل، ونظر فيما حوله فقال لصاحب له: تالله ما رأيت كالיום غرة، لو كان هيح (قتال) اليوم ونحن على

والحركات السماوية)، وإليها ينسب - أيضاً - حاجب بن مالك بن أركين، أبو العباس التركي الفرغاني المحدث والفقير، مات بدمشق سنة (٣٠٦هـ). ينظر: د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٤١٦؛ الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٨٦ حاشية رقم ١، ١٨٧؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٢٨، حاشية رقم ١؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٢٠؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١ ص ٣٧٣.

(١) وكان عبور هذا النهر يعنى اتصال المسلمين لأول مرة بعنصر جديد، وهو العنصر المغولي، الذى صار يكون مع الأتراك عنصراً هاماً من عناصر تكوين مجتمعات الجناح الأيمن للإسلام، ولقد صارت الدولة العربية - بعد فتح الشاش وكاشغر - تجاور حدود إمبراطورية الصين، وتطل على مركز آخر من مراكز الحضارة العربية القديمة. ينظر: د/ إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج ١ ص ١٦٠؛ المجتمعات الإسلامية، ص ٣٧.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٤ ص ٢٨١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٢٧؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج ١ ص ١٠٢.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٢١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ١٩٧؛ د/ حسين عطوان: الشعر فى خراسان، ص ٢٧، ٢٨.

ما أرى من الانتشار؛ لكانت الفضيحة (١) "فقال له صاحبه: كلا، نحن كما قال عوف بن الجزع:

نؤم البلاد لحب اللقا ولا نتقي طائراً حيث طار
سنيحاً ولا جاريماً بارحاً على كل حال نلاقي اليساراً (٢)

قال ثم أتى قتيبة كاشان (٣)، وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش، وكانوا قد فتحوها، ودارت معركة حامية الوطيس كان النصر فيها للمسلمين، وانصرف قتيبة إلى مرو (٤)، وبذلك أصبحت بلاد فرغانة في قبضة المسلمين.

كان والى العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، يتابع عمليات قاداته في أقصى الشرق، حيث كان محمد بن القاسم الثقفي قد فتح السند (باكستان) وأخذ في

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٢٢ بتصرف يسير؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٦١.

(٢) لقد كان الرد أنه لا خوف على المسلمين، مهما كان موقفهم، ومهما كان تنظيمهم، فهم في جميع الأحوال على استعداد دائم للقتال، وهم لم يقطعوا المفاوز ويخترقوا الفيافي ويحتملوا الصعاب إلا من أجل حب اللقاء ومجاهاة كل احتمال حتى لو كان طائراً جارحاً يخترق حجب السماء للانقضاض على المسلمين، فهم لا تفزعهم مباغته ولا تلحق بهم مكيدة ولا ترهبهم قوة مهما بلغت من البأس، وهذا ليس معناه إهمال تدابير الحيلة والحذر، ولكن هذا من عمل القادة، والمقاتلون هنا على ثقة دائمة بقادتهم. ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٣٢، ١٣٣ بتصرف يسير.

(٣) كاشان: مدينة تابعة لفرغانة. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٢٢، ويبدو أن نتيجة المعركة لم تكن حاسمة حيث توجه قتيبة إلى كشان قبل أن يحسم أمر خجندة.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٢٢ بتصرف يسير؛ وينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١ ص ٢٢٧؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج١ ص ١٠٢؛ ا.د/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ٨٠؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١ ص ١٣٧.

فتح الهند، وقد عرف الحجاج أن قتيبة في حاجة لمزيد من الدعم حتى يستطيع متابعة فتوحاته^(١)، فأرسل الحجاج إلى محمد بن القاسم أمرًا جاء فيه: "أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة، ووجه إليهم جهم بن زحر بن قيس^(٢)، فإنه في أهل العراق خيرٌ منه في أهل الشام^(٣)^(٤)، وأصبحت فتوح قتيبة من نصيب أهل العراق، فيما بقيت فتوح السند والهند من نصيب أهل الشام^(٥)."

ومما يثير العجب تلك الروح المعنوية العالية للأمير قتيبة وجنوده المسلمين واستعدادهم الدائم للحرب والقتال ومدى إصرارهم على مواصلة الفتوح ونشر الإسلام فبرى أنهم انطلقوا في العام التالي مباشرة - بعد فتح سمرقند وبرغم ما لاقوه في فتحها من عناء كبير - ليفتحوا الشاش وفرغانة - وذلك بسبب محاولتهم مساعدة ملك الصغد من قبل وحفز همتهم لحرب العرب - فيعبر الجيش الإسلامي نهر سيحون ليكون ذلك أول اتصال إسلامي

(١) وفي هذا دليل على المقاومة الشديدة التي لقيها الأمير قتيبة في تلك الأقاليم حتى علم الحجاج أنه بحاجة إلى مزيد من القوات.

(٢) هو جهم بن زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سحنة، الجعفي، كان أبوه زحر من الفرسان، وكان مع علي فإذا نظر إليه قال: من سره أن ينظر إلى شهيد الحي فلينظر إلى هذا واستعمله علي على المدائن، وكان جهم مع قتيبة بن مسلم بخراسان، وولي جرجان. ينظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢ ص٦٣١.

(٣) وكان محمد وادًا لجهم بن زحر، فبعث سليمان بن صعصعة وجهم بن زحر، فلما ودعه جهم بكى وقال: يا جهم إنه للفراق قال لا بد منه. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٢٢.

(٤) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٢٢؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٦٢؛ د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص٢٠٢.

(٥) بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٦٢.

بالعصر المغولي، وذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل قائدهم المحنك قتيبة ومن وراءه الحجاج بن يوسف الذي لا ينقطع عن متابعة حركات قواده أولاً بأول، كما لم يخل عليهم بما يحتاجون من مال وعتاد.

قتيبة بعد موت الحجاج:

وصل جيش العراق بقيادة زَحْرَ إلى مرو في عام (٩٥هـ)، وقتيبة يستعد لهجومه السنوي، وانطلق قتيبة حتى وصل الشاش (أو بَكْشَمَاهَانَ) أتاه موت الحجاج في شوال، فَغَمَهُ ذلك^(١) وقفل راجعاً إلى مرو منتظراً ما تأتى به الأقدار^(٢).

وزع قتيبة قواته، فترك قوة في بخارى، ووجه قوة أخرى إلى كس ونسف، ثم أتى مرو فأقام بها، ومكث ينتظر تعليمات أمير المؤمنين، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى جاءه كتاب الوليد بن عبد الملك يواسي قتيبة ويشد أزره ويحضه على متابعة الجهاد؛ ويعدده على ذلك ويجزيه خيراً، وفيه: قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهادك في قتال أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعك، وصانع بك كالذي يجب لك، فالمم مغازيك، وانتظر ثواب ربك، ولا تغب عن

(١) "فإنه لا يستطيع أحد أن ينكر أثر الحجاج في التوجيه والمشورة للأمير قتيبة، فقد كانت عينه متيقظة لمطالب جنده النازح، وكان البريد يصله بأخبار الفتوح، وهو لا يفتأ يعد الذخائر، ويبعث المؤمن، ويشير بالخطط"؛ لذا لم يكن مستغرباً أن يحزن الأمير قتيبة على موته، ويغتم بذلك. فقد ذكر أنه حزن حزناً شديداً لموت الحجاج. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٢٧؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٤٤.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٨٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٩٨؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١ ص ١٣٨.

أمير المؤمنين كتبك، حتى كأني أنظر إلى بلادك والشعر الذي أنت فيه (١).

وهكذا فقد رأينا كيف كان نبأ موت الحجاج ذا وقع عظيم على نفس الأمير قتيبة، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى الصلة القوية والثقة المتبادلة بين القائدين، وكيف كان الحجاج عاملاً قوياً من عوامل نجاحه، فقد كان له بمثابة الساعد القوي والملاذ بعد الله تعالى.

بيد أن الخليفة (الوليد) قد أدرك تلك الحقيقة، فإذا به يواسيه ويرسل له رسالة كلها تشجيع وثناء وتذكية ورفع من معنوياته الجريحة، ولقد رأينا كيف أحدثت هذه الرسالة أثراً طيباً في نفس الأمير قتيبة من العزم والتصميم فأخذ يتابع فتوحاته في بلاد الترك متوجهاً بجيشه نحو الصين.

▣ ثانياً: نهاية فتوح قتيبة (فتح كاشغر^(٢) وغزو الصين، سنة ٩٦هـ):

كان الحجاج قد كتب إلى قائديه - قتيبة بن مسلم، ومحمد بن القاسم

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٢٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٢٥؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٨؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٣٥٣.

(٢) كاشغر: هي مدينة منغولية واقعة في أقصى الغرب من البلاد، قريبة من طاجيكستان إلى الغرب، وكشمير إلى الجنوب، وتقع كاشغر اليوم في تركستان الشرقية المسماة سينكاينغ تحت سيطرة الصين الشعبية، بها العديد من الآثار والمساجد الإسلامية، وأهلها مسلمون، ينسب إليها من المتأخرين: أبو المعالي طغرلشاه، الواعظ، وكان فاضلاً، ومولده سنة (٤٩٠هـ)، وتجاوز سنة (٥٥٠هـ) في عمره؛ وأبو عبد الله الأعمى الكاشغري، كان شيخاً فاضلاً واعظاً، وتوفي ببغداد سنة (٤٨٤هـ). ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٤٣٠، ٤٣١؛ د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص٢٧٧؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٢٧.

الثقفي - أيكما سبق إلى الصين فهو عامل عليها وعلى صاحبها^(١).

فلما وصل قتيبة إلى هذا الحد وجه عزمه إلى فتح مدينة كاشغر - أدنى مدائن الصين - فغادر بجيشه قاعدة عملياته في مرو، وعندما وصل إلى فرغانة، بلغه موت أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك^(٢)، وانتقال الإمارة إلى أخيه سليمان^(٣)، فتوجس قتيبة شراً؛ لوجود بغضاء بينهما، وقرر اتخاذ ما هو ضروري من تدابير؛ لتأمين عائلته؛ خوفاً من البطش بهم فنقلهم إلى سمرقند^(٤)، ووضع على نهر جيحون رجلاً من مواليه يقال له الخوارزمي، وكلفه بإقامة مركز مراقبة عند مقطع النهر، ومنع المرور إلا لمن يحمل إذناً بالعبور من قبل قتيبة، ثم إنه أرسل قوة استطلاع لتمهيد الطريق إلى كاشغر - وهي أدنى مدائن الصين - فافتتحها^(٥).

- (١) د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص ٣٤٤.
- (٢) وقد مات الحجاج وهو الساعد الأيمن لقتيبة، وتوفي بعده الوليد بن عبد الملك، وكان لا يقل تعضيداً للبطل الفاتح، فخرس بوفاتهما دعامة القوية التي كان يستند إليها في قيادته، وأصبح أمام سليمان بن عبد الملك وجهاً لوجه. د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٦٠.
- (٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣١؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٥٣؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة الأموية، ج ١، ص ٤٩٨.
- (٤) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٧؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٢٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٦٤؛ أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص ١٠٥.
- (٥) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٨٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٤؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ١٩٨؛ د/ إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج ١ ص ١٦٠.

ومضى قتيبة بعد ذلك فأوغل في تقدمه حتى قرب من الصين، فكتب إليه ملك الصين: أن ابعث إلينا رجلاً من أشرف من معكم، يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم، فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً^(١)، من أبناء القبائل، لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس، بعدما سأل عنهم، فوجدهم من أفضل الرجال الذين يمكن الاعتماد عليهم^(٢).

وكلمهم قتيبة، وفاطنهم، فرأى عقولاً وجمالاً، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد، من الخز والوشى واللين من البياض والرقيق والنعال والعطر، وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم، ودواب يركبونها^(٣)، "وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوهاً، زلق اللسان، فقال يا هبيرة كيف أنت

(١) ويذكر ابن كثير أنهم كانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة. ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٤٩، وأما ابن الأثير وابن خلدون فيقولون أنهم كانوا عشرة منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي. ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٨٩؛ وينظر: أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٩٨؛ د/ محمود زيادة: الحجاج بن يوسف، ص ٣٤٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٦٧، والراجح ما قاله الطبري أنهم كانوا اثنا عشر رجلاً، وذلك لأنه أقدم المصادر التي ذكرت هذا العدد، وأياً كان عددهم، فقد كانوا من أفضل الرجال، واتفقت المصادر على أنه كان على قيادتهم هبيرة الكلابي.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٣١؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ص ٢٢٧؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٥٣.

(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٣١، ٣٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٧؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ١٩٨، والمُطَهَّمُ من الناس والخيال الحَسَنُ التَّامُّ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ عَلَى حَدِّهِ فَهُوَ بَارِعُ الْجَمَالِ، وَالْخَيْلُ الْمُطَهَّمَةُ: فَإِنَّهَا الْمُقَرَّبَةُ الْمُكْرَمَةُ الْعَزِيزَةُ الْأَنْفُسِ. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢ ص ٣٧٢.

صانع؟ قال: أصلح الله الأمير! قد كفيت الأدب وقل ما شئت أقله، وأخذ به، قال: سيروا على بركة الله، وبالله التوفيق، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أي قد حلفت ألا أنصرف حتى أطمأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم" (١).

ولا شك أن الأمير قتيبة كان يعتني إعتناءً شديداً باختيار سفرائه ومبعوثيه، كما كان يختار إلى كل وجهة من يصلح لها ويستطيع التعامل مع أهلها، وهو في ذلك مقتدياً برسول الله ﷺ.

"انطلق الوفد بقيادة هبيرة بن المشمرج، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم، فدخلوا الحمام، ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاء تحتها الغلائل (٢)، ثم تطيبوا بالبخور والعطور، ولبسوا النعال الرقيقة، وارتدوا الأردية، ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته، فجلسوا، فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه، فنهضوا، فقال الملك لمن حضره: "كيف رأيتم هؤلاء؟ قالوا: رأينا قوماً ما هم إلا نساء" (٣).

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٨٩؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص١٩٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم، ص٦٥.

(٢) الغلائل: ويقصد بها هنا ما يلبس من ثياب تحت الثياب، وجاء في القاموس المحيط "الغلائل: الدروع أو مساميرها الجامعة بين رؤوس الحلق أو بطائن تلبس تحتها، الواحد غليلة". الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج١ ص١٣٤٣.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٨٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٤٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٧.

"فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي^(١) وعمائم الخنز^(٢) والمطارف^(٣)، وغدوا عليه، فلما دخلوا عليه، قيل لهم ارجعوا، فقال لأصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة؟ قالوا: هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى، وهم أولئك"^(٤).

فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم، فشدوا عليهم سلاحهم، ولبسوا البيض والمغافر، وتقلدوا السيوف، وأخذوا الرماح، وتنكبوا القسي، وركبوا خيولهم، وغدوا، فنظر إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما دنوا ركزوا رماحهم، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين وقد أثاروا الفرع، مما حمل الصينيين على منعهم، والطلب منهم العودة قبل الدخول إلى مجلس الملك^(٥)، "فانصرفوا، فركبوا خيولهم، واختلجوا^(٦) رماحهم، ثم دفعوا خيولهم كأنهم يطاردون بها، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء قط"^(٧).

(١) الوَشِيُّ: من الثياب معروف وهو يكون من كل لون، والوَشِيُّ في اللون خَلَطٌ لَوْنِ بِلُون، ووَشِي فلان الثوب: نقشه وحسنه. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥ ص ٣٩٢؛ المعجم الوجيز، ص ٦٧٠.

(٢) الخَزُّ: من الثياب وهو ما ينسج من صوف وحرير خالص. المعجم الوجيز، ص ١٩٤.

(٣) المَطَارِفُ: وهي أُرْدِيَّة من خز مُرَبَّعة لها أَعْلَام، وقيل: ثوب مربع من خز له أَعْلَام، والمِطْرَفُ من الثياب ما جعل في طَرَفَيْهِ عِلْمَانِ. ابن منظور: لسان العرب، ج ٩ ص ٢١٣.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٨٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٤٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٧.

(٥) ينظر: الطبري: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٨٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٤٩؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج ١، ص ٢٠٠.

(٦) اختلجوا: أي اجتذبوا ونزعوا. ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج ١ ص ٢٣٩.

(٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٤٩؛ أحمد

"فلما أمسى، أرسل إليهم الملك أن ابعثوا إلي زعيمكم وأفضلكم رجلاً، فبعثوا إليه هبيرة، فقال له حين دخل عليه: "قد رأيتم عظيم ملكي، وإنه ليس أحد يمنعكم مني، وأنتم في بلادي، وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي، وأنا سائلك عن أمر، فإن لم تصدقني قتلتمكم، قال: سل، قال: لم صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث؟" قال: "أما زينا الأول فلباسنا في أهلينا وريحنا عندهم، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا، فإذا هاجنا هيج وفزع، كنا هكذا، قال الملك: "ما أحسن ما دبرتم دهركم!" فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف، فإني قد عرفت حرصه، وقلة أصحابه، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه^(١). فرد عليه هبيرة في شجاعة المؤمن وعزته قائلاً: "كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاق!^(٢) وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه"^(٣).

بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ٢٠٠؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ٦٦.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٩٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٤٩، ١٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٧؛ د/ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي، ص ١٣٨.

(٢) فالعرب المسلمون قد انطلقوا إلى دنيا الفتوح دون طمع في خيرات هذه الدنيا أو بسبب الحاجة إليها، فهم قادرون على تأمين متطلباتهم الحياتية من مواطنهم لو أرادوا ذلك، ولكن حمل الرسالة فرض عليهم ترك الدنيا وهم قادرون عليها والقيام بالغزو والفتوح. ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٣٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٩٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ١٥٠؛ ابن

بيد أن تلك الكلمات القوية من هبيرة أعادت ملك الصين إلى صوابه، وأيقن أنه أمام قوم لا ينفع معهم التهديد ولا الوعيد فاعتدل في كلامه وأخذ يسأل في هدوء: "وما الذي يرضي صاحبك؟ قال: إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطاء أرضكم ويختم ملوككم^(١) ويعطى الجزية^(٢)، قال: فإننا نخرجه من يمينه، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطوئه، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاهها، ثم دعا ملك الصين بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحريير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم^(٣)، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم،

خلدون: العبر، ج٣ ص٦٧؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص٢٠٠؛ وإن هذا الرد القوي من هبيرة على ملك الصين ليعطينا صورة واضحة عما كان يتمتع به العرب المسلمون من روح معنوية وشجاعة عالية، ولا غرابة في ذلك؛ "فإن الشجاعة عند العرب من الصفات الغريزية، والسجايا الطبيعية، وقوة للنفس معنوية، لا تدرك إلا بآثارها وغاياتها، ولا تعلم إلا بمقتضياتها وعلاماتها، وهي الإقدام في موضع الإحجام، وعدم المبالاة بالحياة ولا الممات، وكلما كانت هذه الآثار أعظم كان مبدؤها أقوى وأتم". السيد محمود شكري الألويسي البغدادي: بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص١٠٣.

(١) دلالة السيطرة عليهم والتمكن منهم.

(٢) لقد أتت الرسل تسعى بالسفارة بين الأمير قتيبة وبين الدولة المهددة بالغزو الإسلامي، وهو يمر بنكبة قاسية - بعد موت الوليد وتولية سليمان - ففكر في نفسه أيتراجع فجأة عن الغزو منتظراً ما يأتيه من دمشق؟ أم يستمر في مراسلة ملك الصين واستطلاع داخله مع حرج مركزه ودقة موقفه المتأرجح؟ مهما يكن من شيء فقد استمع قتيبة إلى نداء البطولة، وعصفت برأسه النخوة العربية حين علم بتهديد الإمبراطور الصيني، فبعث يعلمه أنه لن ينصرف عن بلاد الصين حتى يطاء الأرض، ويختم الملوك، ويعطي الجزية، وكان لهذا الرد الحاسم زلزال عنيف في صفوف الجيش الصيني، فخارت قوى الإمبراطور، وبعث بالجزية صاغراً مع بعض أبنائه، فكف عنه قتيبة، ولولا دقة موقفه السياسي لاقتحم أرضه وضم إلى الإسلام أصقاعاً جديدة؛ ولكن ماذا يصنع والريح عاصفة والجو ملبد بالغيوم مجلجل بالرعود. ينظر: د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٦١ بتصرف يسير.

(٣) وقيل إنه بعث أربعمائة من أولاده وأولاد الملوك. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٥٠.

فساروا فقدموا بما بعث به، فقبل قتيبة الجزية، وختم الغلطة، وردد هم، ووطئ التراب" (١).

وهكذا فقد انتهت المرحلة الأخيرة من فتوحات الأمير قتيبة، التي طوي فيها أقاليم ما وراء نهر جيحون، ثم عبر نهر سيحون؛ ليفتح فرغانة والشاش وأشروسنة وكاشغر وفرض سيادة الإسلام على ملك الصين - وذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل شجاعته وهمته العالية وحسن سياسته مع جنوده - فانتشر الإسلام في تلك البلاد حتى أخرجت العظماء من كتاب المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلمائهم.

وبهذا يكون قد مضى على الأمير قتيبة (عشر سنوات) في الغزو والجهاد في بلاد ما وراء النهر فاتحاً ومجاهداً، فهدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله ﷻ، وأغلب الظن أن قتيبة ما كان ليرضى أن يقف عند هذا الحد لولا وفاة الحجاج، ومن بعده الوليد، ثم تولية سليمان - ولا يخفى ما كان بينهما - فشغله ذلك عن مواصلة زحفه إلى بلاد الصين، والله أعلم.

وأستطيع أن أستنتج من خلال هذا الفصل بعض النتائج الآتية:

١ - قدم الأمير قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي، في عام (٨٦هـ)، واضعاً نصب عينيه فتح بلاد ما وراء النهر، ونشر الإسلام فيها، وقتال أعداء الإسلام، وقد من الله عليه حيث لم تنتكس له

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢٩٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٥٠؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٣ ص٦٧؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٣٥٤.

خلال ذلك راية، ولا هزم له جيش، ولا نكب المسلمون معه بنكبة.

٢- وبعد أن أتم تنظيمه، غادر مرو، ثم أمضى عام (٨٦هـ / ٧٠٥م) في تنفيذ بعض العمليات التي كانت بمثابة استطلاع ميداني للموقف أكثر منها عمليات قتالية، وعندما رجع إلى مقر عملياته ومركز إدارته لإقليم خراسان، انصرف إلى إدارة ولايته استعداداً للمرحلة القتالية التالية، في سنته القادمة.

٣- ولما فتح بيكند سنة (٨٧هـ / ٧٠٦م) أصاب المسلمون فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى، وصار في أيدي المسلمين شيء لم يصيبوا مثله بخراسان، ثم سار إلى نومكشت وراميشة، عام (٨٨هـ / ٧٠٧م)، فصالحه أهلها، فقبل منهم، وانصرف عنهم.

٤- ولقد نجح الأمير قتيبة - بفضل الله ﷻ - في فتح بخارى عام (٨٩هـ) بعد معركة عظيمة، هزم الله فيها المشركين، وجرح يومئذ خاقان الترك وابنه في هذه المعركة، فهابه الترك مهابة عظيمة، فترتب على ذلك عدة أمور منها: صلح قتيبة مع الصغد، وغدر نيزك ثم قتله، وفتح مدينة الطالقان.

٥- صالح قتيبة خوارزم شاه عام (٩٣هـ) ودفع إليه أخاه ومن كان يخالفه، فقتلهم، وصادر أموالهم، فبعث بها إلى قتيبة؛ وهكذا فقد امتدت فتوحات الأمير قتيبة إلى دلتا نهر جيحون عند خوارزم، وهي البلاد التي رفض يزيد بن المهلب فتحها.

٦- ولقد غزا مدينة سمرقند عام (٩٣هـ) فجرت بينهما حروب كثيرة، ثم حمل المسلمون بقوة، فدخلوا المدينة فصالحهم أهلها على مال، واشترط

إخلاء المدينة من كل مقاتل، وأن يبنى له فيها مسجد فيدخل ويصلي، ويوضع له فيها منبر، فيخطب ويتغدى ويخرج.

٧- ثم إنه غزا الشاش وفرغانة سنة (٩٤، ٩٥هـ) فافتتحهما، ثم غزا كاشغر عام (٩٦هـ) - وهي من أطراف الصين - وفرض عليها الجزية، وخضعت له بلاد ما وراء النهر كُلِّها؛ فيعتبر بحق من أعظم القادة الفاتحين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي بصفة عامة، وتاريخ الدولة الأموية بصفة خاصة.



الفصل الرابع

جهود الأمير قتيبة بن مسلم في الدعوة إلى الله تعالى في بلاد آسيا الوسطى

المبحث الأول: موقفه من المعتقدات الفاسدة في البلاد المفتوحة
المبحث الثاني: جهوده في الإصلاح السياسي وبناء المجتمع
المبحث الثالث: جهوده في الإصلاح الديني والدعوي
المبحث الرابع: جهوده في الإصلاح الفكري والحضاري
المبحث الخامس: جهود الأمير قتيبة بين المادحين والقادحين
المبحث السادس: أحوال الدعوة الإسلامية في آسيا الوسطى بعد

الأمير قتيبة



المبحث الأول

موقفه من المعتقدات الفاسدة في البلاد المفتوحة

إنَّ مما لا شك فيه أن الفضل يرجع إلى الله ﷻ ثم إلى الأمير قتيبة بن مسلم في القضاء على تلك المعتقدات الباطلة - مثل الزرادشتية والبوذية - التي كانت تؤمن بها بلاد ما وراء النهر، حيث قضى في تلك البلاد قريباً من عشرة أعوام لم تمر بها ليلةٌ واحدةٌ في راحةٍ جسمٍ أو هدوءٍ بالٍ، حتى حطم مقدساتهم وأحرق تماثيلهم أمام أعينهم مما كان له عظيم الأثر في دخولهم الإسلام.

□ أولاً: جهود الأمير قتيبة في مواجهة الزرادشتية^(١):

(١) الزرادشتية تقوم على أسس ثلاثة هي:

١. إنَّ الزراعة وتربية الماشية، هما وحدهما المهنتان النبيلتان.
٢. إنَّ الكون بأسره معركة بين الخير والشر، والفكرة السائدة ثنائية العالم الذي يقوم على مسرحه صراع يدوم اثني عشر ألف عام بين الإله (أهورا - مزدا) الذي تجلّى لزادشت، والشيطان (أهريمان).
٣. إنَّ العناصر، وهي الهواء والماء والنار والتراب ظاهرة ولا يجوز تدنيسها، والنار مقدسة، وسادن بيت النار يقوم على خدمة اللهب المقدس، والحياة المثلى كما رسمها (زرادشت) هي: "حيث يشيد المؤمن بيتاً فيه الماشية، والزوج والولد، وحيث توهج النار"، وأفضل الفضائل: الطهر والأمانة، وهما يؤديان إلى الحياة الخالدة؛ وقد أقيمت معابد الزرادشتيين على قمم الجبال، ويوقدون النار فوقها تكريماً (لأهورا - مزدا)، ويعتقد الزرادشتيون أن نهاية

استمرت محاولات قتيبة لنشر الدين الإسلامي في المنطقة حيث بذل جهوداً كبيرة لسحق النفوذ الزرادشتي في بخارى، وقد تمثلت تلك الجهود من خلال الضغوط التي مارسها على عائلات قوشان التركية الأصل، فقد كانت هذه العائلات تنتمي إلى المجوس، وكانت لهم شهرة ومنزلة كبيرة بين أهل بخارى، فقد كانوا من كبار التجار الأغنياء فيها^(١).

فقام قتيبة بإصدار أوامره بتقسيم بيوت القوشان ومتاعهم وكافة ثرواتهم التجارية مناصفة بينهم وبين العائلات العربية التي أراد توطينها^(٢).

ونتيجة لتلك الضغوط فقد أخلت عائلات القوشان بيوتها وتركتهما للعرب، كما تركت من متاعهم، وقامت ببناء سبعمائة قصر خارج أسوار المدينة، وأقامت بيوتاً مستقلة للخدم والعبيد بجوار قصورهم التي انتقلوا إليها وكونت ما يعرف بمحلة مجوسية جديدة مستقلة^(٣).

العالم قريبة محتومة، فبعد موت زرادشت بثلاثة آلاف سنة يحل يوم الحساب الأخير وتقوم مملكة (أهورا - مزدا) ويهلك (أهرمان) هلاكاً أبدياً، والذين عملوا الصالحات في حياتهم الدنيا يدخلون عالم السعادة، والذين دنسوا نفوسهم بالشرور يدخلون عالم الشقاء؛ والاعتقاد ببقاء الروح من معتقدات الدين الزرادشتي الأساسية، حيث يفنى الجسم أما الروح فيبقى ويلقي جزاءه؛ ولزرادشت كتاب مقدس يسمى أفستا Avesta وعليه شرح يسمى زندافست، وإذا عرب أثبتت فيه قاف فليل الأبتاق، وعدد سوره إحدى وعشرون سورة، تقع كل سورة في مائتي ورقة. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص ٢٣٦، ٢٣٧، أ. د/ حسن الهواري: الأديان القديمة، ص ١٣٢: ١٣٦؛ د/ شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، ص ٦٨، ٦٩؛ د/ كامل سعفان: موسوعة الأديان القديمة، معتقدات آسيوية، ص ١٠٧، ١١٢.

(١) ينظر: الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٥٢؛ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٢.

(٢) ينظر: الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٥٢.

(٣) ينظر: الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٥٢؛ د/ إبراهيم زكي خورشيد وآخرون: دائرة المعارف

وكان الذين يعيشون في تلك القصور أكثر من سكان المدينة نفسها حيث بلغ عددهم عشرة آلاف أو خمسة عشر ألفاً، وعلى الرغم من هذا العدد فقد أمر قتيبة بمهاجمة هذه العائلات في قصورها وأضرم فيها النيران وخربها، فكانت ضربة قاسية من ضرباته التي استخدمها في تحطيم الزرادشتية في بخارى^(١).

الإسلامية، ج٦، ص ٣٥٣.

(١) هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٢؛ د/ إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، ج٦، ص ٣٥٣، ولعلَّ الدافع للأمير قتيبة على فعله هذا هو خشية إزدياد نفوذهم، مما يكون سبباً في صد الناس عن الدخول في الإسلام، هذا إذا سلمنا أنه هو الذي أمر بمهاجمتهم وحرق بيوتهم، وإلا فإنَّ هناك رواية للنرشخي يبدوا من خلالها أنَّ قتيبة ما أمر بذلك، بل إن جماعة من مسلمي بخارى الفقراء هم الذين قاموا بذلك، فيذكر النرشخي: "أنَّ محمد بن جعفر ذكر في كتابه: أنه رأى مسجد بخارى الجامع وعليه أبواب ذات صور مكشوفة الوجه وقد ترك باقيها على حاله، وقال إني سألت أستاذي من وضع هذه الأبواب أولاً؟ وكان هناك رجل معمر فقال: سبب ذلك أنه كان يقال قديماً بأنه كان خارج المدينة سبعمائة قصر كان يقيم فيها الأغنياء وكانوا أكثر تمرداً وأكثر الناس تخلفاً عن الحضور إلى المسجد الجامع، وكان الفقراء يرغبون في الحصول على الدرهمين، ولكن الأغنياء لم يكونوا راغبين في ذلك؛ وفي يوم جمعة ذهب المسلمون إلى أبواب تلك القصور ودعواهم إلى صلاة الجمعة وألحوا فكان الأغنياء يضربونهم بالحجارة من أسطح القصور، فدارت الحرب وتغلب المسلمون، واقتلعوا أبواب قصورهم وجاءوا بها، وكان كل شخص قد نقش على تلك الأبواب صورة صنمه، فلما اتسع المسجد استخدموا تلك الأبواب فيه، وكشطوا وجوه الصور وتركوا بقيتها وأقاموها". ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٨؛ وينظر: د/ إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، ج٦، ص ٣٥٣، والراجح عندي هذه الرواية الثانية التي ذكرها الإمام النرشخي، وذلك لأن كتابه يعتبر من أهم المصادر التي عالجت الأحداث التاريخية في تلك المنطقة، خاصة وأن مؤلفه كان قريب العهد بهذه الأحداث؛ ويمكن الجمع بين الروایتين فيقال: إن قتيبة ما أمر بذلك وإنما فعل ذلك الفقراء من عند أنفسهم فلقي ذلك قبولاً حسناً عنده، فيعتبر ذلك إقراراً منه لهذا العمل، والله أعلم.

وهكذا فقد نجح الأمير قتيبة في أن يقضى على نفوذ من يدينون بتلك النحلة الباطلة - التي كان يدين بها كثير من سكان ما وراء النهر - وهي إن لم تكن قد انمحت تمامًا من تلك البلاد إلا أنها في عهده - على الأقل - قد أفل نجمها ودخل أكثر معتنقيها في الدين الإسلامي.

ثانياً: البوذية وموقف الأمير قتيبة منها:

لقد كان الأمير قتيبة كلما نظر إلى الوثنية تتغلغل في بقاع لا تعرف الضياء عزم على استئصالها بكل ما أوتي من شجاعة وإيمان.

وبعد أن فتح قتيبة مدينة سمرقند قام بتطهير المعابد البوذية^(١) من الأصنام وجمعها في ساحة المدينة، حيث تسلم كل ما هو موجود من التماثيل البوذية وبيوت النار من ذهب وفضة وحرير، ثم أخذت الأصنام البوذية من أماكنها

(١) والبوذية التي جاءت إلى بلاد ما وراء النهر عن طريق الصين لها طابعها الذي يجعلها بعيدة عن البوذية الأولى - التي كانت تدعو إلى الزهد وتطهير النفس وقتل الشهوات، والتي تطورت بعد موت بوذا إلى الاعتقاد بألوهيته -، فقد صبغها الصينيون بثقافتهم وحياتهم حيث جعلوا آلهتها ثلاثة وثلاثين على نحو ما كانوا يعملون قبل البوذية، وأقاموا لها المعابد الجذابة التي تزينها الفنون الجميلة، ومما سبب إقبال الصينيين على البوذية أنها دخلت بلادهم بعد أن أصبح بوذا إلهاً، وأصبح تمثاله وثناً يعبد، وتقدم له القرابين وتقام له الصلوات، ولقد اقتحمت البوذية حوالي ثلاثين قطراً في آسيا، وكان تأثيرها عظيماً في آداب هذه الأقطار وفي اتجاهاتهم الدينية، ومنذ القرن التاسع عشر اتصل الفكر البوذي ببعض دول أوروبا فأصبح للفكر البوذي أثره في الفلسفة الغربية والأدب الأوربي والموسيقى وغيرها من الفنون الثقافية، ويبلغ عدد البوذيون اليوم في العالم ما يزيد على ٤٠٠ مليون نسمة، وهم موجودون في الهند ونيبال والصين واليابان وأندونيسيا وماليزيا. موسوعة الأديان في العالم، ص ٢٠٤، ٢٠٧؛ وينظر: د/ رؤوف شلبي: الأديان القديمة في الشرق، ص ٢٤٣: ٢٤٧، وعلى أية حال فإن البوذية الأولى أو المتطورة عنها كلاهما وجهان لعملة واحدة وهي الكفر وعدم الإيمان بالله الواحد الأحد.

ووضعت في ميدان واحد، وبجراحة وشجاعة عظيمين أمر الفاتح بإضرام النار في كل هذه التماثيل^(١).

وعندئذ جاء (غوزك)، فجثا بين يديه، وقال: أيها الأمير إن شكرك علي واجب لا تعرض لهذه الأصنام، فإن فيها أصناماً من مسها هلك، ولكنه لم يبال، ودعا بالنار فأخذ شعلة بيده ثم تقدم نحو الميدان الذي تكدست فيه الأصنام وكبر بصوت عالٍ، وتلا قتيبة ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَنُودًا فَمَا أَبَقَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾^(٢) ثم أشعل النار فيها أمام أعين الكفار الذين كانوا يحيطونها بالإجلال والتعظيم، وكانت لها في نفوسهم مكانة مقدسة، ويعتقدون أنها نصف آلهة؛ ولقد أثر هذا العمل الذي قام به قتيبة في نفوسهم تأثيراً كبيراً، وأصبحت أفئدتهم خاوية من التماثيل والأصنام التي لم تنفعهم؛ مما كان سبباً في دخول الكثيرين منهم في الإسلام^(٣)، بدليل أن قتيبة لما سار ليفتح إقليم الشاش فيما وراء نهر سيحون عام (٩٤هـ) - بعد هذه الحادثة بسنة واحدة - كان جيشه يضم عشرين ألفاً من أهل بخارى وكش ونسف؛ لأن أهل بخارى الذين قاوموا الفاتحين في البداية مقاومة شديدة، سرعان ما أقبلوا على اعتناق الإسلام في حماس شديد.

(١) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٧٥؛ د/ إبراهيم أحمد العدوي: المجتمعات الإسلامية؛ ص ٣٦؛ د/ فليب حتي، وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٧٠.

(٢) سورة النجم، آية: ٥٠، ٥١، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ١٨؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٤٣٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ٩٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٤٨ بتصرف يسير، ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٣؛ العكري الدمشقي: شذرات الذهب، ج ١ ص ١٠٠.

وإنَّ الأمير قتيبة ليذكرنا بموقف خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام ووضع قومه أمام حقيقة تكشف عن جهلهم وسفههم ولا يستطيع إنكارها إلا معاند أو مكابر، قال تعالى: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ (١).

ويصور الطبري هذه التماثيل بعد أن جمعت في مكان واحد وتكدست حتى صارت وكأنه قصر كبير، كما يذكر أنه تخلف من هذه الأصنام التي تكومت بعضها فوق بعض - وكأنها أشياء عديمة القيمة - ما يقدر بـ ١٥٠٠٠٠٠ مثقال ذهب، وحسب رواية أخرى ٥٠٠٠٠٠ مثقال ذهب وجواهر، وفي الحقيقة لم تكن الأوثان هي التي أحرقت وإنما كانت المعتقدات الباطلة التي ظل الشعب يؤمن بها لعهود طويلة (٢).

وهكذا فإن إحلال البدائل النافعة القيمة الحقبة مكان المعتقدات الضارة، وكسر حواجز العقل بنور العلم واليقين ييسر الطريق لنشر الإسلام والاهتداء إليه.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى صبر الأمير قتيبة وشجاعة، وكيف عمل جاهداً للقضاء على تلك المعتقدات الفاسدة مثل الزرادشتية التي حطم نفوذها تماماً، والبوذية التي أزال القداسة المزعومة لأصنامها رغم غم تخويفهم له من

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٦٤، ٦٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٧٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٣ ص ٦٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٨؛ د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٢٠.

أن يصاب بالأذى والهلاك والانتقام لحرمة الآلهة، فلما لم يحدث له شيء أدرك الناس أن الأصنام لا تنفع ولا تضر فأسرع كثير منهم إلى اعتناق الإسلام.





المبحث الثاني

جهوده في الإصلاح السياسي وبناء المجتمع

كان الأمير قتيبة حاكماً عربياً وقائداً عسكرياً، عمل والياً على خراسان وما وراء النهر فترة طويلة من الزمان، ونجح في توطيد الحكم العربي الإسلامي في تلك البلاد، وذلك من خلال القيام بعدة أمور كان من شأنها تحقيق الاستقرار السياسي وإرساء قواعد المجتمع الجديد، وهي كما يأتي:

▣ أولاً: الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة:

ولإقليم خراسان أهميته الإستراتيجية؛ حيث إنه يعد مفتاح إقليم بلاد ما وراء النهر، كما كان لخراسان دورها في التمهيد لنجاح الفتوح العربية باعتبارها قاعدة عربية منظمة تنظيمًا ثغرياً، كما كانت - أيضاً - قاعدة تخرج منها الغزوات الخاطفة علي الإمارات التركية في آسيا الوسطى في موسم معين وهو موسم الصيف، بينما تعود في موسم الشتاء إلي قاعدتها الأساسية وهي مرو، وذلك بسبب الطبيعة المناخية الحادة وبرودتها الشديدة^(١).

(١) ينظر: حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٣٨، ١٣٩؛ د/ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢، ص ٢٢٤، وقد عُرِفَ الشتاء في بلاد ما وراء النهر ببروته الشديدة وثلوجه؛ مما كان يعيق أي أعمال قتالية، وعلى هذا فإن مدة العمليات بقيت محددة بفصلي الربيع والصيف، ولذلك فقد كان عامل الوقت من العوامل

وقد لعبت خراسان في فتح هذه البلاد نفس الدور الذي قامت به برقة في فتح المغرب، فقد ورث العرب عن الفرس احتكاكهم بالترك في منطقة خراسان التي أصبحت ثغراً من ثغور المسلمين، وظلت تخضع لهذا التنظيم الثغري أكثر من خمسين سنة (٣١-٨٦هـ/ ٦٥١-٧٠٥م)^(١).

ولقد عمل قتيبة عندما تولي الإمارة على اكتمال قاعدة خراسان كقاعدة متقدمة للإمدادات العسكرية، حيث انضم إلى صفوف جنده عدد هائل من المسلمين وصل عددهم إلى سبعين ألف مقاتل، في حين كان عددهم في البداية لا يزيد عن خمسة آلاف مقاتل، وكان ذلك من أهم العوامل التي ساعدته على نشر الإسلام في المنطقة^(٢).

الحاسمة في تنفيذ العمليات، وإذا قورن (العمل المطلوب) مع (المهلة الزمنية) ظهرت ضرورة توافر القدرة الحركية العالية للقوات حتى تستطيع تحقيق الغرض المطلوب في حدود الفترة الزمنية المحددة؛ ولو أننا قارنا بين اهتمام قتيبة بالعامل الجغرافي والمناخي مقابل إهمال هتلتر لهذا العامل في الحرب العالمية الثانية، وعلى نحو ما أهمله نليون بونايرت من قبل - مما تسبب في هزيمتهما على الجبهة الشرقية (الروسية) - نجد أن الأمير قتيبة اتبع من الأساليب ما لم يطقه الآخرون فانتصر قتيبة وفشل غيره، وبقي المسلمون هم سادة الدنيا على الإطلاق في حرب الحركة، والانطلاق من قاعدة مأمونة وقوية، وبقي قتيبة رائداً في طليعة روادها. ينظر: بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٠٤؛ ١٠٥ بتصرف يسير.

(١) ينظر: د/ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٣٩؛ د/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) ينظر: حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٤٦؛ د/ إبراهيم أحمد العدوي: المجتمعات الإسلامية؛ ص ٣٦.

ثانياً: القضاء على الخلافات العربية في خراسان:

ولقد برهن الأمير قتيبة بن مسلم على أنه لم يكن قائداً عسكرياً فذاً فقط؛ بل كان رجل إدارة وسياسة وتنظيم من الطراز الأول، كما برهن على أنه كان يعرف خراسان قبل أن يدخلها وما فيها من عصبية قبلية، وخلافات حزبية، وذلك بسبب التنافس على الولاية، حيث ترك مقتل عبد الله بن خازم أثره هناك^(١)، كما أن تنحية آل المهلب عن مركز الصدارة في خراسان وهم أزد يمنيون لهم عصبية كبيرة، لا بد أن تكون لها عواقب، فلما جاء إليها قتيبة وجد هذا الإقليم وقد اكتوى بنار العصبية القبلية، وكان من أكثر الأقاليم اضطراباً على الأمويين، فكان عليه أن يعمل على القضاء على هذه الخلافات، وأن يجعل العرب يتناسون العصبية ويرتفعون فوقها، ويذكرهم برسالتهم السامية، ويعددهم للجهاد في سبيل الله، فما أن وصل خراسان حتى جمع الزعماء العرب ورؤساء القبائل وخطب فيهم خطبته المشهورة ذكرهم فيها برسالتهم الإسلامية، رسالة العدل والرحمة والمساواة، وأهاب بهم أن يضحوا في سبيلها وأن يوطنوا أنفسهم على تحمل المشقات، على السير في طريق أسلافهم العظام، طريق الجهاد لنصرة دين الله، والنتيجة مضمونة بيقين، وهي العزة في الدنيا، والفوز

(١) كان عبد الله بن خازم قد تغلب على خراسان أثناء حركة بن الزبير فأمره عبد الملك عليها، ولكنه أبى طاعته، فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح - وكان على شرطة بن خازم - بولايتها، فشب بينهما صراع انتهى بمقتل بن خازم، فأدى ذلك إلى تفاقم الخلافات بين العرب في خراسان. ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٣، ٤٥٤؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٥.

بالجئة في الآخرة^(١)، وهذا خيرٌ وأفضل من ضياع الوقت والجهد في المنازعات والخلافات القبيلة التي لا طائل من ورائها.

ولقد نجح قتيبة في توحيد صفوف العرب تحت راية الجهاد كما عمل على كسب ثقة الخراسانيين وودهم، فأحسن إليهم وقربهم وعهد إليهم بالوظائف، وبذلك ضمن تعاونهم معه لتحقيق أهدافه، وهذه بداية سليمة تدل على ذكاء وخبرة ومقدرة إدارية كبيرة^(٢).

ثالثاً: إشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب الدولة:

ولقد كان من أهم العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في المنطقة اشتراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش الإسلامي مع قتيبة، حتى الأهالي التي لم تكن على الدين الإسلامي فقد وقفوا إلى جانب قتيبة في فتوحاته^(٣).

(١) ينظر: د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٤٤، ٣٤٥؛ فتحي السيد حسن سيد أحمد البسيشي: الصراع القبلي في العصر الأموي، ص ١٦٩.
(٢) ينظر: د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: دراسات في تاريخ الدولة الأموية، ص ١٣٢، ١٣٣؛ عبدالله مهدي الخطيب: الحكم الأموي في خراسان، ص ٢١٥.

(٣) ينظر: د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: دراسات في تاريخ الدولة الأموية، ص ١٣٢، ١٣٣؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٤١، ولا بأس في أن يستعين المسلمون بغير المسلمين في الأمور التي لا تتصل بالدين ومنها الشؤون الإدارية والحربية، وأن يسهم لهم في الغنائم كالمسلمين، وقد استعان النبي ﷺ بناس من اليهود وأسهم لهم. ينظر: د/ يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الإسلام، ص ٢٩٥، ٢٩٦، وتشير بعض المصادر إلى تطور تم في هذه المنطقة في ذلك العصر وهو أن الدولة الأموية بدأت تجند أبناء البلاد لتدفع بهم إلى المعركة كما دفعت بربر المغرب الأقصى إلى معركة الأندلس؛ فقد كانت التقاليد الإسلامية منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمنع غير المسلمين من الاشتراك في الجيش، لأن

فقد أراد الأمير قتيبة أن يعدل من سياسة "يزيد بن المهلب" في اختيار القادة والأعوان حيث كان يعتمد في استشارته ومهامه الحربية على العرب وحدهم، دون أن يشرك الفرس في إحكام خطة، أو قيادة كتيبة مما أفسح المجال للتفرقة، وغرس بذور الخلاف في الجيش الواحد^(١).

وقد بدا للأمير قتيبة أن يرأب هذا الصدع، فوثق في كفاية الفارسيين، وقدمهم في المناصب والقيادة، وأصبح الجيش الإسلامي إلى حد ما كتلة واحدة تقف أمام العدو مترابطة متساندة، واستطاع قتيبة أن يرضي نفوساً كثيرة لم تكن لتجاهد بإخلاص وعزيمة، وهي مهدورة الحق، ضائعة المكانة بين الناس^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن الوضع المميز للإيرانيين في خراسان كان أحد العوامل التي ساعدت على نجاح الأمير قتيبة هناك، فضلاً عن استغلال مواهبهم الإدارية^(٣).

الخدمة في الجيش مرتبطة بالعطاء، والعطاء حق لكل مسلم، كما أن الدفاع حق للعرب، وعلى أهل الذمة دفع الجزية مقابل الحماية، غير أن القواد الأمويين بدءوا يشركون أهل البلاد ولو كانوا على غير الإسلام في جيش الغزو، وقد اشتركت قوات كبيرة منهم في جيش قتيبة ووفد إليه المطوعة من بخارى وكش ونسف خوارزم، ويذكر الطبري أن الدولة جندت نحو عشرين ألفاً من هؤلاء، فكأنها معيناً بشرياً لا ينضب تستطيع أن تدفعه إلى المعركة، كما ضمنت أن يتطرق الإسلام إلى قلوب هؤلاء المطوعة بعد اختلاطهم بالعرب والتعاون معهم. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٢١؛ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى، ص ١٤٦.

- (١) ينظر: د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٧ بتصرف يسير.
 (٢) ينظر: د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢٠٢؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٧ بتصرف يسير.
 (٣) ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٧٦.

وقد كان مسجلاً في الديوان خلال عهده حوالي (٧٠٠٠ من الموالي) الذين يتقاضون رواتب منتظمة عليهم حيان النبطي الشيباني^(١)، وكذلك احتاج قتيبة بالإضافة إلى هذه القوات النظامية، إلى جمع جنود مرتزقة من مدن خراسان وذلك من أجل حملاته الربيعية والصيفية في آسيا الوسطى، ولقد أشار الطبري إلى هذه القوات المؤقتة التي جاءت من أهل بخارى وخوارزم الذين حاصروا سمرقند في سنة (٩٣هـ/ ٧١٢م)، وبهذا ضمن قتيبة أن يتطرق الإسلام إلى قلوب هؤلاء المطوعة بعد اختلاطهم بالعرب والتعاون معهم، كما قام قتيبة - أيضاً- بترك مهمة جمع الجزية وإدارة الحكومة المدنية للدهاقنة الفرس المحليين (أي من سكان البلاد)، الأمر الذي ينهض دليلاً على أن قتيبة كان يدرك أهمية العامل الاجتماعي في الدعوة إلى الإسلام^(٢).

▣ رابعاً: التحلي بالروح المعنوية العالية:

وتتجلى هذه الروح المعنوية العالية عند الأمير قتيبة عندما جهز وفداً إلى ملك الصين بقيادة هبيرة بن مشمرج الكلابي، وقد كان وقتها قد مات الحجاج ساعده الأيمن، ومن بعده الوليد بن عبد الملك، وكان لا يقل تعصيماً له، فخرس بوفاتهما دعامة القوية التي كان يستند إليها في قيادته، ومع ذلك لم تنثن عزيمته بل جهز هذا الوفد، ثم ودعهم قائلاً: "سيروا على بركة الله، وبالله التوفيق، لا

(١) ينظر: البلاذري: البلدان فتوحاتها وأحكامها، ص ٤٦٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣ ص ٦٩؛ د/ فليب حتي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٧٠.

(٢) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٢٧؛ د/ عبد الرحمن عميرة: الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، ص ٤٦.

تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أي قد حلفت ألا أنصرف حتى أطا بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم".

ولا شك أن هذه الروح المعنوية العالية عند الأمير قتيبة كان لها أثرها على الجنود والسفراء فحينما وقف رسول قتيبة أمام ملك الصين الذي خاطبه بقوله: "فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف، فإني قد عرفت حرصه، وقله أصحابه، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه" فقال له (هيرة) - رسول قتيبة -: "كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاًك! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه"، وتوضح هذه المقولة ما كان يتمتع به الجنود المسلمون من روح معنوية وشجاعة عالية، ونفس إيماني عميق، فهو يقف أمام ملك الصين، ويقارعه الحجة بإيمان ثابت، وإرادة قوية، تعتمد في أساسها على قوة المسلمين جميعاً في تماسكهم، والمسلمون هنا يشكلون وحدة قتالية واحدة تبدأ من فلسطين والشام حيث (منابت الزيتون) وتنتهي بحدود الصين، ولا ريب أن هذه الوحدة كافية لتكوين (روح معنوية لا تراجع ولا تتزعزع أو تهتز مهما كانت التحديات التي تجابهها)، وتأتي الدعامة الثانية للروح المعنوية من (هدف الحرب) فالعرب المسلمون قد انطلقوا إلى دنيا الفتوح دون طمع في خيرات هذه الدنيا أو بسبب الحاجة إليها، فهم قادرون على تأمين متطلباتهم الحياتية في مواطنهم لو أرادوا ذلك، ولكن حمل الرسالة فرض عليهم (ترك الدنيا وهم قادرون عليها والقيام بالغزو والفتوح) ويأتي بعد ذلك الإيمان بالعتيدة الإسلامية، وبما تحمله من مضامين الخلود للشهداء الصالحين والمجاهدين

لتشكل العامل الأساسي في إزالة الخوف، ولترفع الروح الإيمانية حتى ذروة حب الشهادة والاستشهاد (إن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه) وتأتي بعد ذلك الثقة المتبادلة بين القائد قتيبة وجنوده لتعم هذه الروح المعنوية وتعززها، فثقة هيبرة بقتيبة ومعرفته بصدق وعيده وتهديده هي من جملة العوامل التي لا يمكن إنكارها فيما تميز به في موقفه السابق^(١).

وتتكرر مثل هذه الصورة في قصة "عياش الغنوي" الذي بعث به قتيبة إلى ملك (شومان) ليقنعه بدفع الفدية التي كان قد صالح قتيبة عليها، وعندما وصل عياش إلى (شومان) خرج إليه أهلها فصرخ عياش: "أما ها هنا مسلم!" فخرج إليه رجل من المدينة فقال: "أنا مسلم، فما تريد؟" قال: "تعينني على جهادهم" قال: نعم، فقال له عياش: "كن خلفي؛ لتمنع لي ظهري" فقام خلفه، فقاتلهم عياش، فحمل عليهم، ففترقوا عنه، وحمل الرجل - الذي ادعى أنه مسلم - على عياش من خلفه فقتله، فوجدوا به ستين جراحة، فغمهم قتله، وقالوا: "قتلنا رجلاً شجاعاً".

ولا حاجة للقول أن هذه الروح المعنوية العالية والثقة المتبادلة بين القائد قتيبة وجنده كان لها أثرها العظيم في إخضاع أقاليم كثيرة متمردة، وفتح بلاد لم يصلها المسلمون قبله؛ مما كان سبباً في دخول كثير من هذه الشعوب في دين الإسلام.

(١) ينظر: أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١، ص ٢٠٠؛ د/ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ١٣٨؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١٣٥، ١٣٦.

خامساً: الشدة في القضاء على أعداء المسلمين:

إنَّ مما اتصفت به سياسة الأمير قتيبة في هذه البلاد تلك الشدة على المتمردين والمفسدين في الأرض من أعداء المسلمين، فكان لا يتوانى في الأخذ على أيديهم، حتى لا يترك مجالاً للثورات والإضرابات وترويع الآمنين من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء.

فعندما أراد (تنذر) الغدر بالمسلمين والتعاون مع أهل بخارى للكيد لهم وجاء يخوف قتيبة كثرة الأعداء وموت الحجاج، وهنا أدرك قتيبة كذب تنذر فرد قائلاً: "أما كثرة العدو ف ﴿ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) وأما عزلي فأنا أقاتل الله لا للحجاج، وأما أنت فقد خنت، وقرره فأقر فأمرب بضرب عنقه" (٢).

وعندما فتح المسلمون بيكند أراد الذي استثار أهلها وحرصهم على قتال المسلمين فداء نفسه، وقال لقتيبة: "أنا أفدي نفسي بخمسة آلاف حريرية صينية، قيمتها ألف ألف" لكن الأمير قتيبة رفض هذا العرض وآثر أمن المسلمين، وأمر به فقتل.

وعندما تمرّد ملك (مرو الروز) ثم أدرك أنه لا قبل له بمجابهة قتيبة - بعد أن علم بزحف قتيبة إليه - فر إلى الجبال، ووصل قتيبة إلى (مرو الروز) وأخذ ابنين له وقتلهما.

(١) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٢٤٤؛ علي الطنطاوي: رجال من التاريخ، ص ٩٨.

وعندما تمرّد (نيزك) وغدر بالمسلمين، وألقى قتيبة القبض عليه قتله ومعه عدد من أصحابه، ممن ساعدوه على الغدر والخروج على المسلمين.

وقد يبدو مما سبق أن أعمال قتيبة تتسم بالقسوة والعنف، ولكن هذه القسوة لا تتجافى أبداً مع مبدأ العدالة الإسلامية أو تتناقض معها؛ والدليل على ذلك أنه كان إذا أمضى صلحاً مع أهل إقليم من الأقاليم، كان ينصرف عنهم دون أن ينزل بهم أو يقترب منهم، كما أنه عندما كان يمضى صلحاً مع أهل إقليم بعد تمردهم ما كان يتعرض لغير المقاتلين بسوء أو ينال منهم بأذى؛ إذاً يتضح من خلال ذلك أنه كان يستخدم القسوة كعامل ردع حتى يتمكن من السيطرة على الموقف فيستطيع تحقيق الأمن والاستقرار في هذا المجتمع الجديد وحتى لا يفكر أحد بالنيل من المسلمين أو إلحاق الأذى بهم.

"ولقد تعرف أهل الإقليم على الإسلام طوال أكثر من نصف قرن وأسلم أكثرهم ورضي الصلح بقيتهم، ولم يبق إلا جيوب متمردة تعمل على تحريضها فئات قليلة ممن لم يدخل الإسلام في قلوبهم، فكان أسلوب الردع هو الأسلوب الأمثل والأفضل مع مثل هذه الفئات^(١)، وعلاوة على ذلك فقد كانت قوة المسلمين قليلة بالنسبة لآتساع الإقليم وبالنسبة لحجم الفتوحات، فكان من

(١) فلو ترك الأشرار يعيشون في الأرض فساداً من غير رادع يردعهم ولا مانع يمنعهم، لعم الفساد في البر والبحر، ولصار هو الهوان الذي يسيطر، والرحمة بالأشرار قسوة بالأخيار، ورب تسامح يحوى في ذاته أكبر الجرائم فتكاً بالجماعة الإنسانية، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١]. د/ عبد الغفار عزيز: الدعوة الإسلامية، ج٢ ص ١٣٠ بتصرف يسير.

الضروري والحالة هذه تحقيق الاستقرار حتى تنتشر الدعوة الإسلامية في مناخ من الأمن والطمأنينة" (١).

وهكذا أدرك الأمير قتيبة أنه لن يستطيع تحقيق ما يريد من فتح لهذه البلاد ونشر الإسلام فيها إلا بعد الاستقرار العربي -السياسي والاجتماعي- في خراسان وما وراء النهر، كما أدرك أهمية الاستعانة بأهل البلاد سواء في إدارة بلادهم محلياً أو بالاشتراك معه في غزاته المختلفة.



(١) بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص ١١٨، ١١٩ بتصرف يسير.



المبحث الثالث

جهود الأمير قتيبة في الإصلاح الديني والدعوي

لا شك أن فساد الأحوال الدينية في تلك البلاد قد شجعهم على الدخول في الإسلام، فقد كان معظمهم وثنيين يعبدون الأصنام، وكان بعضهم متأثرًا بالأديان المنتشرة في بلاد فارس مثل الزرادشتية وغيرها - كما سبق - لذا قام الأمير قتيبة بعدة أمور كان من شأنها القضاء على تلك المعتقدات الباطلة وترسيخ أركان الدعوة الإسلامية في هذه البلاد، وهي كما يأتي:

أولاً: إقامة المساجد:

أ- أهميتها ودورها في الإسلام.

من المعروف أن المسجد هو المكان الذي تقام فيه الصلوات الخمس، أو المهيأ للصلوات الخمس، أو هو بيت الصلاة^(١)؛ أما المسجد الجامع فهو الذي تقام فيه الصلوات الخمس، و صلاة الجمعة؛ ولم تكن مهمة المساجد في صدر الإسلام مقصورة على العبادة فقط بل كانت منابع للثقافة ومصادر للحضارة ومعاهد للتعليم ودورًا للقضاء والإصلاح بين المتخاصمين، كما كانت أماكن

(١) وبيت الصلاة هو بيت مربع أو مستطيل قائم سقفه على أعمدة. عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، جامعة الدول العربية، ص ٥٧.

لايواء الفقراء وجمع التبرعات وساحات لتكوين الجيوش وتوجيه المجاهدين ومواضع لاستقبال الوفود والسفراء وإرسال الرسل، وغير ذلك من الأمور المهمة في حياة المسلمين.

ولعل رسالة المسجد العلمية ودوره في نشر الثقافة الإسلامية من أهم وظائفه في العهود الإسلامية الأولى، حيث اقتدى الفاتحون بالنبي ﷺ في بناء المساجد فور فتحهم البلاد^(١)، وأخذ الصحابة والتابعون في تلك المساجد يعلمون المسلمين الجدد شرائع الإسلام ومناهجه، وهكذا بدأ تدريس العلوم الشرعية^(٢)، ثم أضيف إليها علوم اللغة والكلام والقصاص وغيرها، وهكذا كلما ظهر لون جديد من ألوان الثقافة الإسلامية اتخذ سبيله إلى المسجد^(٣).

وتعد المساجد مظهرًا عمليًا لوحدة الأمة الإسلامية، إذ يلتقي المسلمون - بالغدو والآصال - كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، أميرهم وأمورهم، عالمهم وجاهلهم؛ الجميع في صف واحد أمام الله ﷻ يستمدون منه العون ويُقِرُّون له - سبحانه - بالعبودية الخالصة؛ ولذلك كان المسجد الجامع هو أول شيء يتم بناؤه في كل المدن التي يتم للمسلمين فتحها، فلم تكن تخلو مدينة كبيرة من مدن العالم الإسلامي من مسجد جامع، هذا فضلاً عن المساجد

(١) لقد كان أول عمل بدأ به ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة بناء المسجد ليكون مدرسة لتكوين الدعاة وإعدادهم، ومركزاً لانطلاق الدعوة إلى أرجاء العالم.

(٢) د/ سعيد عبدالفتاح عاشور: بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٢؛ الشيخ طه الولي: المسجد في الإسلام، ص ١٥٩-١٦٣.

(٣) محمد عبدالرحيم غنيمه: مقدمة لتاريخ التعليم الجامعي في الإسلام، برقم ١٠٨، ص ١٣؛ نجيب عبدالفتاح جيلاني: الحركة العلمية في مرو، ص ٤٠.

التي تقام في القرى المنتشرة حول المدينة.

ومن الجدير بالذكر هو أنّ رسالة المساجد في وقتنا الحاضر لا تقل أهمية عن ذي قبل^(١) خاصة بعد ظهور العديد من المتطلبات والمشاكل والأفكار والآراء والمذاهب الدخيلة التي نتج عنها الانحرافات الموجودة الآن من فرق وأحزاب وجماعات وتنظيمات ووسائل دعائية قصدها الهدم لا البناء.

وهكذا فقد تعددت وظائف المسجد ومقاصده فهو يقوم بدور هام كإزالة الإعلام في وقتنا الحاضر، فضلاً عن كونه نادي المسلمين ومدرستهم ومحكمتهم، ومنطلقهم لدحض كل شر ونشر كل خير.

ب. الأمير قتيبة وبناء المساجد في المدن المفتوحة:

١. في بيكند:

ولقد كان منهج الأمير قتيبة - مثل من سبقه - أن يبني في كل بلد مسجداً عقب فتحه لها مقتدياً في ذلك برسول الله ﷺ ومن بعده من الصحابة الكرام رضي الله عنهم فبنى أنه من أعظم الخطوات التي أحدثها قتيبة في مدينة بيكند بعد فتحها إنشاء (جامع الجمعة) من أجل تقوية الإسلام في المنطقة، وبدأت أصوات التكبير والأذان تدوي في الجامع، وامتاز الجامع بالسعة، إلى جانب محرابه الذي يعد أثراً فنياً عظيماً، فقد جاء وصفه في بعض المصادر بأنه لم يكن له

(١) ولعل رسالة المسجد هذه قد تراجعت كثيراً في وقتنا الحاضر في عدد من البلدان التي اتخذت من الإسلام الإيجابي موقف الخصومة الصريحة، وهو: إبعاد العناصر المتحركة المحركة من المساجد، وجعل أغلب المساجد تحت سلطان الدولة. د/ يوسف القرضاوي: الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص ١٨٥ بتصرف يسير.

نظير، بالقياس بالجوامع الأخرى الموجودة في المناطق المجاورة، فهذا ياقوت الحموي يقول: "ليس ما وراء النهر محراب مثله ولا أحسن زخرفة منه" (١).

٢. في بخارى:

ولقد كان من أهم النتائج التي ترتبت على فتح بخارى وأكسبت حركات الأسلمة قوة فيها؛ إنشاء الجوامع الكبيرة في المنطقة، ومن أهم هذه الجوامع: جامع "ماء روز" الذي أقامه قتيبة عام (٩٤هـ / ٧١٢-٧١٣م) (٢) بعد أن أتم الفتوحات السياسية، ورسخ الإسلام في المنطقة، وكان في مكان هذا الجامع قبل إنشائه سوق ومركز نشاط هام للربان والبوذيين والزرادشتيين على مر العصور" (٣).

فلقد كانت تقام في هذا المكان أسواق نصف دينية مرتين في العام تباع فيها الأصنام والتمائيل البوذية باهظة الأسعار، التي وصل ثمن الواحد منها في بعض الأوقات إلى خمسين ألف درهم؛ لذا كان اختيار قتيبة لهذا المكان لإقامة جامع فيه اختيارًا ذكيًا منه؛ لمواصلة نشاطه في ضرب المعتقدات الوثنية (٤).

-
- (١) ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٥٣؛ هدى درويش: دور التصوف، ص ٢٧.
 (٢) ولقد جدد هذا المسجد فيما بعد عام (٥١٥هـ / ١١٢١م) بأمر أرسلان خان... وعندما دخلت القوات البلشفية إلى بخارى - حين قضت على ثورة أهل بخارى بقيادة الغازي أنور باشا عام (١٩٢٢م) - حولت هذا المسجد التاريخي إلى متحف وأحاطته بتمائيل "ماركس" و"لينين". د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٢٧٧.
 (٣) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٧، ٧٨؛ د/ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٤٩؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٤.
 (٤) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٤٠، ٧٨؛ د/ إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون: دائرة

"فقد قام قتيبة بشل حركة هذا السوق وجعله لا قيمة له، وأصبح هذا الجامع شاهداً على انتصار الأمير قتيبة على تلك الأديان^(١)".

وكان بناء هذا الجامع ليس بالأمر الهين، فقد تم بناؤه بعد مرور خمس سنوات، قضاها الأمير قتيبة في جهاد وصبر عظيم^(٢)، دون أن يدركه الملل أو السأم^(٣).

ومن أهم المساجد التي أقيمت في بخارى على عهد قتيبة - أيضاً - "مسجد بني حنظلة"، وقد أقيم هذا المسجد مكان كنيسة تتبع المسيحيين النسطوريين، في "محلة الرنديين" التي أقامتها العائلات العربية التي أسكنها قتيبة في بخارى^(٤).

وفي محلة بني سعد "أقيم فيها" مسجد بني سعد"، الذي تأسس في مكان

المعارف الإسلامية، ج٦، ص ٣٥٠.

(١) هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٤.

(٢) وبعد أن انتهى قتيبة من بناء هذا المسجد أمر أهل بخارى بالاجتماع للصلاة فيه كل يوم جمعة، وكان يأمر مناد ينادى كل يوم جمعة فيقول: بأن كل من يأتي للصلاة أعطيته درهمين، وكان أهل بخارى في أول إسلامهم يقرؤون القرآن بالفارسية، حيث لم يكن باستطاعتهم تعلم العربية، فحينما كان يحين وقت الركوع كان يقف وراءهم رجل يصيح فيهم "بكنيتا نكينت" وحينما كانوا يريدون السجود كان يصيح فيهم "نكونيا نكوني". وهاتان العبارتان بلغة أهل بخارى ومفادهما طلب الركوع والسجود كما يفهم من السياق. ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٨ بتصرف يسير.

(٣) ينظر: هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٤.

(٤) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٤؛ محمد أحمد محمد: بخارى في صدر الإسلام، ص ٩٩.

المروور من باب العطارين الذي هو أحد أبواب الدخول الكبرى إلى بخارى^(١). وعلى الطرف الأيمن للدخول إلى المدينة أقيم فيه مسجد "القرشيين"^(٢) ومع التطور الإسلامي في المنطقة تم إنشاء (جامع قتيبة) مكان بناء أثري كان يستخدم كمعبد مقدس من قبل البوذيين والمجوس، وأصبح هذا الجامع بمثابة مؤسسة خيرية تنشر العلم والثقافة، وقد تعرض هذا الجامع على مر العصور لأخطار كثيرة مثل الزلازل والحرائق إلا أنه تم ترميمه وإصلاحه، ولا يزال هذا الجامع قائماً حتى يومنا هذا^(٣).

وقد أمر قتيبة بفرض صلاة الجمعة على كل غني وفقير في بخارى، كما أمر بصرف مكافأة نقدية لكل من يقيم صلاة الجمعة^(٤)

ومن خلال ما سبق يتبين لنا كيف أدرك الأمير قتيبة ما للمسجد من مكانة كبيرة في نفوس المسلمين، وأثر عظيم في نشر الدعوة وثبت دعائمها؛ فنراه لم يتوانى ولم يتردد في بناء المساجد والجوامع في المدن الكبرى مثل بيكند وبخارى والتي كانت مركزاً لكثير من المعتقدات الفاسدة، فكان هذا العمل منه -عقب فتحه لتلك البلاد- من الخطوات العظيمة لنشر الإسلام والقضاء على تلك المعتقدات.

(١) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٥.

(٢) وسمي مسجد القرشيين لأن مقاتل بن سلمان القرشي رضي الله عنه أقام هنالك، وكان مولى لحيان النبطي. النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٩ بتصرف يسير.

(٣) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٩؛ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٥.

(٤) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٨؛ توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٣٧.

إنشاء مصلى للعيد في بخارى:

ونتيجة لجهود قتيبة في بناء الجوامع وتحويل الكنائس الموجودة إلى أماكن لإقامة الصلاة، أصبح المسلمون يؤدون صلاة العيد في حشود غفيرة؛ فأنشأ قتيبة مصلى للعيد في ساحة كبيرة غاية في الاتساع والرحابة، وكان المسلمون يحتشدون للصلاة فيه مرتين في العام يظهرون قوة الإسلام ووحدته، فأصبح واحداً من التطورات المرموقة التي أحرزها الإسلام في تلك العهود الأولى والتي أدت إلى انخفاض معنويات غير المسلمين^(١).

وبعد مرور السنوات أصبح مصلى العيد يضيق بالمسلمين، فبنى الأمير "منصور بن نوح السماني" مصلى للعيد أكثر اتساعاً اشتمل على منبر عالٍ ومحرابين غاية في جمال الصنع والمظهر، وأصبحت تكبيرات صلاة العيد تتردد في كل مكان^(٢).

وقد منع قتيبة غير المسلمين من حمل السلاح في هذه الأيام، في حين كان يأمر المسلمين أن يخرجوا ومعهم أسلحتهم أثناء ذهابهم للصلاة لأن الإسلام كان لا يزال جديداً ولم يكن المسلمون في مأمن من الكفار^(٣)، الأمر الذي أحدث ردود فعل من جانب الشعب المحلي غير المسلم لهذه الإجراءات^(٤).

(١) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٢؛ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٥.

(٢) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٢، ٨٣؛ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٥.

(٣) وأصبحت بذلك عادة لدى أهل تلك المناطق إلى الماضي القريب حينما كانوا يخرجون لصلاة العيد بكامل سلاحهم. النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٢ بتصرف بسيط؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٧٧.

(٤) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٢؛ د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد

هذه الإجراءات الجبرية أفسحت المجال لانتقاد قتيبة مستندياً للنص القرآني الذي يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١)، والذي جاء به بعض الكتاب المسيحيين خاصة "ويلهاوزن"^(٢).

وفي الحقيقة فإن الأعمال التي قام بها قتيبة لم تكن إلا وسيلة من وسائل توطيد الحكم الإسلامي في المنطقة^(٣)، وكان هدفه تلافى الثغرات التي قد تعوق الحكم الإسلامي للمنطقة، ومن ناحية أخرى فإن الإسلام في بخارى أخذ شكل ثورة عسكرية نصف دينية وذلك لأنها كانت مركزاً لكثير من المعتقدات الفاسدة والأديان المحرفة مثل الزرادشتية والبوذية والمناوية واليهودية والمسيحية، وكان إشعال نار الهوية الإسلامية أمراً ليس سهلاً ولم يكن تحقيقها يمكن أن يأتي بإرادة الشعب واختياره نظراً لتعصبهم الشديد لمعتقداتهم^(٤).

السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٢٧٧.

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٢) يوليوس فلهاوزن: كان عالماً في الكتاب المقدس، ثم درس اللغات الشرقية، واشتهر عندما ألف بالألمانية: "مقدمة على تاريخ إسرائيل"، والذي حوى نظريته التي تقول: أن مصادر التوراة كانت من جهات متعددة، وأن نبي الله موسى عليه السلام، ليس هو الكاتب لها، ومن أهم كتبه المترجمة إلى العربية: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية.

(٣) ومن الجدير بالذكر هنا ذكر ما قاله المؤرخ الإنجليزي بيكر، حيث يقول: إن كافة الوثائق المعاصرة تثبت أن العرب تسامحوا مع أهل البلاد المفتوحة ولم يفرضوا عليهم دياناتهم وإذا كانت هناك ظاهرة انتشرت بقوة السلاح فهذه الظاهرة هي سيطرة العرب السياسية وليس عقيدة العرب الدينية. ينظر: على عبد السلام سيد أحمد: حركات المد العربي، ص ٢٢٦.

(٤) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٦، ٧٧؛ هدى درويش: دور، ص ٣٣، محمود محمود أبو الفيض: الطرق الصوفية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٦٥.

٣. في سمرقند:

أما سمرقند فقد حاول قتيبة أن تكون أكثر فاعلية وإسلامية من بخارى فلم يتبع فيها نفس الشدة التي اتخذها في بخارى، فكانت إستراتيجية فتحه لها من خلال بنود الاتفاق الذي أبرمه مع "غوزك" حاكمها، ولقد اهتم ببعض الشروط المهمة المتعلقة بنشر الإسلام فيها قبل دخولها فكانت كالتالي:

• بناء مسجد في سمرقند تؤدي فيه الصلاة، وتخطب فيه الجمعة، وصنع منبراً بداخله.

• تسليم ما في المعابد البوذية وبيوت النار المجوسية من أصنام وحلى وزينات إلى قتيبة.

• تسليم ٣٠ ألف أسير من الأشخاص الأصحاء ليس فيهم شيخ ولا طفل وذلك لعام واحد فقط.

• إخراج المحاربين الترك من المدينة وعدم إدخال الأشخاص الذين يحملون أسلحة^(١).

وهكذا فقد قام قتيبة قبل دخوله المدينة بالشروع في بناء مسجد الجمعة في سمرقند كجزء من نظريته الإستراتيجية، وهو أول جامع أنشئ في سمرقند، وبذلك ضمنت الجماعة المسلمة في أول مراحل تكوينها مركز عبادة خاص بهم، وجدير بالذكر أنها أول مرة يقام فيها جامع في مدينة قبل دخول الفاتح

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٦ بتصرف يسير؛ وينظر: الذهبي: دول الإسلام، ص٦٤؛ د/ فليب حتي، وآخرون: تاريخ العرب، ص٢٧٠.

وجنوده إليها^(١).

ولقد كان شرط الأمير قتيبة في إخلاء المدينة قبل دخولها تديراً حاسماً منه لمنع اندلاع أي أحداث من المحتمل حدوثها أثناء دخوله المدينة وأثناء الصلاة في المسجد الجامع، وبالفعل فقد تم أداء أول صلاة جماعة في سمرقند عقب دخول الفاتح وجنوده إليها؛ لأنهم توجهوا إلى المسجد مباشرة وأدوا فيه الصلاة دون حدوث أي اضطرابات^(٢).

وكان شعب سمرقند يتكون من طوائف متعددة متعصبة لمعتقداتها من بوذية وزرادشتية ومناوية إلى جانب الطوائف اليهودية والنصرانية؛ ولهذا فقد كان إقامة جامع جديد خطوة شجاعة بالنسبة للدين الإسلامي، وقد بني هذا المسجد في منطقة يسكنها أعيان سمرقند وكبار الموظفين فاستضاءت المدينة بنور محمد ﷺ وترددت في جوانبها أنغام الآذان^(٣).

وهكذا فقد رأينا مدى اهتمام الأمير قتيبة ببناء الجوامع والمساجد في بلاد ما وراء النهر عقب الفتح مباشرة، خاصة في المدن والمناطق التاريخية الكبرى والتي تحتوي على كثير من الأفكار والثقافات، وربما قام ببناء المسجد قبل الفتح في بعض الحالات - كما فعل مع سمرقند - إذا استدعى الأمر ذلك، هذا

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ج٤، ص١٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٧٥؛ د/ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، ص٢٠، ٢١٠.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، ج٤، ص١٦؛ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص١٤٩؛ هدى درويش: دور التصوف، ص٣٨.

(٣) ينظر: د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص٥٩؛ هدى درويش: دور التصوف، ص٣٨.

إذا علمنا ما كان يكلفه هذا العمل من طاقات كثيرة ونفقات باهظة، وهو في نفس الوقت لم ينقذ عن مواصلة الفتوحات ونشر الإسلام في مناطق أخرى.

ثانياً: تسكين الأسر العربية مع سكان البلاد المفتوحة:

أ. العرب في خراسان:

لما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة - بعد الإجماع على خلافته - عام (٤١هـ)، وجد أن الفتوحات التي تمت في فارس لم تؤد الغرض المطلوب، وأن شعوب تلك البلاد لم يفهموا الدين الإسلامي الصحيح؛ ولذا أمر ولاته بنقل كثير من الأسر العربية وإسكانها في البلدان المفتوحة، وقد تم ذلك على يد زياد بن أبي سفيان والى العراق حين ولّى الربيع بن زياد الحارثي سنة (٥١هـ)، الذي ازداد استقرار العرب في عهده بخراسان، حيث جاء ومعه خمسون ألف مقاتل بعائلاتهم^(١) "من بني تميم وبني بكر وغيرهم استعداداً للحرب"^(٢).

"وما من شك أن هجرة خمسين ألفاً بعائلاتهم كان عملاً منظماً يستر وراءه كثرة من الأهداف البعيدة، سواء في ذلك تأمين ما كان من فتوح، أو أقلمة هذه القبائل حتى تستطيع أن تنفذ إلى الفتوح الأخرى التي تستشرف إليها، أو تعويض ما كان من خسارة الجند في المواقع المتصلة، أو نثر بذور التعريب

(١) ينظر: تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٠٠؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٩٩؛ د/ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص١٤٢؛ د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص٤١.

(٢) شرين عبد المنعم حسنين: مسلمو التركستان، ص١٤؛ وينظر: خالد عبد الهادي يحيى بلانكنشب: العرب في خراسان من ٣١-١٣٢هـ، ص٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩.

والإسلام أو كل ذلك جميعاً^(١)".

"ولم تكن هذه سياسة زياد أو ابنه عبيد الله وحدهما، ولكنها كانت سياسة هؤلاء الولاة الذين غلبت عليهم الحصافة وبعد النظر، والذين كانوا ينظرون إلى الفتح نظرة بعيدة لا يرون فيه هذا الغنم القريب ولا هذه الغلبة الظاهرة، وإنما ينفذون إلى ما يجب أن يكون وراءه من اندماج بسكان البلاد ومن توثيق العلاقات بهم وطي هذه الفجوات التي تفصل بينهم وبينهم، ولقد مضى قتيبة في ذلك فاتخذ من بعض المناطق الهامة في ما وراء النهر كسمرقند وبخارى وخوارزم، مراكز للتعريب تعكس الصبغ العربي الإسلامي على ما حولها"^(٢).

ولو أننا حاولنا إحصاء أعداد العرب الذين جاءوا إلى بلاد ما وراء النهر لأمكننا أن نقول أنهم لم يتجاوزوا أواخر القرن الأول المائتي ألف؛ لأننا لو أخذنا برواية البلاذري، والطبري وابن الأثير: " أنه كان بخراسان يومئذ - أي عام (٩٦هـ/ ٧١٥م) حين استخلف سليمان وقتل قتيبة بن مسلم - أربعون ألفاً من مقاتلة أهل البصرة - من تميم عشرة آلاف^(٣)، عليهم ضرار بن حصين

(١) د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢٠٦؛ وينظر: د/ حمدي

شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها؛ ص ٢٥١.

(٢) د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية، ص ٢٠٧ بتصرف يسير.

(٣) تميم: وكانت أكبر قبيلة أو مجموعة قبائل ذهبت إلى خراسان، وهم بنو تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانت تميم تتكون من مجموعات من البدو المتجولة، كما كانت متفرقة متفككة إلى حد كبير في الجاهلية؛ بسبب حجمها الضخم وانتشارها الواسع في البلاد، فكانت بطونها تحارب بعضها بعضاً، وكان لهذه الانشقات الداخلية أثرها السلبي في مسار تاريخ تميم في خراسان أيضاً. ينظر: القلشقندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ١٨٨.

الضبي، ومن بكر سبعة آلاف^(١)، رئيسهم الحضيض بن المنذر، ومن عبد القيس أربعة آلاف^(٢)، عليهم عبد الله بن علوان، ومن الأزد عشرة آلاف^(٣)، رأسهم عبد الله بن حوذان، ومن أهل العالية تسعة آلاف^(٤) - ومن أهل الكوفة سبعة

(١) بكر: كانت قبيلة بكر وعبد القيس تشكّلان ما يسمى بقبيلة ربيعة، وكانت قبيلة بكر بن وائل - وهي من الحضرة أصلاً - تعيش في واحات اليمامة إلى أن ظهرت مملكة كندة فانطوت قبائل بكر تحت لوائها، وكانت بلاد بكر تتداخل في وطن تميم، فأدى ذلك إلى الصدام الحاد بين بكر وتميم، وقامت بينهما حروب كثيرة، وكانت هذه العداوة المستمرة بينهما من أهم العوامل التي دفعت بكرًا إلى الأمام في الفتوحات الإسلامية الأولى، كما كانت عاملاً مؤثراً في حوادث خراسان بعد هجرة القبيلتين إليها. ينظر: جوعان راشد سعيد الظهري: الآثار الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، ص ٥٣؛ خالد عبد الهادي يحيى: العرب في خراسان، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) عبد القيس: وهي القبيلة الثانية من ربيعة في الجزيرة العربية التي هاجرت إلى خراسان وكانت أصغر بكثير من تميم وبكر، وكانت حليفة لبكر - قريبتها في النسب - وكان أعداؤها بني سعد تميم، كما تأثرت بالحضارة الفارسية المجاورة لها عبر الخليج لحد ما مثل بني عمها بكر، وذلك مما ساعد على اندماج القبيلتين في الشعب الخراساني الإيراني عندما هاجرتا إلى خراسان. ينظر: خالد عبد الهادي يحيى: العرب في خراسان، ص ٣٧.

(٣) الأزد: كانت الأزد ثالث مجموعة من العرب الذين توطنوا بخراسان، وكانت تعتبر من القبائل القحطانية أو اليمانية، بخلاف معظم عرب خراسان، ولكن الأزد التي هاجرت إلى تلك البلاد لم تكن أصيلة النسب، بل تكونت من عناصر مختلفة، فتعرف الأزد الأصيلة باسم أزد السراة أو أزد شنؤة، وهي من منطقة عسير أو اليمن الحالية من جبل السراة؛ أما أزد البصرة وخراسان فهم أزد عمان. خالد عبد الهادي يحيى: العرب في خراسان، ص ٣٧، ٣٨ بتصرف بسيط.

(٤) أهل العالية: شكلت المجموعات الثلاث - من تميم والأزد وقبيلتا ربيعة - الأغلبية الساحقة من العرب الذين هاجروا إلى خراسان حتى عام (١٠٠هـ)، غير أن قبائل شتى من مضر - لم تكن على علاقة ببعضها البعض في الجاهلية - كونت جماعة في خراسان تسمى أهل العالية، وكانت معظم هذه القبائل بدوية مثل سليم وباهلة، ولئن لم تختلف كثيراً عن تميم في طريقة معيشتها، ولكنها لم تكن قوية وشهيرة مثل تميم. ينظر: عبد السلام حمد الجبوني: أنساب

آلاف^(١)، عليهم جهم بن زحر، أو عبيد الله بن علي لكان عدد الجند قريباً من خمسين ألفاً، ولم يكن العرب جميعاً من ورائهم ليزيدوا عن أربعة أضعاف هذا العدد^(٢).

وهكذا فقد شهدت منطقة خراسان وما وراء النهر هجرة كثير من القبائل العربية إليها، الأمر الذي يعكس اهتمام الولاة والقادة بتثبيت دعائم الإسلام في تلك البلاد، خاصة وقد أدركوا أنه لن يستقر الأمر للمسلمين في تلك البقاع من الأرض إن لم يرافق الانتصار العسكري نوع من الاتصال بالأرض ومن الاختلاط بالسكان.

ب. سياسة الأمير قتيبة في تسكين العرب مع العجم:

لقد قام الأمير قتيبة بتنظيم القبائل العربية في خراسان على غرار ما كان متبعاً في البصرة حيث قسمهم إلى خمس مجموعات هي الأزدي، وتميم، وبكر، وعبد القيس، وأهل العالية^(٣).

قبائل العرب، ص ١٢، ١٤؛ خالد عبد الهادي يحيى: العرب في خراسان، ص ٣٨ بتصرف يسير.

(١) ومن الجدير بالذكر أن القبائل التي هاجرت عن طريق الكوفة كلها يمنية، وكان من أبرزها قبيلة طيء وهي من البدو، ولكن معظمها كان من الحضرمي: بلحارث وهمدان ومراد وحمير، وربما تأثرت لحد ما بأثر حضارة اليمن القديمة من حيث الشعور على الأقل، فمن الراجح أنها كانت أقل عصبية من مجموعات البدو، وساعد على ذلك اندماجها في الإيرانيين فيما بعد. خالد عبد الهادي يحيى: العرب في خراسان، ص ٣٨ بتصرف يسير.

(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٣٨، ٣٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤ ص ٢٩٥؛ د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٤٤؛ د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢١٣.

(٣) ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٠٧٧.

وقد كانت سياسته في توطيد الإسلام في بخارى أن بدأه من القمة إلى القاعدة، فكان إسلام الملك (طوغ شاد) من العوامل التي ساعدت على ترسيخ الإسلام هناك، وكان (طوغ شاد) بن خاتون (ملكة بخارى) مقرباً لقتيبة، الذي قام بمحاربة نبلاء إيران الأقوياء المناوئين (لطوغ شاد)، وقد حقق له الحفاظ على حكم المدينة مدة (٣٢ عاماً)، وقد أنجب ولدًا سماه قتيبة حباً في القائد العظيم، واعترف قتيبة (بطوغ شاد) ملكاً وحارب جميع خصومه (١).

ويقول "كارل بروكلمان": أنه يعتقد أن بفضل إسلام هذا الأمير الشاب استقر الإسلام وضرب جذوره بشكل قوي في بخارى (٢).

وكان من نتائج إسلام (طوغ شاد) أن أسلم بعض الأثرياء والطبقة الأرستقراطية في بخارى، ومن بينهم دهقان أطلق عليه اسم (خينة) وقد بدل اسمه "بأحمد" حباً في رسول الله ﷺ وقد أسلم الكثير من أفراد أسرته وأتباعه المقربين (٣)؛ وكان (خينة) يملك "محلة القصر الشهيرة" التي كان يعيش فيها ارستقراطيو بخارى، وعلى وجه الخصوص الأمراء ورجال الدولة المسلمين الأغنياء (٤).

وبهذا الشكل استطاع قتيبة أن يُدخِل الإسلام في بخارى من الطبقة الحاكمة

(١) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٠، ٧٦؛ د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٧٨؛ د/ إبراهيم زكي خورشيد، د/ أحمد الشنتاوي، د/ عبد الحميد يونس: دائرة المعارف الإسلامية، ج ٦، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) ينظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ١ ص ١٣٨.

(٣) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٤؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٠.

(٤) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٤، ٨٥؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٠، ٣١.

العليا في المدينة، ثم تدرج بها حتى القاعدة - الشعب - وبهذا ضمن الإسلام هناك قاعدة صلبة.

لكن على الرغم من هذا فإن سكان بخارى الذين كانوا يدينون بعبادة الأصنام كانوا يتتهزون فرصة إخلاء المدينة من الجند المسلمين ويعودون إلى شعائرهم ومعتقداتهم المجوسية ويرتدون عن الإسلام^(١).

فتذكر بعض المصادر أن قتيبة حاول فتح بخارى ثلاث مرات، وفي كل مرة كان أهلها يعلنون إسلامهم ثم يرتدون، ولم يستقر الإسلام فيها إلا في المرة الرابعة^(٢).

(١) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٧؛ د/ محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٧٧.

(٢) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٦، ٧٧؛ د/ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٢٠، وذكر أن الأمير قتيبة حين فتح بخارى للمرة الرابعة تصالح مع الملكة خاتون - التي لم تسلم هي وأتباعها- على دفع جزية سنوية وقال للملكة: "أيتها الملكة لسنا مستعمرين، وهدفنا نشر الدين الإسلامي الحنيف وهدى العالم إلى شريعة سماوية بعث الله بها خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ، ولإثبات حسن النية في كوننا غير مستعمرين أقترح بأن تقسم بخارى بين المسلمين وغير المسلمين، وأن تستخدم كل أسرة بخارية غير مسلمة جندياً مسلماً لحفظ أمن الأسرة وخدمتها، وإنني بنيت الجامع هنا، فليكن للجندي المسلم الخادم لدى الأسرة البخارية حرية تامة في أداء صلواته الخمس في الجامع ليعود بعد ذلك لخدمة الأسرة، وكوني مطمئنة أن هؤلاء الجند سيكونوا أمناء وأوفياء جادين في خدمتهم، هذا إذا قبلتي، وإذا لم تقبلي فإننا سنضطر أن نبني ثكنات لجنودنا المسلمين في بخارى ورفع علم الإسلام"، وقبلت الملكة الخاتون هذا الاقتراح ودخل الجندي المسلم في خدمة الأسرة غير المسلمة، ولما رأت الأسرة البخارية غير المسلمة أن هؤلاء الجنود ذوي أخلاق عالية وأدب جم، وأمناء في عملهم وأنهم بعد تأدية كل صلاة في الجامع يعودون وينادون على الأسرة قبل الدخول وهم ينظرون إلى موضع أقدامهم قائلين: "هل من خدمة

"ورداً على هذه الأفعال التي كان يقوم بها الشعب بارتداده عن الإسلام أمر قتيبة بأن يتنازل السكان الأصليون عن نصف منازلهم للعرب، ويقيموا معهم في نفس السكن، وبهذا الشكل يستطيع مراقبتهم ظاهراً وباطناً، الأمر الذي جعل الشعب يقوم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية طوعاً أو كرهاً، وكان الأمير قتيبة يبذل في ذلك جهداً عظيماً ويعاقب كل من قصر في أحكام الشريعة"^(١).

وإلى جانب تنازل الشعب المحلي عن نصف مساكنه للعرب قام قتيبة باتخاذ خطوة أخرى، وهي: توطين وتهجير العائلات الكبيرة إلى المدينة لتعريف الناس بالإسلام وشرح مبادئه، ونشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وكان يبدووا هذا الإجراء في شكله الظاهري أنه إجراء استعماري - على حد قول بعض المحللين وكتاب هذا العصر - حيث قام قتيبة بتوطين هذه العائلات الكبيرة قريبة من بعضها البعض؛ الأمر الذي جعلهم يؤسسون المحلات

نؤديها؟"، وعلى أثر هذه الحكمة العظيمة أسلم أهل بخارى جميعاً، اقتناعاً منهم بأخلاق الإسلام وتربيته. ينظر: د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٤٣، ٤٤ نقلاً عن نصر الله مبشر الطرازي: تعلم اللغة الأوزبكية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٨، قلت: وهذه الرواية إن صحت فربما كان ذلك مجرد إجراء مؤقت من الأمير قتيبة، له فيه وجهة نظر من اختلاط المسلمين بأهل البلاد ومراقبتهم عن كثب - خاصة وأنهم كانوا يقبلون الإسلام في الظاهر ويعبدون الأصنام في الباطل، على حد قول بعض الروايات - وحتى يرون خلال الإسلام الكريمة في صورة هذا الشخص المسلم، وإلا فلا يجوز للمسلم القيام بخدمة غير المسلم؛ لأن من مقتضيات الخدمة وجود سلطان منه على المسلم، وقد الله ﷻ عن ذلك قال تعالى: ﴿ وَكَانَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١].

(١) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٧٧، ٨٤؛ وينظر: د/ حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها؛ ص ٢٥٠.

الكبرى في المدينة، فظهرت "محلة الرنديين" و"محلة الوزراء" التي كان يقيم فيها أول والٍ مسلم على خراسان وهو "ابن أيوب بن حسان"^(١).

وقد عبر "النرشخي" عن هذا الإجراء بقوله: إن تقسيم بخارى كان يهدف أن تصبح مركزاً للعروبة والإسلام.

وبعد أن فتح الأمير قتيبة مدينة سمرقند قام بتوطين مجموعة من المسلمين المختارين من المدنيين إلى جانب الجنود المسلمين، وكان منهم العالم الضحاك بن مزاحم^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكانت مهمته سد الاحتياجات الدينية لطائفة المسلمين فكان بمثابة المرشد وكان له (٣٠٠٠ طالب)^(٣).

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٤؛ وينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣١؛ د/ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٥٤.

(٢) هو الضحاك بن مزاحم: الهلالي البلخي الخراساني، أبو محمد، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وهو صدوق في نفسه، روى عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعن الأسود، وسعيد بن جبير، وعطاء، وطاووس، وطائفة، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما، وحديثه في السنن لا في الصحيحين، وقد ضعفه يحيى بن سعيد، وقيل: كان يدلّس، وله باع كبير في التفسير والقصص، عن قيس بن مسلم قال: كان الضحاك إذا أمسى بكى فيقال له، فيقول: لا أدري ما سعد اليوم من عملي، وروى سفيان الثوري، عن أبي السوداء، عن الضحاك، قال: أدركتهم وما يتعلمون إلا الورع، وقال قرة: كان هجيري الضحاك إذا سكت: لا حول ولا قوة إلا بالله، وروى ميمون أبو عبد الله عن الضحاك، قال: حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً، وتلا قول الله: ﴿وَلَكِنْ كُؤُوفٌ رَبِّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، توفي الضحاك سنة اثنتين ومائة، وقيل سنة خمس ومائة، وقيل سنة ست ومائة، رحمه الله رحمة واسعة. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥ ص ٤٧٠، ٤٧١.

(٢) ينظر: د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٤٣٥، ٤٣٦؛ د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢٠٩، ٢١٠؛ د/ هدى

كما يوجد في سمرقند قبر الصحابي الجليل "قثم بن العباس" رضي الله عنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعد قبره مزاراً مقدساً للمسلمين هناك، وقد أقيم على قبره فيما بعد مسجد كبير ومدرسة للعلوم الإسلامية، وقد ذكر ابن بطوطة "أن أهالي سمرقند يزرون هذا القبر مساء كل يوم أحد وخميس يقومون بتقديم النذور فيه ويذبحون حيواناتهم عنده"^(١) "وقد عرف ضريحه باسم "مزار شاه زنده" أي السلطان الحي"^(٢).

وهكذا فقد كان لهذا الفعل الحكيم من الأمير قتيبة الأثر الكبير على الدعوة الإسلامية، حيث أقبل السكان بعد ذلك على الدخول في الإسلام عن حب واقتناع، بمجرد فهمهم لتعاليمه السمحة، رغم وجود عدة معتقدات قديمة في تلك المناطق إلا أنها لم تصمد أمام الدين الإسلامي الحنيف.

ومما سبق يتبين أن الأمير قتيبة قام بتوطيد النفوذ العربي الإسلامي في المدن والمراكز التجارية الكبرى في آسيا الوسطى، وقد وصلت عملية التوطين هذه حتى الشاش (طشقند حالياً) وفرغانة.

درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٣٩.

(١) قلت: وهذا مخالف لهدى النبي صلى الله عليه وسلم وخرق لعقيدة التوحيد، فمما لا شك فيه أن تقديم النذور والقرايين للمزارات شرك، وسبب ذلك الجهل، فقد ظن الجهال في تلك القبور التي بنيت عليها القباب وأقيمت حولها المساجد أن أصحابها ينفعون ويضرون، وأنهم يغيثون من استغاث بهم، ويقضون حوائج من التجأ إليهم، فقدموا لهم النذور والقرايين، حتى صارت أوثاناً تعبد من دون الله تعالى.

(٢) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ١ ص ٤٢٠؛ الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ٦٦ حاشية رقم ٣؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ١٩٠.

ثالثاً: خطب الأمير قتيبة للجنود الفاتحين وأثر ذلك في الدعوة إلى

الله ﷻ (١):

جاء الأمير قتيبة إلى خراسان فوجد الفتن قد عصفت بجيش المشرق الضخم الذي كان يقوده المهلب بن أبي صفرة وابنه يزيد، فلما عرضه لم يجد فيه إلا ثلاثمائة وخمسين درعاً، فالتجأ إلى آخر حمى يلتجئ إليه كل جيش في الدنيا - إلى الحمى الذي لا ينال من احتمى به، إلى الحصن الذي لا يؤخذ من تحصن به - وهو الإيمان بالله تعالى، فقام يخطب في هذه البقية من جيش يزيد بن المهلب، ويذكرهم بالله، ويرغبهم ثوابه، ويحضهم على الجهاد لإعلاء كلمة الله لا من أجل المال والبطولة والمجد؛ الجهاد الذي يثمر إحدى الحسنين، وهز بذلك نفوسهم فطرح عنها أثقال الأحقاد والشهوات والأهواء (٢)، فكانت هذه الكلمات حين مست جوانب الإيمان في النفوس قد ازدادت الجيش عدداً

(١) والدعوة إلى الله معناها الدعوة إلى دينه، واتباع هدايته، وتحكيم منهجه في الأرض، وإفراده - تعالى - بالعبودية والاستعانة والطاعة، والبراءة من كل الطواغيت التي تطاع من دون الله، وإحقاق ما أحق الله، وإبطال ما أبطل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وبعبارة موجزة هي الدعوة إلى الإسلام خالصاً متكاملأً، غير مشوب ولا مجزأ، ومثل هذه الدعوة تحتاج إلى دعاة أقوى وأبطال عظام، قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم. د/ يوسف القرضاوى: ثقافة الداعية، ص ٣ بتصرف يسير.

(٢) وتعد الخطابة الدينية من أقوى وسائل نشر الدعوة فيها تفض المنازعات وتقطع الخصومات، وهي التي تثير الحماس في النفوس الفاترة وتهدي النفوس الثائرة، وهي التي ترفع الحق وتخفف الباطل وتقيم العدل وترد المظالم وتهدي الضالين إلى طريق الهدى والرشاد، وتشد أواصر الأخوة بين أفراد المجتمع. د/ معاذ عبد الله أبو غزاة: الدعوة إلى الإسلام أصول وآداب، ص ٨٨.

إلى عدده وعدة إلى عدته، فإذا هو جيش جديد قوي، لو رمى به المرامي لاستجاب له، ولو اقتحم به البحر لاقتحمه، ولو رام به الجبال لدكها، وكذلك تجدد الجيوش وتعد للظفر (١).

وكان مما قال "إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضةً والعدو وقماً (٢)، ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق وكتاب ناطق، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣)، ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْفُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥)، ثم أخبر عن قتل في سبيله أنه حي مرزوق، فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٦)؛ فتنجزوا موعود ربكم، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم وإيبي والهويني (٦).

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٤، ٧٣٥؛ الشيخ/ محمد الخضري: الدولة

الأموية، ج١، ص٤٩٤، ٤٩٥؛ علي الطنطاوي: رجال من التاريخ، ص٩٧.

(٢) وَقَمًا: أَي ذُلًّا.

(٣) سورة التوبة، آية: ٣٣، سورة الصف، آية: ٩.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٠، ١٢١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ص٧٣٤؛ بسام العسلي: قتيبة بن مسلم الباهلي، ص٥؛

وهكذا رأينا أن الأمير قتيبة قد انتقى في خطبته السابقة مجموعة من الآيات التي توضح حجة القتال وذريعته ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾ ثم هو يذكرهم بحسن ثواب الآخرة ﴿ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وقد يقال أن استشهاد الأمير قتيبة بهذه الآية قد جاء عفويًا ودونما عمد للحض على القتال، ولكن ذكر هذه الآية في منطقة عمليات تكثر فيها الأودية الصعبة والمناطق الوعرة، إنما هو كاف لإثارة الحماسة ودفع المقاتلين إلى احتمال كره القتال مع ما في ذلك من نصيبٍ ومشاق لنشر دين الله عز وجل، والنتيجة مضمونة بيقين وهي إحدى الحسينيين (إما العزة في الدنيا، أو الفوز بأجر الشهادة في الآخرة).

ثم نراه - أيضًا - يتابع نفس الأسلوب في الحض على القتال عندما أراد فتح مدينة سمرقند معتمداً على صلابة العقيدة الدينية، وذلك عندما أشار عليه المجشر بن مزاحم بذلك، فخطب قتيبة الناس قائلاً: إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن، وهذه الصغد شاغرة برجلها، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا، منعونا ما كنا صالحنا عليه طرخون، وصنعوا به ما بلغكم، وقال الله: ﴿ فَمَنْ تَكَّنْ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)، فسيروا على بركة الله، فإني أرجو أن يكون خوارزم والصغد كالنضير وقريظة، وقال الله: ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى

الشيخ / محمد الخضري: الدولة الأموية، ج ١، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

(١) سورة الفتح، آية: ١٠.

كُلِّ شَيْءٌ قَدِيرًا ﴿١﴾.

فتراه بعد اتخاذ كل الترتيبات الضرورية يخاطب جنده بقوله: (سيروا على بركة الله) وهو يحض على قتال المرتدين وفقاً لمضمون الآية الكريمة ونصها ﴿ فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ فيربط بين غدر المرتدين في خراسان وغدر يهود النضير وقريظة بما كانوا قد عاهدوا عليه الرسول ﷺ ويذكهم بالآية ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ وهو يطالب جنده بتصفية جيوب التمرد على نحو ما سبق تنفيذه في الحكم على يهود النضير وقريظة، ويظهر ذلك كله عمق العقيدة الدينية في نفس قتيبة، واستلهامه الشواهد من نصوص القرآن الكريم للحض على القتال، ثم هو ينهج أسلوب القرآن ذاته في محاولة إثارة المقاتلين وتحريضهم على الجهاد، فحين وصل إلى سمرقند قال: إنا إذا نزلنا بساحة قوم: ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (٢).

ومن خطبه - أيضاً - في الحض على القتال لنشر دين الإسلام ما قاله لقوة الفرسان التي أرسلها لردع أبناء الملوك حتى لا يأخذوا المسلمين على غرة: "إنَّ عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم، وتأييده إياكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم، كل ذلك لينصركم الله عليهم، فأجمعوا على أن يحتالوا عزتكم وبياتكم، واختاروا دهاقينهم وملوكهم، وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم، وقد فضلكم الله بدينه، فأبلوا الله بلاءً حسناً، تستوجبون به الثواب، مع الذب عن أحسابكم" (٣).

(١) سورة الفتح، آية: ٢١.

(٢) سورة الصفات، آية: ١٧٧.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص١٧ بتصرف يسير.

وهكذا فقد رأينا من خلال ما سبق من خطب الأمير قتيبة أنه لم يقاتل من أجل غنم قريب أو حبا في سفك الدماء وإذلال المغلوبين أو غير ذلك، وإنما كان هدفه الدائم للحرب هو (نشر الإسلام وقتال أعداء المسلمين)، وهو بذلك يشترك مع المسلمين جميعاً في وضوح الهدف والعمل من أجله؛ فقد خلفوا الدنيا وهم قادرون عليها، وأسرعوا إلى حسن ثواب الآخرة.

▣ رابعاً: اصطحاب الأمير قتيبة للعلماء والصالحين وأثر ذلك في

الدعوة إلى الله:

لقد كان يثلج صدر الأمير قتيبة أن يدخل المدينة الجديدة فيشرح للناس هداية الإسلام، ويقرئهم آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ فكان يصطحب معه من أئمة المسلمين وعلمائهم من يسرون مع الجيوش الباسلة، ويدع في كل مدينة من العلماء من يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فكانوا يأمرون الناس بالعدل والإحسان، وينهون عن الفحشاء والمنكر، وقيمون الدعائم الرفيعة للقيم والأخلاق الإسلامية، فيحيون المساواة العادلة في أمم تنازعها الإقطاع، وتعدد بها الطغاة، وتآله فيها الحجر، وعبد الصنم والكواكب والنار من دون الله^(١)؛ مما جعل أعداد المسلمين في زيادة مستمرة، إلى الحد الذي جعل بعض الولاة يأخذون الجزية ممن أسلموا، حرصاً منهم على الأموال، بحجة أن كثرة المسلمين من أهل البلاد وإعفائهم من الجزية قد أضر بيت المال، وهو الإجراء الخاطيء الذي أزاله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

(١) ينظر: د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٩ بتصرف يسير؛ د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٤٣٦، ٤٣٧.

الذي خطت حركة انتشار الإسلام في عهده في بلاد ما وراء النهر، وفي غيرها من البلاد المفتوحة خطوات كبيرة^{(١)(٢)}.

ولقد اتصف الأمير قتيبة بحبه للعلماء والصالحين، كما كان يحرص على تقريبتهم وإكرامهم، وطلب الدعاء منهم خاصة أثناء الاشتباك مع الأعداء، فيقول الأصمعي: "لما صاف قتيبة بن مسلم للترك وهاله أمرهم، جعل يكثر السؤال عن محمد بن واسع، فقيل هو ذاك في الميمنة جامع على قوسه يبصبص بأصبعه نحو السماء، قال تلك الإصبع أحب إلي من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير"^(٣)، فلما فتح الله عليهم قال لمحمد: ما كنت تصنع؟ قال: كنت آخذ لك بمجامع الطرق^(٤).

وقيل خرجت إليهم الترك ذات مرة فبعث إلى المسجد ينظر من فيه فقيل له ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه فقال قتيبة: إصبعه تلك أحب إلي من ثلاثين ألف عنان^(٥).

(١) فلقد بعث لولياته حينما أخبروه أن الناس تدخل في دين الله أفواجاً وبذلك تمتنع الجزية والخراج التي كانت تملأ خزائن بني أمية، فكتب إليهم هذا الخليفة الراشد: "إن الله قد بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه جابياً وإني على سنة محمد ﷺ". د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٤٣٧؛ وينظر: د/ محمد عادل عبد العزيز: التفسير العلمي لحركة الفتوح الإسلامية والتعريب، ص ٧٥.

(٢) د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٤٣٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦ ص ١٢١؛ عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج ٣ ص ٢٦٧.

(٤) د/ حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها؛ ص ٢٤٦.

(٥) ينظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج ٣ ص ٢٦٧؛ الأصبهاني: حلية الأولياء، ج ٢ ص ٣٥٣،

ولما عوتب على أنه كان يجرى الأرزاق على محمد بن واسع وهو شيخ هرم ضعيف قال إن أصبعه في الدعاء أبلغ في النصر من رماحكم هذه^(١).

وهذا أيضاً أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسي البصري^(٢)، وهو من التابعين، سمع ابن عباس، ومعاوية، وأنس، وغيرهم، وكان أحد علماء زمانه، فكان يصطحبه الأمير قتيبة معه في جيشه، وكان يوليه بعض الأمور، ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كان يستشيره فيمن يوليه خراسان^(٣).

وهكذا رأينا أن الأمير قتيبة كان يصحب معه من العلماء والصالحين، وذلك لما فيه من الانتفاع بالتعلم منهم، واستشارتهم أو التبرك بدعائهم في الغزو ونحوه.

❏ خامساً: السماح بقراءة القرآن باللغة الفارسية:

ومن أهم التطورات الإسلامية التي اتخذها قتيبة في المنطقة السماح

والدعوة إلى الله ليست شعاراً من كلمات حماسية تلهب المشاعر وتثير العواطف وقتاً محدوداً، وليست فنا يقوم على المواهب الشخصية والقدرات النفسية للفنان، وليست دعاية تتلاعب بالعواطف لتصنع مواقف مستهدفة لدى الجماهير، وإنما هي دعوة تقوم على أصالة الموضوع، وشرف الوسيلة، وعلمية المنهج، والاعتبار بالتاريخ. د/ كمال مصطفى محمد: مقدمة في علم الدعوة الإسلامية، ص ٣٩.

(١) ينظر: ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٣ ص ١٨٠، ١٨١ بتصرف كثير.

(٢) هو أبو مجلز لاحق بن حميد بن شيبه بن خالد بن كثير بن خنيس بن عبد الله بن سدوس السدوسي، مات بالكوفة قبل الحسن بقليل، والحسن مات سنة عشر ومائة، ويروى أن أبا مجلز كان يؤم بالحي في رمضان، وكان يختم في سبع. السمعي: الأنساب، ج ٣ ص ٢٥٩.

(٣) ينظر: السمعي: الأنساب، ج ٣ ص ٢٥٩؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤ ص ٦٩، ٧٠؛ محمد السيد إبراهيم البساطي: الحياة العلمية في مرو، ص ١١٣.

للمسلمين بقراءة القرآن باللغة الفارسية، ومن الأسباب التي دعت له لذلك والتي رجحها العرب في العهود الأولى للإسلام في بخارى: تسهيل دخول الشعب المحلي في الدين الإسلامي؛ وقد ظهر هذا التطور كمسألة اجتماعية كبرى، فلقد دار الكثير من المناقشات حول إجازة تعليم القرآن بالفارسية وصحته فقهياً، حيث أجاز بعض الأئمة وعلى رأسهم الإمام أبو حنيفة^(١) قراءة القرآن باللغة الفارسية، وقد تناولها أيضاً الإمام (شمس الدين السرخسي) والذي كان له رسوخ في الفقه الحنفي، حيث استند على طلب الإيرانيين بترجمة سورة الفاتحة إلى الفارسية، فقد كتبوا خطاباً إلى "سلمان الفارسي" بهذا الخصوص، وأجابهم سلمان إلى ما طلبوا وترجم الفاتحة إلى الفارسية وأرسلها لهم، ويوضح السرخسي: أن الإيرانيين قد قرءوا هذه الترجمة في صلواتهم، وأجازها الإمام أبو حنيفة بناء على تلك الحادثة^(٢).

(١) أبو حنيفة: واسمه النعمان بن ثابت مولي لبيبي تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل وهو صاحب الرأي، أجمعوا على أنه توفي ببغداد في رجب سنة (١٥٠ هـ)، في خلافة أبي جعفر، وهو ابن سبعين سنة. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ٣٦٨.

(٢) ينظر: السرخسي: المبسوط، ج ١ ص ٣٦، ٣٧؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٨؛ د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٥، وتفصيل المسألة أن الإمام السرخسي يقول: إذا قرأ في صلواته بالفارسية جاز عند "أبي حنيفة" رَحِمَهُ اللهُ ويكرهه، وعند "أبي يوسف" و"محمد" - رحمهما الله، وهما من أصحاب أبي حنيفة - لا يجوز إذا كان يحسن العربية وإذا كان لا يحسنها يجوز، وعند "الشافعي" رَحِمَهُ اللهُ لا تجوز القراءة بالفارسية بحال ولكنه إن كان لا يحسن العربية وهو أُمِّي يصلي بغير قراءة، وكذلك الخلاف فيما إذا تشهد بالفارسية أو خطب الإمام يوم الجمعة بالفارسية، فالشافعي يقول: إن الفارسية غير القرآن قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣] وقال الله تعالى: ﴿ وَوَجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] فالواجب قراءة القرآن فلا يتأدى بغيره بالفارسية،

وهكذا فقد سمح الأمير قتيبة للعجم بقراءة القرآن باللغة الفارسية، وذلك كإجراء مؤقت لتسهيل دخولهم في الإسلام، مستنداً في هذا القرار على ما قام به الصحابي الجليل سلمان الفارسي، وقد أجاز هذا الرأي مذهب فقهي معتبر، ولكن تبقى الحقيقة الثابتة وهي أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير اللغة العربية التي أنزل بها على قلب النبي ﷺ وهذا رأي الجمهور من العلماء.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى الجهد الكبير الذي قام به الأمير قتيبة في الإصلاح الديني والدعوي في بلاد ما وراء النهر، وقد تمثل ذلك في اهتمامه العظيم ببناء المساجد، ومراقبة مدى تمسك أهل البلاد بالإسلام، والعمل تعليمهم أخلاق الإسلام ومزاياه، وذلك من خلال تسكين بعض الأسر العربية

والفارسية من كلام الناس فتفسد الصلاة.

وأما "أبو يوسف" و"محمد" - رحمهما الله - فقالا: القرآن معجز والإعجاز في النظم والمعنى فإذا قدر عليهما فلا يتأدى الواجب إلا بهما، وإذا عجز عن النظم أتى بما قدر عليه كمن عجز عن الركوع والسجود يصلي بالإيماء. وأما "أبو حنيفة" فاستدل بما روي أن الفرس كتبوا إلى "سلمان الفارسي" رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية، ثم الواجب عليه قراءة المعجز والإعجاز في المعنى فإن القرآن حجة على الناس كافة وعجز الفرس عن الإتيان بمثله إنما يظهر بلسانهم والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ولا محدث واللغات كلها محدثة فعرفنا أنه لا يجوز أن يقال إنه قرآن بلسان مخصوص كيف وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُجُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٦] وقد كان بلسانهم؛ ولو آمن بالفارسية كان مؤمناً وكذلك لو سمي عند الذبح بالفارسية أو لبي بالفارسية فكذلك إذا كبر وقرأ بالفارسية؛ وروى الحسن عن أبي حنيفة رحمهما الله: أنه إذا أذن بالفارسية والناس يعلمون أنه أذان جاز، وإن كانوا لا يعلمون ذلك لم يجز؛ لأن المقصود الإعلام ولم يحصل، ثم عند "أبي حنيفة" إنما يجوز إذا قرأ بالفارسية إذا كان يتيقن بأنه معنى العربية فأما إذا صلى بتفسير القرآن لا يجوز لأنه غير مقطوع به. ينظر: السرخسي: المبسوط، ج١ ص ٣٧ بتصرف بسيط.

المسلمة معهم، هذا فضلاً عن اصطحابه لبعض العلماء المخلصين وتركهم في البلاد المفتوحة يدعون إلى الله تعالى.





المبحث الرابع

جهوده في الإصلاح الفكري والحضاري

▣ أولاً: إنشاء الربط والزوايا:

أ. أهميتها ودورها في الإسلام:

الرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب^(١)، وهو شعبة من شعب الجهاد^(٢)، ومنه ربط الخيل بإزاء العدو^(٣)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٤)، وقيل إن أصل الرباط: ما تربط فيه الخيول ثم أطلق على كل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم^(٥).

قال الشاعر:

أمر الإله بربطها لعدوه في الحرب إن الله خير موفق

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة "ربط"، ج٧ ص٣٠٢.

(٢) أحمد عبد الباقي عبد الكريم حسن: تاريخ جرجان، ص١٤٧.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص٣٩٤.

(٤) من الآية (٦٠) من سورة الأنفال.

(٥) المقرئزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢ ص٤٢٧.

وقال مكحول بن عبد الله:

تلوم على ربط الجياد وحبسها وأوصى بها الله النبي محمدا^(١) وعلى ذلك فالرباط يشبه ما يسمى الآن: بـ "الثكنات العسكرية"^(٢)، والرباط هو الملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل، ثم سُمِّي كل ملازم لشعر من ثغور الإسلام مرابطاً، فارساً كان أو راجلاً^(٣)، دون أي طمع مادي في الأجر، أو الحصول على المراتب، كما هو شأن الجنود المحترفين^(٤).

والرباط في الإسلام من أفضل أنواع الجهاد، فقد أمر به الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥). وورد عن النبي ﷺ عدة أحاديث تبين فضله ومكانته في الإسلام^(٦).

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص٣٩٤.

(٢) د/ الخطيب: تاريخ التربية الإسلامية، ص٣٧. أو هو زاوية أو ثكنة أو خانقاه يرباط بها المتطوعون لمدة يعينونها لحراسة الثغور البرية أو الصحراوية. عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، جامعة الدول العربية، ص٦٠.
(٣) الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١ ص٣٤٥؛ د/ حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص١٣٣.

(٤) شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، ص٥٥٦.

(٥) الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران. ومعنى الآية الكريمة: "اصبروا" على الطاعة والمصائب وعن المعاصي. "صابروا" كونوا أشد صبراً من أعدائكم. "رابطوا" من الرباط وهو: ملازمة المكان بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين، أي أقيموا على الجهاد. "تفلقون" تفوزون بالجنة وتنجون من النار. ينظر: البخاري: الجامع الصحيح المختصر، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ج٣ ص١٠٥٩.

(٦) ومنها: ما رواه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها،

ولقد كانت للرباطات أهمية عسكرية واجتماعية وعلمية عظيمة، حتى بلغ عددها بإقليم ما وراء النهر حوالي عشرة آلاف رباط^(١). ورغم أن تلك الرباطات أنشئت لأغراض عسكرية لكنها لعبت دوراً اجتماعياً وعلمياً كبيراً، حيث قصدها المتطوعون من العلماء والزهاد وغيرهم^(٢).

وقد نتج عن هذا التواجد للعلماء والزهاد والطلاب بالرباط قيام حركة علمية نشطة بين المرابطين، خاصة بعد أن صارت الرباطات بيوتاً للزهاد والصوفية^(٣)، كذلك كانت بمثابة المأوى والملاذ والملجأ للقادة الإسلاميين الذين يتولون ويحملون على عاتقهم مسئولية انتشار الدين الإسلامي^(٤).

والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها". صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ج ٣ ص ١٠٥٩، برقم (٢٧٣٥)؛ ومنها ما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان"، و"أمن الفتان" ضبطوا أمن بوجهين، أحدهما: أمن بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو، والثاني: أمن بضم الهمزة وبواو، وأما الفتان فقال القاضي: رواية الأكثرين بضم الفاء جمع فاتن، قال: ورواية الطبري بالفتح. ينظر: مسلم: صحيح مسلم، ج ٣ ص ١٥٢٠، رقم (١٩١٣)؛ ومنها ما رواه النسائي من حديث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل". النسائي: السنن، ج ٦ ص ٣٩، رقم (٣١٦٩)، وعلق عليه الشيخ الألباني بقوله: حديث حسن.

(١) دائرة المعارف الإسلامية: مادة "الرباط"، ج ١ ص ٥٠٨١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: مادة الرباط، ج ١ ص ٥٠٨٢؛ د/ حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١٣٣.

(٣) المقرئزي: الخطط، ج ٢ ص ٤٢٧؛ أحمد عبد الباقي عبد الكريم حسن: تاريخ جرجان وحضارتها، ص ١٤٨.

(٤) أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ١٧٢.

ب. جهود الأمير قتيبة في إنشاء الربط:

لقد أدرك الأمير قتيبة مكانة الربط وأهميتها، لذا قام بإنشاء مجموعة كبيرة منها، والتي كانت بمثابة أماكن لإقامة وإيواء الفاتحين المسلمين يقيم فيها رجال التصوف ومريديهم، وقد أقيمت على شكل بيوت الفكر، وكانت لها بصماتها في النواحي الصوفية، وكانت تبدا مؤسسات نصف عسكرية أقيمت بشكل خاص من أجل تأمين إطعام المجاهدين إلى جانب رعاية إبلهم، وقد أنشئت بالجهود الذاتية^(١).

وقد تأثر المسلمون في هذه المناطق بهذه الروح الجديدة التي بثها فيهم الأمير قتيبة وتأثروا بتضحياته وحماسته، فانفقوا الكثير من أموالهم وثرواتهم في سبيل الله، وشادوا كثيراً من هذه الربط، لدرجة أنهم كانوا يتسابقون فيما بينهم في ذلك حتى بلغ عدد الرباطات في بلاد ما وراء النهر ما يربو على العشرة آلاف رباط.

ويوضح الاصطخري هذا الأمر فيقول "إنَّ الأغنياء في الدول الإسلامية كانوا يتسابقون في إنفاق أموالهم في الأشياء السيئة التي تغضب الله مثل القمار وشرب الخمر وغيرها، وقليلاً منهم كانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله وفي الخيرات، لكن الوضع في التركستان وبلاد ما وراء النهر كان على عكس هذا تماماً، فقد كان الكثير من الأغنياء ينفقون أموالهم في سبيل الله، في إنشاء المؤسسات الخيرية مثل الرباطات والجسور والطرق، وقليلاً منهم كان ينفق

(١) هدى درويش: دور، ص ٢٧ بتصرف يسير.

ماله في اللهو^(١).

ويقول أيضًا: "وليس من بلد ولا منهل ولا مفازة مطروقة ولا قرية أهلة إلا بها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه، ثم يقول: وبلغني أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط^(٢). وكان يُوجد في بيكند أكثر من ألف رباط^(٣) أو مؤسسة، بتعداد قرى بخارى^(٤)، وكان المهتدون والمجاهدون المحليون يجتمعون في هذه الربط، وداخل هذه الربط نشأ المجاهدون على يد مريد أو شيخ، وكانوا يجاهدون الكفار الذين تمثلوا في الترك غير المسلمين، وشكلوا ما يعرف بجيش المتصوفة، حيث اندسوا في غمار البدو الذين يعيشون في الصحاري، وبذلك باتت هذه الربط التي أخذت شكل التكايا أو الزوايا فيما بعد مركزًا لنشر الإسلام وتعليم أحكام الشريعة الإسلامية، ومركزًا لإعداد الصوفية المجاهدين الذين حملوا على عاتقهم نشر الإسلام في آسيا الوسطى^(٥)". وكان لهذه الربط أو المعسكرات دور بالغ الأهمية في انتشار

(١) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٦٢، ١٦٣ بتصرف بسيط.

(٢) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٦٣.

(٣) قال صاحب كتاب الأقاليم: كل بلدة بما وراء النهر لها مزارع وقرى إلا بيكند، فإنها وحدها، غير أن بها من الرباطات ما لا أعلم ببلد من البلدان مما وراء النهر أكثر منها، بلغني أن عددها نحو (ألف رباط) ولها سور حصين، ومسجد جامع، قد تنوق في بنائه، وزخرف محرابه، فليس بما وراء النهر محراب مثله، ولا أحسن زخرفة منه. ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٥٣٣؛ الاضطخري: المسالك والممالك، ص ٧٥؛ وينظر: ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، ص ٢٥ حاشية رقم ١.

(٤) الترشيخي: تاريخ بخارى، ص ٣٦.

(٥) ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٥٣٣؛ الاضطخري: المسالك والممالك، ص ٧٥.

الإسلام وتطوره بين الشعب المحلي" (١).

وفي فصل الشتاء وهو وقت غلبة الكفار، كان يتجمع هنالك من كل قرية جمع غفير للغزو، وينزل كل قوم برباطهم (٢). وهكذا يتضح جلياً مدى أهمية الربط وأن الإقامة فيها والحياة في الثغور تعبر نوعاً من أنواع الجهاد، ومن يموت فيها فهو شهيد كما لو مات أثناء الحرب والقتال، هذا فضلاً عما تقوم به من تربية روحية وعقلية، وقد أدرك الأمير قتيبة تلك الأهمية فقام بإنشاء عدد غير قليل من تلك الربط، والتي كانت لها بصماتها الواضحة على كثير من النواحي وخاصة على الناحية الفكرية والحضارية.

▣ ثانياً: تحويل بخارى إلى مركز إسلامي:

إنَّ من أهم النتائج التي ترتبت على فتح بخارى وأكسبت حركات الأسلمة قوة؛ إنشاء الجوامع الكبيرة في المنطقة، ومن أهم هذه الجوامع جامع "ماء روز"؛ الذي أقامه قتيبة بعد أن أتم الفتوحات السياسية، ورسخ الإسلام في المنطقة، وكان بناء هذا الجامع أمراً ليس سهلاً، فقد تم بناؤه بعد مرور خمس سنوات، قضاها قتيبة في جهادٍ وصبرٍ عظيمٍ، دون أن يدركه الملل أو السأم (٣).

وكانت لهذه السياسة التي اتبعها قتيبة في فتح بخارى من بناء المساجد وإنشاء الربط وتسكين الأسر العربية مع سكان البلاد المفتوحة أن أقبل أهلها على تعلم اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - لدراسة القرآن والحديث والعلوم

(١) هدى درويش: دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٧.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٦.

(٣) هدى درويش: دور التصوف، ص ٣٤.

الإسلامية المختلفة فما هي إلا فترة يسيرة حتى تحولت بخارى إلى مركز إسلامي لمختلف العلوم والفنون.

وتحويل المنطقة إلى مدينة ومركز إسلامي، لم يكن هيناً؛ فقد كانت بخارى مركزاً علمياً وثقافياً لمختلف الأديان الآسيوية القديمة، حيث الكنائس النسطورية، ومعابد النار الزرادشتية، والمعابد البوذية، فكانت تلك الفترة فترة عصيبة؛ من أجل إخضاع سكان المدينة للدين الجديد، وتأسيس دور العبادة فيه، إلا أنه في النهاية وُفق في مسعاه، وأسس الجامع الذي ترفع فيه المآذن للصلاة^(١).

وقد أصبحت بخارى مركز إشعاع الشرق في العلم والثقافة والحضارة الإسلامية، ومن هنا جاء وصفها "بقبة الإسلام" كما أطلق عليها النرشخي، و"عش العظمة" و"كعبة الملك" و"منجم علماء الزمان" و"المكان الذي أنجب نجوم الأدب في العالم" على حد قول الثعالبي^(٢).

▣ ثالثاً: الآثار الطيبة التي تربت على الإصلاح الفكري في هذه البلاد:

مما لا شك فيه أن الإسلام لم ينتشر بالصورة الكاملة في بلاد ما وراء النهر بمجرد انتصار قتيبة فإن دين كل إنسان متغلغل في أعماقه ولا يمكن انتزاعه بانتصار في موقعة أو بناء مسجد في مكان؛ لذلك لاقى المسلمون بادئ الأمر رهقاً عسيراً في نشر الدين الإسلامي، كما لاقى الذين أسلموا من الوثنيين مقاومة عنيفة من ذويهم حتى هدى الله النفوس للحق، فأشرق نور الإسلام

(١) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٧؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٤ ص ١١٥.

طواعية واختياراً، ورأى هؤلاء من سماحة المسلمين ما حببهم في الإسلام، وأدناهم منه، ولم تمض سنون حتى أصبحوا من أنبغ أهله علمًا وعملاً، حيث ظهر الكثير من العلماء الأفاضل الذين حملوا لواء العلم، وساهموا في بناء الحضارة الإسلامية والإنسانية^(١) وما زالت أسماءهم حتى اليوم تدل على عظمة أصحابها، وتخلد ذكراهم. ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر: الإمام البخاري^(٢) (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، والإمام مسلم^(٣) (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)، والترمذي^(٤) (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)،

(١) ومن الجدير بالذكر أن كثير من هؤلاء العلماء قد عمل في بلاد أمير المؤمنين هارون الرشيد وأصبحوا خير مترجمين لكثير من الكتب واللغات عن القبطية والأشورية والسانسكريتية واليونانية والرومانية فأثروا مكتبة بغداد التي ضمت مئات الآلاف من المخطوطات النادرة، وكان لهؤلاء العلماء العظام دور في إيقاظ أوروبا في القرون الوسطى، وكانوا سبباً في قيام النهضة الأوروبية، وكان لأهل تركستان علاقات حميمة مع العرب وبغداد ومصر التي قامت بها الدولة الطولونية بولاية أحمد بن طولون البخاري من (عام ٢٥٤-٢٩٢هـ). ينظر: د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٤٤ نقلاً عن نصر الله مبشر الطرازي: تعلم اللغة الأوزبكية، ص ١٠.

(٢) إمام المحدثين، وهو من بخارى كما تدل عليه نسبته.

(٣) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور، أشهر كتبه (صحيح مسلم)، جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة، في الحديث، وقد شرحه كثيرون، ومن مصنفاته - أيضاً - كتاب الأسماء والكنى، وكتاب المفرد، وكتاب الطبقات وغير ذلك. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠ ص ٣٨١؛ السمعاني: الأنساب، ج ٤ ص ٤٨٢؛ ابن النديم: الفهرست، ص ٣١٥.

(٤) الترمذي: هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغي الترمذي، أبو عيسى: من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في

والنسائي^(١) (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م)، والطبري^(٢) (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م)،
والماتريدي^(٣) (٣٣٣هـ / ٩٤٤م)،

بعض شيوخه، وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره، وكان يضرب به المثل في الحفظ، مات بترمذ؛ من تصانيفه: (الجامع الكبير) باسم (صحيح الترمذي) في الحديث و(الشمال النبوية) و (التاريخ) و (العلل) في الحديث. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٢٧٨؛ السمعاني: الأنساب، ج١ ص ٤٣٥، ٤٣٦؛ ابن النديم: الفهرست، ص ٣١٨.

(١) النسائي: هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي، صاحب السنن، القاضي الحافظ، شيخ الإسلام؛ وأصله من نسا (بخراسان) وجال في البلاد واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة (بفلسطين) فستل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، وأخرج عليلاً، فمات، ودفن ببيت المقدس، وقيل: خرج حاجاً فمات بمكة، ومن تصانيفه: (السنن الكبرى) في الحديث، و (المجتبى) وهو السنن الصغرى، من الكتب الستة في الحديث، و(الضعفاء والمتروكون) وغير ذلك. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١ ص ٧٧؛ السمعاني: الأنساب، ج٥ ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع؛ ومن مصنفاته: (أخبار الرسل والملوك) و(جامع البيان في تفسير القرآن) في ٣٠ جزءاً، و(اختلاف الفقهاء) و(المسترشد) في علوم الدين، وغير ذلك، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. ينظر: السمعاني: الأنساب، ج٤ ص ٢٤، ٢٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ١٩١، ١٩٢.

(٣) الماتريدي: هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه (التوحيد) و(أوهام المعتزلة) و(الرد على القرامطة) و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل) و (تأويلات القرآن) و(تأويلات أهل السنة)، و(شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة)، مات بسمرقند رَحِمَهُ اللهُ. ينظر: الزركلي: الأعلام، ج٧ ص ١٩؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ١١ ص ٣٠٠.

والفارابي^(١) (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، والقفال الشاشي^(٢) (٣٦٥هـ/ ٩٧٦م)،
والخوارزمي^(٣) (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، والسمرقندي^(٤) (٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)،
والجوهري^(٥) (٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)،

(١) الفارابي: هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول)؛ وهو أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل، مستعرب، ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام، وتوفي بدمشق، كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره، وكان زاهداً في الزخارف، لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب، يميل إلى الانفراد بنفسه، له نحو مئة كتاب، منها (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها) و (آراء أهل المدينة الفاضلة) وغيرها. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص١٥٣، ١٥٤.

(٢) القفال الشاشي: هو محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، القفال، أبو بكر، من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، من أهل ما وراء النهر، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، وعنه انتشر مذهب (الشافعي) في بلاده، مولده ووفاته في الشاش (وراء نهر سيحون) رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام، ومن كتبه (أصول الفقه) و(محاسن الشريعة) و(شرح رسالة الشافعي). ينظر: السمعاني: الأنساب، ج٤ ص٥١٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٢٠٠، ٢٠١.

(٣) الخوارزمي: هو محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، باحث، من أهل خراسان، له كتاب "مفاتيح العلوم" ألفه وأهداه للوزير العتبي (عبيدالله بن أحمد)، ويعد كتابه من أقدم ما صنفه العرب، على الطريقة الموسوعية Encyclopedique، قال المقرئزي: وهو كتاب جليل القدر. ينظر: الزركلي: الأعلام، ج٥ ص٣١٢، ٣١٣.

(٤) السمرقندي: هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (أبو الليث، إمام الهدى) فقيه، مفسر، محدث، حافظ، صوفي، من تصانيفه الكثيرة: النوازل، في فروع الفقه الحنفي، تفسير القرآن، تنبيه الغافلين، خزنة الفقه على مذهب أبي حنيفة، وبستان العارفين في الآداب الشرعية. ينظر: الزركلي: الأعلام، ج٥ ص٢٤٨؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج١٣ ص٩١.

(٥) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، من ولد أبي رافع مولى رسول الله، وهو

وابن سينا^(١) (٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م)، والبيروني^(٢) (٤٤٠ هـ / ١٠٤٧ م)، والبيهقي^(٣) (٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م)،

أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله، وخطه يذكر مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان، وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو)، ومبتكر طريقة للمعاجم سار عليها صاحب القاموس ولسان العرب وغيرهما، ودخل العراق صغيراً، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور، وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فزادهم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلًا. الزركلي: الأعلام، ج ١ ص ٣١٣.

(١) ابن سينا: هو العلامة الشهير الفيلسوف، أبو علي، الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية، فقال: كان أبي تولى التصرف بقرية كبيرة، ثم نزل بخارى، فقرأت القرآن وكثيراً من الأدب ولي عشر، ثم ذكر مبادئ اشتغاله، وقوة فهمه، وأنه أحكم المنطق وكتاب إقليدس إلى أن قال: ورغبت في الطب، وبرزت فيه. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢ ص ١٥٧، ١٥٨؛ د/ علي محمد عبد الوهاب: حضارة دين، ص ١٢١.

(٢) البيروني: هو محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، فيلسوف رياضي فلكي، طبيب، أديب، لغوي، مؤرخ، من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنف كتباً كثيرةً جداً متقنةً، رأى ياقوت فهرستها بمرو، في ستين ورقة بخط مكتنف، وياقوت مكث من النقل عن كتبه، منها "الآثار الباقية عن القرون الخالية" ترجم إلى الانجليزية، و"الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب" و"الجواهر في معرفة الجواهر" و"تاريخ الأمم الشرقية" وغير ذلك. ينظر: السمعاني: الأنساب، ج ١ ص ٤٥١؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ٣١٤.

(٣) البيهقي: هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، من أئمة الحديث، ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات، ونقل جثمانه إلى بلده، قال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف، ومن مؤلفاته "السنن الكبرى" و"دلائل النبوة" وغيرها. السمعاني: الأنساب، ج ١ ص ٤٦١، ٤٦٢؛

الغزالي^(١) (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)، والزمخشري^(٢) (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٤م)،
والفرغاني^(٣) (٥٩٢هـ / ١١٩٦م)، وغيرهم من العلماء الكثيرين في مجالات
الشريعة والطب والهندسة والفلك وغير ذلك^(٤).

الزركلي: الأعلام، ج١ ص ١١٦.

(١) الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصة طوس، بخراسان)، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده، نسبه إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزاة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص ٢١٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٧ ص ٢٢.

(٢) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، كان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو، لقي الأفاضل والكبار، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها، ومن أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) و (المفصل) ومن كتبه (المقامات) و (الجمال والامكنة والمياه) و (المقدمة) معجم عربي فارسي، مجلدان، و (مقدمة الأديب) في اللغة، و (الفاثق) في غريب الحديث، و (المستقصى) في الأمثال، مجلدان، وغير ذلك كثير. ينظر: السمعاني: الأنساب، ج٣ ص ١٨١، ١٨٢؛ الذهبي: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص ١٦٨، ١٦٩.

(٣) الفرغاني: هو الحسن بن منصور بن محمود بن عبد العزيز الأوزجندي، الفرغاني، الحنفي، المعروف بقاضي خان فقيه مجتهد في المسائل، من تصانيفه: (الفتاوى) في أربع مجلدات، والمحاضر، وشرح أدب القاضي للخصاف، وشرح الزيادات للشيباني، وشرح الجامع الصغير للشيباني في فروع الفقه الحنفي. الزركلي: الأعلام، ج٢ ص ٢٢٤ بتصرف يسير؛ وينظر: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٣ ص ٢٩٧.

(٤) ينظر: د/ سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ١٢؛ د/ طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢١٥؛ د/ إبراهيم أحمد العدوي: المجتمعات الإسلامية، ص ١٤٥، ١٤٦.

ولقد أصبحت بلدان وسط آسيا تمثل مراكز إشعاع ثقافي، وحضاري، كما أن أكبر وأعظم وأصح الكتب التي كتبت في الحديث والسنة قد ألفت في هذه المدن المرفهة مثل بخارى وسمرقند وطشقند وترمز^(١).

ومن خلال ما سبق رأينا كيف استطاع الأمير قتيبة -بفضل الله تعالى- أن يقضى على الأفكار الفاسدة في هذه البلاد وأن يوجهها نحو التربية الروحية والعقلية السليمة، حتى أصبحت بما نبغ فيها من علماء منارة في بناء الحضارة الإسلامية والمجتمعات الإنسانية؛ لما اشتملت عليه من عقيدة التوحيد لله وحده، وحسن المعاملة، والسلوك المتسامح بين البشر.

كما أفرزت هذه البلاد - أيضاً - العديد من القادة العسكريين، الذين كانوا بمثابة الدرع الواقي للدولة الإسلامية، حيث تصدوا بدورهم للخطر المغولي في موقعة عين جالوت (١٢٦٠م) وانتصروا عليهم^(٢).



(١) ينظر: د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام: نظرات في تاريخ

الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ٢١.

(٢) أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ٦.



المبحث الخامس

جهود الأمير قتيبة بين المادحين والقادحين

أولاً: المادحين:

لقد كان نجاح الأمير قتيبة بن مسلم في توطيد الحكم في آسيا الوسطى وإجراءاته السياسية والدينية سبباً في جعله موضع تقدير واحترام وإعجاب من المؤرخين، سواء كانوا غربيين أو إسلاميين، فقد أحدث ردود فعل واسعة لدى الكتاب الذين أدهشهم سياسته في الفتوح التي قام بها، وشجاعته المنقطعة النظير وانتصاره على أعدائه، فقد تحدث عنه (راسونى) من أشهر كتاب الغرب في كتابه "العصية التركية في التاريخ" قائلاً: إنه فاتح طريق الإسلام في هذه البقاع وإنه قوة ساقط الإسلام في مجراه الذي أخذه في المنطقة^(١).

ويقول "لويس ب" في كتابه "العرب في التاريخ": إن قتيبة جعل بحركته العسكرية الناجحة الحكم العربي فيما وراء نهر جيحون مستقراً بأحسن أشكال الاستقرار، وأمن في معركة الإسلام مع الأديان الأخرى سيادة سياسة الإسلام^(٢).

(١) ينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ١١٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

أما "موير" فيعتبر قتيبة واحداً من أعظم أبطال الإسلام؛ ويذكره "جب" فيقول: إن قتيبة أرسى الأساس الذي استند عليه الحكم الإسلامي فيما بعد في بلاد ما وراء النهر، وعلى الرغم من أن الأجزاء العلوية من هذا البناء لم تكن قوية بدرجة تجعلها تحتمل عواصف السنوات القادمة إلا أن الأساس قد أرسى بشكل رصين مكين^(١).

وقال عنه النرشخي: "لقد بذل قتيبة جهداً جهيداً ومساعي حثيثة من أجل نشر الإسلام وبذر بذرة هداية الإسلام في قلوب الناس فليجعل الله -تعالى- ثواب هذا الخير ذخيرة آخرته^(٢)."

أما "ابن كثير" فقد عظم دور قتيبة تعظيماً كبيراً ووصفه بأنه "واحد من أعظم الأمراء، وهو قائد وبطل عظيم، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يُحصيهم إلا الله^(٣)."

وبحق فإن قتيبة يعد من أعظم القادة الفاتحين وأشجعهم، حيث فتح أقاليم شاسعة وكتب الله على يديه هداية كثيرٍ من البشر لا يعلم عددهم إلا الله عَلَّمَهُ.

ثانياً: القادحين:

وكما أن كثيراً من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين قد أثنوا على ما قام به الأمير قتيبة، فإن هناك بعضاً من المستشرقين الغير منصفين قد أنكر تلك

(١) ينظر: جب (هـ. أ. ر) الفتوحات العربية في وسط آسيا، ص ٤٨.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٧ بتصرف يسير.

(٣) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٥.

الأعمال العظيمة لهذا القائد المحنك، وأخذ يعزو تلك الانتصارات لأسباب أخرى لا دخل للفروسية أو الشجاعة فيها، مخالفين في ذلك شعب التركستان الذين تحدثوا عن الأمير قتيبة كأسطورة قلما وجود الزمان بمثلها، وأنه وليٌّ من أولياء الله الصالحين.

فيقول كارل بروكلمان: "إن انتصار القائد العربي قتيبة بن مسلم في معارك سمرقند وبخارى كان بسبب نشوب خلافات بين أمراء الأسرة الحاكمة عرف قتيبة كيف يستغلها"^(١).

ومن هؤلاء المستشرق المسيحي المتعصب (ويلهاوزن) الذي اتهم الأمير قتيبة بأشد المآل والالتهامات، فهو يرى أن قتيبة في حروبه كان طاغية وظالمًا، حيث يقول: "إن قتيبة مدين في انتصاراته ونجاحه إلى موت الضمير فيه"^(٢).

"وهذا ليس بغريب فمن المعروف أن كثيرًا من المستشرقين^(٣) الغير منصفين لا يعزون انتصارات العرب المسلمين إلى أي عامل ايجابي، مثل الشجاعة والصبر والمهارة في القتال وقوة المعنويات بسبب عقيدة الجهاد

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١ ص ١٣٧، ١٣٨.

(٢) ينظر: محمود محمود أبو الفيض: الطرق الصوفية في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٧١.

(٣) والإستشراق هو ذلك الاتجاه الفكري الذي يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية من حيث لغتها وآدابها وفنونها وعلومها ومعتقداتها وعادات أهلها وتقاليدهم، والمستشرق هو ذلك العالم الغربي الذي يهتم بعلم الشرق أو علم العالم الشرقي وخصوصاً الحضارة العربية الإسلامية. د/ محمد على عتاقى: المستشرقون ومنهجهم في دراسة التاريخ الإسلامى، ص ٣؛ وينظر: د/ يوسف عيد: دراسات التبشير والإستشراق، ص ١٣؛ سامى خشبة: مصطلحات الفكر الحديث، ج١ ص ٦١، ٦٢.

والإيمان، بل نجدهم يعزونها عموماً إلى الفرقة والخذلان لدى الطرف الآخر" (١).

لقد واجه الأمير قتيبة شعوباً تدين بعقائد فاسدة كثيرة مثل الزرادشتية والبوذية والمناوية وغيرها - وكانت شعوباً شديدة التعصب لمعتقداتها - ومع ذلك استطاع حرق أصنامهم بجرأة وشجاعة لا نظير لها؛ ولا عجب فقد كان قائداً عسكرياً فذاً وبطلاً سياسياً بارعاً يعمل لإعلاء كلمة الله ولا يثنيه عن عزمه إلا الموت، كما يرجع له الفضل - بعد الله ﷻ - في تشييد الجوامع في كل منطقة يقوم بفتحها، كما كان يجزل العطاء لكل من يؤدي الصلاة، إلى جانب تأسيس عدد من المؤسسات الخيرية والدينية التي أطلق عليها "الربط" بهدف إيواء الفاتحين المسلمين، التي كانت تعمل على تأمين إطعام المجاهدين ورعاية دوابهم، حيث ظهر منهم فيما بعد ما يعرف بجيش المتصوفة الذين قاموا بدور كبير في الدعوة إلى الله تعالى في هذه البلاد.

ومن الغريب أن يتهم الأمير قتيبة - الذي نشر الإسلام بهذه الصورة الفريدة - من قبل بعض المستشرقين بأنه أجبر الناس على الدخول في الإسلام، أو أنه كان يعمل لمجده الشخصي.

ولا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الإدعاء، وإن كان هناك من بعض الإجراءات التي يبدو أنها أظهرها القسوة والشدة من الأمير قتيبة، فإنها كانت لها أسبابها ودوافعها، حيث كانت عادة أهل هذه البلاد الغدر ونقض العهود وكانوا

(١) ا.د/ فاروق عمر فوزي: الإستشراق والتاريخ الإسلامي، ص ٩٩ بتصرف يسير.

يدعون أنهم مسلمون، ثم لم يلبثوا أن يشقوا عصا الطاعة على الخليفة عندما تنسحب جيوشه من البلاد.

ولقد كان من أهم ما تتميز به سياسة قتيبة بن مسلم هو اتجاهه إلى الناحية السلمية، ما دامت تؤدي إلى النجاح، وعدم اللجوء إلى الحرب إلا في الحالات التي تستوجب ذلك، وإلا فلماذا كان يقبل الجزية ممن يرفضون اعتناق الإسلام؟ ولا عجب أن رأينا مسلمي آسيا الوسطى يضعون اسم قتيبة بين أسماء العظماء!

"ولكن من المؤسف أن أعداء الإسلام مدفوعين بغيظهم، وقد بذلوا قصارى جهدهم لغرس هذه الصورة - انتشار الإسلام بحد السيف، وأن الإسلام دين إرهاب^(١) - في أذهان الأجيال، والإسلام بعيد كل البعد عن هذا^(٢)، فإن من أبرز آداب الحرب في الإسلام هو الرحمة الخالصة بالمخالفين

(١) ومفهوم الإرهاب له أصل في الإسلام، لكن ليس كما يدعيه أعداء الإسلام ويثونه في عقول الأمم والشعوب، "فالإرهاب في الإسلام وسيلة بناء غايتها حماية الأمة الإسلامية من حروب محتملة، حالة أو متوقعة مستقبلاً؛ وذلك بتخويف الأعداء من القوة الدفاعية لا العدائية، فهو بمثابة مصل شاف يمنع الأمراض المؤكدة الإصابة أو المحتملة". ذكي علي السيد أبو غضة: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، ص ١٢٧؛ وينظر: د/ محمد عمارة: الإسلام والآخر، ص ٥٤: ٦٠.

(٢) إن الإسلام لم يأمر بالقتال لإجبار الناس على اعتناق الدين، وبناء مملكة عظمى، وإقامة كيان اقتصادي قوي، وقهر المخلفين وإذلالهم، وغير ذلك من الافتراءات التي لا يقرها عقل ولا يقول بها باحث يحترم الحقيقة، ويتحلى بالمصادقية، ولكن أمثال هؤلاء الحاقدين لا يخلوا منهم زمان أو مكان يبغونها عوجاً ويصدون عن دين الله؛ إن القتال في التشريع الإسلامي منهج وليس ضرورة، إنما هو منهج يستخدم عند الضرورة التي تجعله وحده هو الوسيلة لإقرار السلام، إذاً فالقتال في الإسلام له أسباب: منها رد الاعتداء، ومنها القتال لنصرة ضعفاء

انطلاقاً من الغاية الأساسية للحرب، وهي الحرص على دخول الناس في الإسلام رحمة بهم في دنياهم وآخرتهم، فلا يسعد المسلم بإراقة الدماء، وإزهاق الأرواح، وإشاعة الدمار والخراب في المخالفين، وهذه صورة ربانية مشرقة لا تعرفها العقول المتعصبة الساعية إلى الدنيا، ولا تقربها الأمم المتغترسة؛ وأحاديث النبي ﷺ وأفعاله وأفعال خلفائه وقواد المسلمين العظام ترجمت هذه الرحمة سلوكاً مطبقاً وعملاً خالداً لا يمحي مع الزمن من القلوب ولا من صفحات التاريخ البيضاء^(١).

"وإن والواقع التاريخي ليشهد أن هذه الفتوحات لم تكن عسكرية فحسب، بل كانت فتوحات دينية ولغوية وثقافية، فانتشر الإسلام واللغة العربية والثقافة الإسلامية في البلاد المفتوحة بخطى حثيثة، كما تغيرت معها أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية، بحيث يمكن القول أن هذا العالم الفسيح أصبح عالمًا إسلاميًا واحدًا، فالسيادة الإسلامية على هذه الرقعة الواسعة لا تنازع، والإسلام هو الدين الغالب في سماحته، المسيطر في رحمته، الحاكم في عدل؛ لم تأخذه نشوة النصر على البطر أو الظلم، ولم يحمله الظفر على إذلال المغلوبين"^(٢).

المسلمين الذين يتعرضون لظلم الكفرة، ومنها أن يبدأ المسلمون قتال الكفرة إذا رفضوا انتشار وانطلاق الإسلام لأنه رسالة عالمية، فهو قتال لإظهار دين الله وتطبيق شرائعه، وليس المقصود قتل غير المسلمين أو إكراههم على اعتناق الإسلام. ينظر: د/ أحمد شلبي: الإسلام، ص ١٨٥: ٢٠٠؛ أ.د/ عبد الغفار عزيز: الدعوة الإسلامية بين التنظيم الحكومي والتشريع الديني، ج ٢ ص ١٢٦: ١٥٢.

(١) د/ محمد عبد السميع جاد: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية، ص ٣٢؛ بتصرف يسير.

(٢) أ.د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٣٧١، بتصرف

فهذا (توماس أرنولد) في كتابه النفيس "الدعوة إلى الإسلام" يرد تلك الإدعاءات الباطلة وهو يصف الفتوحات الإسلامية فيقول:

"إنَّ هذه الفتوحات المذهلة التي أرست دعائم الإمبراطورية العربية لم تكن بالتأكيد نتيجة حرب مقدسة شنت لنشر الإسلام، بل كانت فتوحات أعقبها ارتداد عن الدين المسيحي على نطاق واسع بحيث صارت هذه النتيجة ترى على أنها كانت الهدف من الفتوحات؛ وهكذا صار المؤرخون المسيحيون ينظرون إلى السيف على أنه وسيلة الدعوة الإسلامية، وفي ظل ما عزي للسيف من انتصارات ألقيت الغشاوة على جهود الدعوة الإسلامية الأصيلة"^(١).

ويقول أيضًا:

"ولم تكن القوة أو العنف سببًا في كثرة تحول الناس إلى الإسلام، والدليل على ذلك تلك المعاملة التي عامل بها العرب من ظل من الفرس على تمسكه بدينه القديم، ولا يزال إلى الآن في بعض جهات فارس جماعات صغيرة من عبدة النار، ولقد قاسوا فيما بعد كثيرًا من الاضطهادات، في حين كان أسلافهم في القرون الأولى للهجرة يتمتعون بقسط وافر من الحرية"^(٢).

ويقول المستشرق غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب": "سيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصارهم أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، وأن العرب تركوا المغلوبين أحرارًا في أديانهم، فإذا حدث أن

يسير؛ أ.د./ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، ص ١٥٧، ٢١٦، ٢١٧.

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٦٤ بتصرف يسير.

(٢) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٣٨، ٢٣٩ بتصرف يسير.

انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له، فذلك لما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى؛ والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، وإن أنكر ذلك المؤرخون^(١).

أين هذا من واقعنا المرير^(٢)، حيث الحروب الأخيرة في فلسطين وأفغانستان والعراق وغيرهما من بلاد الإسلام، فنرى أنه لا اعتبار لأدنى الحقوق البشرية، لا سيما للمدنيين والشيوخ والأطفال والنساء، ولا ضابط لهذه القوة العاشمة إلا بقوة أكبر منها؛ مما يعنى مزيداً من الدمار والخراب، ولا هدف من وراء تلك الحروب إلا الاستعمار والقهر والإذلال، ومن ثم إذا ضلت الوجهة وانحرفت الغاية فلا تسل عن شيء بعد ذلك، وما نحن وهم إلا كما يقول القائل "رمتني بدائها وانسلت"^(٣).

وبعد فمهما قيل في شأن الأمير قتيبة بن مسلم الباهلي ومهما وجه إليه من اتهامات فسوف يبقى اسمه من الأسماء اللامعة المضيئة في سماء التاريخ الإسلامي؛ ذاك البطل الشجاع الذي هدلا الله على يديه الآلاف من البشر، ووجه مدناً كبخارى وسمرقند وغيرها لتكون مراكز مشرفة للحضارة الإسلامية ومنابت لغرس الإسلام في وسط آسيا فجزاه الله خير الجزاء وجعل الجنة مثواه.

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٨ بتصرف يسير.

(٢) قلت: إن شريعة الإسلام قد أدخلت امرأة النار في هرة حبستها - دون طعام ولا شراب - حتى ماتت، وهؤلاء يتشددون بعبارات مزيفة من حقوق الإنسان وخلاف ذلك، وأيديهم تتلطف بدماء الأطفال والشيوخ والنساء من المسلمين صباح مساء.

(٣) د/ محمد عبد السميع جاد: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية، ص ٣٤ بتصرف يسير.



المبحث السادس

أحوال الدعوة الإسلامية في آسيا الوسطى بعد الأمير قتيبة

■ أولاً: الأمويون بعد قتيبة:

ولقد ترتب على وفاة الأمير قتيبة حدوث نوع من الجمود لعدة عقود فضلاً عن تراجع الفتوحات العربية فيما وراء نهر جيحون، وقد واجه الأمويون مشاكل جمة في تلك البلاد كان من أبرزها طموحات الأمراء الأتراك الذين أبقاهم الأمويين يحكمون بلادهم تحت السيادة الإسلامية، وكان معظم هؤلاء الأتراك تربطهم بالدولة الأموية معاهدات نظمت العلاقات بين الطرفين - وبصفة خاصة التعاون المالي والعسكري- ولكن هؤلاء الأمراء كانوا يحاولون القفز فوق تلك المعاهدات مستغلين فترات الضعف والاضطراب التي كانت تمر بها الدولة الأموية في أواخر أيامها، والتي امتلأت بحوادث الصراع بين الأمراء الأتراك الثائرين والعمال الأمويين، ومن أمثلة ذلك ثورة أمير فرغانة بعد وفاة قتيبة ومحاولته استرداد نفوذه القديم، وثورات بخارى وسمرقند، لكن الدولة الأموية لم تتهاون في مواجهة تلك الثورات وقمعها، ونجحت في إخضاع أغلب الأمراء الذين بدءوا يدخلون في الإسلام خاصة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي دعاهم للدخول في الإسلام ورفع الجزية عن من أسلم منهم^(١).

(١) حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٥٠، ١٥١، ١٥٤.

وفي الحقيقة فإن الولاة الأمويين بعد قتيبة أي في الفترة الممتدة من سنة (٩٦هـ) إلى سقوط الدولة الأموية على يد أبي مسلم الخراساني^(١) سنة (١٣٢هـ) - باستثناء عمر بن عبد العزيز - لم يهتموا بحركة الفتوح الإسلامية ولم يساعدوا في تطويرها وعملوا على استمرارية الأوضاع كما هي؛ وذلك لأنهم كانوا يسعون لمآرب أخرى وهي ازدياد شهرتهم التي استمرت لسنوات طويلة في تركستان^(٢).

وظلت الدولة الأموية والأتراك الشرقيون في صراع يتبادلون النصر والهزيمة حتى رجحت كفة الدولة الأموية على يد الوالي الشجاع "أسد بن عبد الله القسري" (١١٧ - ١٢١هـ / ٧٣٥ - ٧٣٨م) و"نصر بن سيار" (١٢١ - ١٣١هـ / ٧٣٨ - ٧٤٨م) الذي حظي بمكانة في تاريخ الجهاد الإسلامي في تلك البلاد لا تقل عن مكانة "قتيبة بن مسلم" فهو الذي حمى بلاد ما وراء النهر من خطر الأتراك الشرقيين^(٣).

وهكذا توقفت الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر بعد وفاة الأمير قتيبة، وحدثت حركة تراجع للعرب في المنطقة خلال عهد الأمويين؛ حيث كانت جهود الدولة الأموية بعد وفاة الأمير قتيبة منصرفة إلى تثبيت الفتوحات من ناحية، وصد خطر الأتراك الشرقيين فيما وراء نهر سيحون من ناحية أخرى.

(١) أبو مسلم الخراساني هو: عبدالرحمن بن مسلم صاحب الدعوة لبني العباس بمرو، قتل سنة (١٣١هـ). ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١ ص ١٨١.
 (٢) ينظر: د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٤٥.
 (٣) ينظر: د/ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٥٣.

ثانياً: عهد الدولة العباسية في آسيا الوسطى:

وفي عهد الدولة العباسية تم مواصلة السياسة التي انتهجها الأمويين رغم أنها كانت تواجه الخطر الصيني المتمثل في الأطماع الصينية في آسيا الوسطى، والتي كانت ترمي إلى الاستيلاء على طرق التجارة التي تعبرها القوافل من الشرق الأقصى إلى بلاد ما وراء النهر، ثم إلى موانئ البحر الأسود والبحر الأبيض ثم إلى أوروبا^(١).

وكانت أعظم الانتصارات العربية في آسيا الوسطى تلك التي انتصر فيها العباسيون على الصينيين في معركة "طالاس" سنة (١٣٤هـ/ ٧٥٢م)^{(٢)(٣)}.

وفي عهد العباسيين انتشر الأمن على الحدود وشجع العباسيون الأتراك على اعتناق الإسلام بالإكثار من استخدامهم في الإدارة، بل وفي الجيش نفسه، وفي الحقيقة فإن العباسيون قد توسعوا في باب توظيف أتراك آسيا الوسطى داخل أجهزة الدولة أكثر بكثير مما فعله الأمويون حيث أنشأ "الفضل بن يحيى البرمكي" فرقة كبيرة من الأتراك بلغ تعدادها خمسين ألفاً في منطقة خراسان بعث بها إلى بغداد.

ولكن لما ضعف أمر الخلافة في بغداد، وانتقل مركز الثقل إلى الممالك

(١) ينظر: ا.د/ محمد عادل عبد العزيز: تاريخ الإسلام في المشرق، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٥١؛ مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ج ١ ص ١٠٧.

(٣) ينظر: حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٥٧؛ د/ شيرين عبدالمنعم حسنين: مسلمو تركستان، ص ١٥.

المستقلة أو شبه المستقلة، التي انقسم إليها العالم الإسلامي^(١) تعاقب على آسيا الوسطى دويلات عديدة - استقلت عن الخلافة العباسية - تفاوتت في الأخذ والعطاء في مضممار الدعوة والحضارة الإسلامية، فقد حكمها الطاهريون والصفاريون والسامانيون، والغزنويون، والسلاجقة، والخوارزميون، والمغول، والتموريين، وآل شيان، والصغديون، ثم الاستعمار الروسي والقيصري في العصر الحديث، وكانت لكل دولة من تلك الدول سمات حضارية مختلفة عن غيرها نوجز الحديث عن بعضها مما كان لها الأثر الواضح على الدعوة الإسلامية في تلك البلاد.

▣ ثالثاً: آسيا الوسطى تحت حكم الطاهريين:

وفي مطلع القرن الثالث الهجري ومع انتهاء العصر العباسي قامت في المنطقة حركات استقلالية عن الدولة العباسية (٢٠٥-٢٥٩هـ / ٨٢٠-٨٧٣م) بدأت بالدولة الطاهرية.

وقد حكم الطاهريون البلاد حكماً مستقلاً وكانت عاصمتهم "نيسابور"، ولقد كانت سياستهم ترمي إلى تثبيت دعائم الأمن لإسلامي، واهتموا بالإصلاحات الداخلية اهتماماً بالغاً، وظلت قائمة حتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وقاموا بتشجيع الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر نفسها، وبدأت مدارس بخارى وسمرقند في الانتشار والقيام بدورها العلمي

(١) د/ عبدالحليم منتصر: تاريخ العلم، ص ٣٨؛ د/ شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢٠١.

والثقافي، وقد امتاز الطاهريون بحب الكتابة والشعر، وكانت اللغة العربية لغة الحديث والأدب عندهم^(١).

ولقد أصبحت ما وراء النهر في عهد الطاهريين بلداً إسلامياً، وكان المجاهدون يفتدون إليها للمشاركة في جهاد الأتراك الشرقيين وحماية دار الإسلام^(٢).

▣ رابعاً: آسيا الوسطى في عهد السامانيين^(٣): (٢٦١-٣٨٩هـ / ٨٧٤م-

٩٩٩م):

ازدهرت الدعوة الإسلامية في عهد الدولة السامانية، حتى كانت بخارى وسمرقند وبلخ ومرو تحت حكمهم منارات للعلوم الدينية، يفتد إليها الطلاب للدراسة، وعندما رحل المقدسي إلى إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر في العهد الساماني، امتدحهم في الحكم، وقال: "إنهم أحسن سيرة، وهذا فضلاً عما عرف عنهم من إجلال العلم وأهله"، وقال في وصف خراسان في العهد الساماني: "إنهم من أشد الناس تمسكاً بالحق، وهم بالخير والشر أعلم"، كما أقر بعلمهم الكثير، وحفظهم العجيب، واستقرار الأمور في خراسان، وانتشار

(١) ينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، ص ٢٨١،

٢٨٢؛ د/ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص ٥٩.

(٢) ينظر: حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٦٦.

(٣) حكمت الدولة السامانية في آسيا الوسطى قرابة مائة وخمسة وأربعين عاماً، ويرجع نسبها إلى أسرة فارسية عريقة في مدينة بلخ، وكانت تدين بالديانة الزرادشتية حتى أسلم جدهم سامان في خلافة هشام بن عبد الملك، وقد نال السامانيون تقدير الخليفة المأمون فولاهم على بلاد ما وراء النهر. ينظر: د/ محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي، ج١، ص ٢٨٣.

الرخاء فيها^(١).

ولقد تميز العصر الساماني بدخول الكثير من الأتراك في الإسلام حيث قدر تعداد الذين اعتنقوا الإسلام في ذلك الوقت ما يقرب من مليون نسمة، فما كاد القرن الرابع الهجري ينتصف حتى أسلم جميع الأتراك الشرقيين وانتشر الإسلام في المنطقة شرقاً وغرباً^(٢).

▣ خامساً: آسيا الوسطى في عهد الغزنويين^(٣):

وفي سنة (٣٨٩هـ/ ٩٩٨م) استطاع السلطان محمود بن سبكتكين هزيمة الجيش الساماني بالقرب من مرو، فانهارت بذلك الدولة السامانية وقامت الدولة الغزنوية^(٤).

ولقد بلغت الدولة الغزنوية أوج اتساعها في عهد سلطانها محمود الغزنوي،

(١) ينظر: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٢٩: ٢٤٠.

(٢) د/ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٧١ بتصرف يسير.
(٣) وترجع أهمية هذه الدولة إلى سلطانها محمود الغزنوي الذي أمسك بزمام الزعامة في القسم السني من العالم الإسلامي تحت ظل الخلافة العباسية في بغداد، فقام بنشر الإسلام في بلاد الهند من خلال غزواته لهذه البلاد التي استمرت أكثر من ربع قرن من حكمه الذي ظل أربعة وثلاثين عاماً من سنة (٣٨٧هـ: ٤٢١هـ)، والتي صبغها بصبغة الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام، ودين الله الحق، حيث قضى على البدع والأهواء وبني المساجد والجوامع، واستبدل بيوت الأصنام بمساجد الإسلام لذا صار من أبطال المسلمين الذين ذكروا بلقب "الغازي"، كما منحه الخليفة العباسي لقب "يمين أمير المؤمنين". د/ شيرين عبدالمنعم حسنين: مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، ص ١٨-١٩. للباحث رسالة دكتوراه عن الدولة الغزنوية.

(٤) ينظر: الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ١٥٥؛ ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص ٣٥٧.

حيث امتد سلطانه فشمّل الجزء الشمالي من شبه القارة الهندية من جهة الشرق والعراق من جهة الغرب، وخراسان وطخارستان وقسمًا من بلاد ما وراء النهر من جهة الشمال، وسجستان من جهة الجنوب، فأصبحت أقوى دولة طفت على سطح الخلافة العباسية، حتى قيل إن فتوحه تعدل في المساحة فتوح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١).

ولقد حدثت حركات التمرد والعصيان ضد الدولة الغزنوية في كل مكان بعد موت السلطان محمود، فلم تسلم البلاد من الضر والأذى الذي لحق بها من الخارجين على الدولة الغزنوية وذلك في سنة (٤٢٤هـ / ١٠٣٢م) (٢).

وبقي الحال فيها على ذلك حتى سقطت الدولة الغزنوية تحت ضربات السلاجقة الأتراك، وتعتبر الدولة الغزنوية من أكبر الدول في تاريخ الإسلام، نظرًا لما وفقت إليه من توسيع رقعة الإسلام في شمال الهند وكشمير (٣).

▣ سادساً: آسيا الوسطى في عهد السلاجقة:

وتعتبر المصادر أن تأسيس دولة السلاجقة كان عام (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)، على يد أحد أحفاد سلجوق ويدعى (طغرل بن ميكائيل)، بعد تغلبه على الغزنويين، وتمكنه من الاستيلاء على خراسان، حيث استولى على مرو، ونيسابور، وبلخ، وجرجان، وطبرستان، وخوارزم، وهمذان، والري،

(١) د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٢٣٤.

(٢) تنظر تفاصيل كل هذه الحركات عند: د/ عصام عبدالرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة ص ٨٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: د/ علي محمد الصلابي: دولة السلاجقة، ص ٢٩.

وأصفهان^(١)، ثم حظي باعتراف الخليفة العباسي بشرعية قيام دولته؛ وكان قيام دولة السلاجقة حدثاً بارزاً في تاريخ العالم الإسلامي، لأنَّ السلاجقة ظهرُوا على مسرح التاريخ في صورة دولة فتية قوية، أمسك سلاطينها بزمام الزعامة في القسم السني من العالم الإسلامي تحت ظل الخلافة العباسية في بغداد، كما كانوا حماة دولة الخلافة، فسعوا إلى نشر الإسلام في البلاد الغير إسلامية، لذلك كانوا يسمون جنود الخلافة العباسية المخلصين^(٢).

ثم حدثت أمور كثيرة متلاحقة ومتشابكة إلا أنه بموت السلطان سنجر^(٣) سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) زال سلطان السلاجقة الأقوياء^(٤)، وانهارت الدولة السلجوقية.

وهكذا فقد قام السلاجقة بدور ملموس في النهوض بالمنطقة الخاضعة لهم علمياً وإدارياً ونشروا الأمن والاستقرار فيها، ورفعوا من شأن المذهب السني وعلمائه في تلك المناطق.

▣ سابعاً: آسيا الوسطى في عهد الخوارزميين:

كان سوء سياسة السلاجقة الداخلية وعدم إيجاد قانون لوراثة العرش يحترمه الجميع، من أهم العوامل التي أدت إلى انحلال دولتهم ثم زوالها،

(١) د/ محمد نصر مهنا: الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، ص ٢٦٠.

(٢) د/ علي محمد الصلابي: دولة السلاجقة، ص ٣٠؛ د/ حسن أحمد محمود، د/ أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٤٣٠.

(٣) سنجر: ولد بمدينة سنجر عام (٤٧٩هـ) وهي إحدى مدن الجزيرة والتي سمي على اسمها على عادة الأتراك. د/ علي محمد الصلابي: دولة السلاجقة، ص ١٣٦.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١١ ص ٧٦٦-٧٦٧.

وبذلك وجدها الخوارزميون لقمة سهلة ولم يجدوا صعوبة في ابتلاعها ثم زوالها، فورثوا ما كان للسلاجقة من سلطان^(١).

أخذت الدولة الخوارزمية تزداد قوة، واستطاع السلطان الخوارزمي تكش أن يهزم ويقتل آخر السلاطين السلاجقة، ويستولى على ملكهم في العراق وأصفهان والري، ولما توفي تكش سنة (٥٩٦هـ / ١١٩٩م) خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزم شاه، فسار على سياسة أبيه الرامية إلى توسيع حدود دولته، فاستولى على معظم أقاليم خراسان، واستطاع أن يبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر، وبلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها؛ إذ امتدت من حدود العراق العربي غرباً إلى حدود الهند شرقاً، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوباً^(٢).

بيد أن المغول قد قويت شوكتهم وظهروا بقوة على مسرح الأحداث، فأخذوا يلتهمون كل ما هو أمامهم، وكانوا عبارة عن أربعة جيوش، فدمروا العواصم والحوضر الإسلامية التي مروا عليها كبخارى وسمرقند وغيرهما وكان ذلك سنة (٦١٧هـ / ١٢٢٠هـ)^(٣).

وخلاصة القول: فإن الله ﷻ قد امتن على بلاد ما وراء النهر بمثل هذا القائد

(١) د/ حافظ أحمد حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، ص ٦٠.
 (٢) على أن الدولة الخوارزمية قد جاورت دولة المغول، ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين. د/ عصام عبدالرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص ٢٩٨.
 (٣) د/ عصام عبدالرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص ٣٠٥؛ وينظر: د/ مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، ص ٥٧.

-البطل الجريء- قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي لم يأل جهداً في نشر الإسلام وقاتل أعداء المسلمين؛ والذي بفضلہ - بعد الله ﷻ - استطاع الإسلام أن يشق طريقه إلى قلوب الناس وتحول أهالي ما وراء النهر بالتدريج إلى الإسلام، وأصبحت بلادهم جزءاً هاماً من العالم الإسلامي أثرت في تاريخه وحضارته تأثيراً كبيراً، وازدهرت فيه الثقافة الإسلامية، وأخرجت عدداً هائلاً من العلماء والمفكرين والقادة البارعين، وأصبحت مدن كبخارى وسمرقند وغيره من أهم مراكز الحضارة الإسلامية.

ولا أدل على رسوخ الإسلام في هذه البلاد من تمسك أهلها به على مدى القرون الماضية وحتى الآن، رغم وقوعها منذ القرن الماضي تحت براثن الحكم الشيوعي الروسي، الذي قطع الله أوصاله ومزقه شر ممزق، مما أتاح للجمهوريات الإسلامية الانتعاش والحرية الإسلامية الكاملة وأثبتوا أن المعدن الأصيل لا يتأثر بعوامل التعرية ولا عواصف الزمن وأهله، وإنما يزداد بريقاً وجمالاً وأصالةً، وهكذا ضربوا الأمثلة الرائعة في قوة العقيدة وحياتها في القلوب، وهذا ليس بغريب على الإسلام وأهله.

وأستطيع أن أستنتج من خلال هذا الفصل بعض النتائج الآتية:

١. جاء الأمير قتيبة إلى خراسان فاتخذ من مرو قاعدة له، وعمل على اكتمالها كقاعدة متقدمة للإمدادات العسكرية، كما قام بالقضاء على الخلافات العربية في خراسان - التي أدى إليها التنافس على الولاية - فنجح في توحيد صفوف العرب تحت راية الجهاد، كما أشرك أهل البلاد المفتوحة في الجيش

وفي مناصب الدولة، وبذلك ضمن تعاونهم معه لتحقيق أهدافه، وأصبح الجيش الإسلامي إلى حد ما كتلة واحدة متماسكة.

٢. ولقد كان للروح المعنوية العالية والثقة المتبادلة بين القائد قتيبة وجنده أثرها العظيم في إخضاع أقاليم كثيرة متمردة، وفتح بلاد لم يفكر القادة قبله فتحها.

٣. أدرك الأمير قتيبة دور المسجد وأهميته في التربية الروحية ونشر الثقافة الإسلامية، لذا كان أول ما يبدأ به أن يبني مسجدًا في كل بلد عقب فتحه لها، بل ربما أمر ببناء المسجد قبل الفتح كما حدث عند فتح مدينة سمرقند.

٤. ولقد كانت عادة أهل هذه البلاد أن يسلموا في الظاهر ويعودون إلى شعائرهم ومعتقداتهم الفاسدة في الباطن؛ قام قتيبة بتسكين بعض الأسر العربية معهم حتى يستطيع مراقبتهم ظاهرًا وباطنًا، إلى جانب معاقبة كل من قصر في أحكام الشريعة.

٥. كما بذل جهداً عظيماً في محاربة الخرافات والمعتقدات الباطلة، وذلك من خلال الضغوط التي مارسها على عائلات قوشان التركية، والتي كانت تنتمي إلى المجوس، وتطهير المعابد البوذية من الأصنام وحرقتها بجرأة وشجاعة لا نظير لها؛ مما كان له عظيم الأثر في دخولهم الإسلام.

٦. وبفضل الجهود العظيمة التي قام بها الأمير قتيبة في هذه البلاد، أن أصبحت تمثل مراكز إشعاع ثقافي وحضاري، حيث أنجبت الكثير من العلماء الأفاضل الذين كانت لهم بصماتهم الواضحة على الحضارة الإسلامية والإنسانية.

٧. وعلى الرغم من تلك الجهود العظيمة للأمير قتيبة إلا أن بعض المؤرخين - الغير منصفين من الغربيين - وصفوه بأنه طاغية وظالم وأنه أجبر الناس على الدخول في الإسلام، غير أنه حظي بالاحترام والتقدير من جانب كثير من المؤرخين الغربيين -أيضاً- والمسلمين وعلى رأسهم النرشخي وابن كثير.

٨. وبعد وفاة الأمير قتيبة حدث نوع من الجمود لفترة محدودة، فضلاً عن تراجع الفتوحات العربية فيما وراء نهر جيحون، ثم تعاقب على تلك المنطقة دويلات عديدة - استقلت عن الخلافة العباسية- تفاوتت في الأخذ والعطاء في مضمار الحضارة، ونشر الدعوة والثقافة الإسلامية.





خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين، الذي بفضلہ تتم الصالحات، وبرحمته تغفر الزلات، وترفع الدرجات وتتضاعف الحسنات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنَّ مما لاشك فيه أن محاولة التعرف على تاريخ أمتنا وجهود قوادها العظام ليست لمجرد المعرفة المجردة، بمعنى أن القضية ليست قضية (عبادة التاريخ) أو التعصب له، وإنما هي قضية إفادة الخلف من تاريخ السلف لاكتساب خبرة مادية ورصيد معنوي، وإن الأمير قتيبة بن مسلم ليعتبر بحق من أعظم القادة الفاتحين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ الدولة الأموية بصفة خاصة، فلقد افتتح كثيراً من المدائن في أواسط آسيا كخوارزم وسجستان وسمرقند، وغزا أطراف الصين وفرض عليها الجزية، وخضعت له بلاد ما وراء النهر كُلُّها، ومكن للدعوة الإسلامية أن تنتشر في بلاد غمرتها الوثنية بظلامها الكثيف.

ولعلَّ هذا يُعدُّ النتيجة العامة لهذا البحث، أما النتائج الجزئية لموضوعات

البحث فهي:

١. فتح الأمير قتيبة بلاد آسيا الوسطى وهي المنطقة التي أطلق عليها الجغرافيون العرب اسم "بلاد ما وراء النهر"، وتقع في حوض نهر جيحون، وسيحون، وتمتد من بحر قزوين ونهر آرال غرباً إلى سد الصين شرقاً، ومن سيبيريا ومنغوليا شمالاً إلى إيران وأفغانستان جنوباً.

٢. وتمتاز بلاد ما وراء النهر بخصوبة أراضيها، وجمال مناظرها الطبيعية الخلابة، وكثرة خيراتها، الأمر الذي جعلها من أهم الأقاليم التجارية في آسيا، كما يتصف أهلها بالخير والمبالغة في إكرام من يطرق بلادهم.

٣. وقد أطلق على تلك المنطقة في العصر الحديث اسم (تركستان الغربية)، أو الروسية والتي قسمت بعد استيلاء الروس عليها وبعد الثورة البلشفية إلى خمس جمهوريات سوفيتية هي: كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، تركمانستان، وقد نالت استقلالها في عام ١٩٩١م.

٤. وقد حكمت تلك المنطقة قبل الإسلام عدة دول مثل: الدولة الأخمينية، والدولة المقدونية، ودولة فرغانة، ودولة كاستان، والخابانية التركية وغيرها، كما ظهرت فيها العديد من المعتقدات - مثل البوذية، والمانوية، وكذلك الزرادشتية ديانة الفرس - مما كان لها انعكاسها الواضح على الناحية الاجتماعية والثقافية، ثم كانت بداية معرفتها بالدين الإسلامي في العهد الراشدي عن طريق الغزوات الخاطفة، ثم الفتح المستقر المنظم في عهد الأمويين، خاصة على القائد الشجاع قتيبة بن مسلم الباهلي.

٥. ولقد ولد الأمير قتيبة بن مسلم في عهد معاوية بن أبي سفيان بالبصرة (عام ٤٩هـ/٦٦٩م)، ونشأ على ظهور الخيل رفيقاً لل سيف والرمح، محباً

للفروسية حتى أصبح أحد الأبطال الكبار، والقواد الفاتحين العظام، ولا غرابة فقد كان أبوه مسلم بن عمرو مضرب المثل في الفتوة والبسالة، كما كان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية، ولقد أصبح من كبار أمراء بني أمية وخيرتهم، وكان شهماً مقداماً نجيباً، محباً للعلماء والصالحين حريصاً على تقريبهم رجاء الانتفاع بعلمهم ودعائهم.

٦. تولّى قتيبة إمرة الري عام (٨٣هـ / ٧٠١م) أثناء ولاية عبد الملك بن مروان، ثم ولى خراسان عام (٨٥هـ / ٧٠٤م) في أيام ابنه الوليد من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان وقتها قد تغلبت الدولة الأمويّة على جميع منابئها، واستقرت أمورُها، وأصبحت قادرةً على استئناف الفتوحات.

٧. ولم يكد الأمير قتيبة أن ينزل بخراسان حتى وضع نصب عينيه أن يفتح بلاد ما وراء النهر، ولقد امتاز على من سبقه في أنه كان يضع لكل حملة خطة ثابتة، ويحدد لها وجهة معينة، ويجتهد في الوصول إلى ما يقصده غير عابئ بالمصاعب، معتمداً على بسالته النادرة وروح القيادة التي امتاز بها، وإيمانه العميق بالله ﷻ.

٨. بيد أنه قضى عام (٨٦هـ / ٧٠٥م) في تنفيذ بعض العمليات - التي كانت بمثابة استطلاع ميداني للموقف أكثر منها عمليات قتالية - رضي فيها بالصلح وأخذ الجزية، فقد كان أول عهده يختبر الدروب، ويستطلع المسالك في بلاد لا عهد له بوهادها الصعبة وآكامها المتعددة.

٩. انطلق الأمير قتيبة في سنته القادمة لفتح مدينة بيكند فتجمعت كلمة الملوك وزحفت جموع الوثنية، ووقفوا صفّاً واحداً أمام الأمير قتيبة وحاصروه

حصاراً أليماً، ومكث شهرين لم ينفذ له رسول ولم يجز له خبر - حتى أمر الحجاج الناس بالدعاء لهم في المساجد - ثم هجم قتيبة هجوم المستميت فتحقق له نصر مبدي كان فالاً للقائد العظيم.

١٠. بيد أن فلول الجيش المنهزم قد استغاثت بأشياعها وأحلافها، وأجمع ملوك الصغد وأهل فرغانة وكش ونسف على مقاتلة المسلمين، فلم يكثر بهم قتيبة، وتقدم إلى فتح بخارى عام (٨٩هـ)، ودارت معركة رهية هزم فيها المسلمون في بادئ الأمر، وكان الوثنيون يتحصنون بنهر كبير، فحشد القائد المسلم قواته وأمر بعبور النهر إلى أعدائه من حيث يأمنون، فساد الفزع والاضطراب، وتلقفتهم أمواج النهر ورماح المسلمين، وسقطت بخارى المنيعه في أيدي المسلمين.

١١. تابع البطل الفاتح زحفه إلى شومان وسجستان والصغد وخوارزم، فكان موفق الخطوات ميمون العاقبة، ولكن الوثنية الحائرة تكتلت مرة أخرى أمامه، وهبت تقاتل في بأس مرير، يتقدمها أبناء الملوك والمرازبة والأساورة، ويقودها ابن خاقان ملك الترك، فرأى قتيبة أن يتفرغ لرسم الخطة وإدارة الموقعة، وندب أخاه صالحاً بن مسلم لقيادة الحومة ومواجهة الصفوف، ثم أمر بنصب المجانيق على أسوار سمرقند، وما زال يضر بها حتى تصدعت أركانها، وتساقطت أحجارها، واشتد الضيق بالوثنيين، فطلبوا الصلح، وانتصر الإسلام انتصاراً حاسماً، ودخل قتيبة المدينة وبنى مسجداً وصلّى فيه، وانتخب لها والياً من جنوده فاستضاءت المدينة بنور الإسلام، ورسالة سيدنا محمد خير الأنام، وترددت في جوانبها أنغام الأذان.

١٢. ثم غزا كاشغر عام (٩٦هـ)، وبعث إلى (ملك الصين) يعلمه أنه لن ينصرف عن بلاده حتى يطمأ الأرض، ويختم الملوك، ويعطى الجزية، فكان لهذا الرد الحاسم زلزال عنيف في صفوف الجيش الصيني، فخارت قوى الإمبراطور، وبعث بالجزية صاغراً مع بعض أبنائه، فكف عنه، ولولا وفاة الوليد لما رضي قتيبة، حتى يدخل بلاد الصين وينشر عليها لواء الإسلام ونور التوحيد.

١٣. وإنَّ مما يشرف الأمير قتيبة أن يصل إلى النصر الحاسم في طريقه المرسوم ظافراً مؤيداً، وأن يخضع الجيش الإسلامي لرغباته، دون أن يرتفع صوت واحد بمعارضته، وأن يزن أعوانه وجنوده فيضع كلاً في موضعه اللائق دون اعتبار لغير الكفاءة الشخصية والمقدرة الحربية حتى كلل جهاده بالتوفيق، وأصبح الجيش الإسلامي إلى حد ما كتلة واحدة تقف أمام العدو مترابطة متساندة.

١٤. ولقد كان من أبرز الصفات التي كان يتحلى بها الأمير قتيبة، الشجاعة والروح المعنوية العالية، التي كان لها انعكاسها العجيب على جنوده وسفرائه، كما كان يتصف بالقسوة والشدة التي لم تكن تتجافى مع الضوابط الإسلامية من الرحمة والعدالة وغيرها، بل كانت قاصرة على المتمردين والخونة ومن على شاكلتهم ممن لا يصلح معهم إلا السيف.

١٥. كما اتخذ الأمير قتيبة استراتيجية خاصة في المدن التي قام بفتحها تمثلت في بناء المساجد والجوامع في المدن الكبرى الهامة مثل سمرقند وبخارى وغيرها، كما أمر بأن يتنازل السكان الأصليون عن نصف منازلهم

للعرب، وقيموا معهم في نفس السكن - وذلك بسبب ما كان يقوم بها الشعب من ارتداد عن الإسلام - وبهذا الشكل يستطيع مراقبتهم ظاهرًا وباطنًا.

١٦. ومكث قتيبة والياً على خراسان عشرة أعوام لم تمر بها ليلة واحدة في راحة جسم أو هدوء بال، واضعاً نصب عينيه نشر الإسلام وقتال أعداء المسلمين، ويتضح ذلك من خلال خطبه إلى الجنود الفاتحين، وجهده البارز في محاربة الخرافات الدينية القديمة، الأمر الذي حمل أكثر الناس على الدخول في الإسلام عن قناعة واختيار.

١٧. وإلى جانب هذا أنشأ قتيبة مجموعة من المؤسسات الخيرية والدينية التي أطلق عليها الربط، والتي كانت لها بصماتها على الناحية الفكرية والعسكرية؛ ونتيجة لهذه السياسة التي اتبعتها قتيبة في تلك البلاد أن أصبحت بلدان وسط آسيا تمثل مراكز إشعاع ثقافي وحضاري، فأصبحنا نرى في أعلام الإسلام وأئمة من سمي بالبخاري، والسمرقندي، والبيهقي، والنسفي، والترمذي، والنسائي، والنيسابوري، وغيرهم من العلماء الكثيرين في مجالات الشريعة والطب والهندسة والفلك وغير ذلك.

١٨. ولقد فضل الأمير قتيبة أن يموت في حومة القتال دون أن يلقي منيته في غياهب السجن وثقل الأغلال، فأعلن مخالفته الصريحة، ولكن سهمًا طائشًا أودى بحياته، فسقط شهيداً، وصعدت روحه الباسلة إلى ربها راضية بماثرها البيضاء وجهادها الخالد، فرفعه التاريخ إلى أفق زاهر يشرق بالبطولة والكرامة والشهادة، وفي ذلك عزاء أي عزاء.

١٩. وهكذا فقد مات الأمير قتيبة الذي فرض سيادة الإسلام على بلاد ما

وراء النهر وضمها إلى المملكة الإسلامية، وجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فانتشر فيها الإسلام حتى أخرجت العظماء من كتاب المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلماهم؛ فقد كان بحق قائداً عسكرياً فذاً وبطلاً سياسياً بارعاً، قهر الصعاب، وتغلب على كل المشاكل التي واجهته، ولم يثنه عن عزمه صعوبة الطرق ووعورتها، ولا قسوة المناخ وشدته، فقد كان عزمه حديداً، وكان هدفه نبيلاً، وغايته شريفة، والعون من الله دائماً مكفول لأصحاب هذه الغايات، وسلام على البطل العظيم.

ومن الجدير بالذكر أنّ هناك تشابه في حجم المنجزات والكفاءة القيادية بين قائدين عشا في زمن واحد وأنجزا أهدافهما في فترة واحدة دون فاصل كبير بينهما هما: "قتيبة بن مسلم وموسى بن نصير" أولهما: أخضع المشرق، وثانيهما: أخضع المغرب، ومضيا إلى ربهما - دون فاصل كبير بينهما- تاركين المشرق والمغرب لله، وبقيت أعمالهما منارات تُضيء أعماق التاريخ.





توصيات البحث

ينبغي إعادة النظر في تفعيل دور الرسائل العلمية عامة، والرسائل الخاصة بدراسة القادة الفاتحين خاصة، وذلك بمحاولة نشرها، أو بعضاً منها بعد اختصارها اختصاراً غير مخل، وتقديمها للشعوب المسلمة في كل مكان في صورة كتيبات، أو حوليات، أو نشرات، أو حتى مطويات، لا سيما أهالي المناطق التي فتحها هؤلاء القادة، تذكيراً بأجدادهم وتحفيزاً لتقليدهم، وإيقاظاً للوعي عندهم، لكي يحدث تواصل فكري بين أبناء العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، متمثلاً في تلك المراكز العلمية، حيث كانت الدولة الإسلامية وحدة واحدة.

وأخص بالذكر هنا مسلمي بلاد آسيا الوسطى، فما أحوجنا لتذكيرهم، واحتوائهم، ومد يد العون لهم، بدلاً من تركهم بعد نجاتهم من براثن الدب الروسي، إلى الجماعات التبشيرية التي تسرى فيهم مسرى الليل البهيم، فتتضح من هنا أصالة الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، فيحدث بينا وبينهم التواصل المنشود، والتبادل العلمي المفقود منذ عهد، لا سيما وعندهم من الموارد الطبيعية، والثروة البترولية ما يجعلهم في مصاف الدول الكبرى.

وأقترح: لو أن هيئة من الهيئات التي تحمل هم الأمة الإسلامية تبنت فكرة جمع الرسائل العلمية ووضعها في مكان واحد أو مكتبة واحدة بدلاً من أن

تظل حبيسة الأرفف، سجينة الأدراج، وذلك ليسهل على طلاب العلم الحصول عليها، فيسهل ذلك في تطور الفكر، لكان ذلك أنفع وأجدى، على أن يكون لكل فن وعلم قسم خاص عليه متخصصون وأمناء يتسمون بالصبر والأناة، فضلاً عن العلم، مع تفعيل دور الحاسب الآلي، وشبكة المعلومات الدولية بصورة واقعية، بعيداً عن أرض الخيال والأحلام والخيالات.

وأخيراً.. أسأل الله تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيُوفِّقَنَا لِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَيُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَيُحَسِّنَ خَتَامَنَا، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا مَا وَقَعَ مِنْ خَطَاٍ عَنْ عَمْدٍ أَوْ سَهْوٍ، وَيَنْفَعُ بِهِ كَاتِبَهُ وَقَارِئَهُ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ،،،

وكتبه

دكتور/ محمد ثروت السيد عبدالرحيم

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ

وكان الفراغ منه مساء الثلاثاء ٢١ رجب ١٤٤٦ هـ / ٢١ يناير ٢٠٢٥ م

للتواصل مع المؤلف فون وواتساب ٠١٠٩١٩١٠٤٩٢ -

٠١٠٩٨٧٨٥٧٦ (٠٠٢)

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ١ - القرآن الكريم.
- * ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).
٢. الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلامية، طهران.
- * الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).
٤. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: د/ محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٩هـ.
- * الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.
٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٥هـ.

* ابن أعثم: أبو محمد الكوفي (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م).

٦. الفتوح، دار الندوة الجديدة، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن بالهند.

* الألوسي: السيد محمود شكري الألوسي البغدادى (١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م).

٧. بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

* الباجي: سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م).

٨. التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: د/ أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

* البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

٩. الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٠. التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

* ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م).

١١. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: د/ عبد المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٥هـ.

*البكري: أبو عبيد بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).

١٢. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، طبع لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.

*البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

١٣. فتوح البلدان، تحقيق أيمن محمد عرفة، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

*اليهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر اليهقي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م).

١٤. شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.

*الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى، أبو عيسى الترمذى الضرير الحافظ (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

١٥. الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

*ابن تغري: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).

١٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

*التلمساني: أحمد بن محمد المقري التلمساني.

١٧. نفتح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٨ م.

*الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م).

١٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.

*الثعالبي: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

١٩. فقه اللغة وسر العربية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٧ م.

٢٠. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: د/ مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الطبعة الأولى.

٢١. التوفيق للتلفيق، تحقيق: إبراهيم صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٢. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

*الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م).

٢٣. البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.

*ابن أبي جرادة: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م).

٢٤. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د/ سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.

*الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ/ ١٢١٠م).

٢٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

*ابن جني: أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م).

٢٦. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، تقديم: د/ عبد الحكيم راضي، الزخائر (١٤٦)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٦، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

*الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م).

٢٧. المعرب في الكلام الأعجمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، سنة ١٩٩٥م.

*ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

٢٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م.

*ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

٢٩. الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى،
سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

* ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني
(ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٣٠. لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلى
للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣١. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل،
بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ.

٣٢. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، تحقيق: د/ إكرام الله إمداد
الحق، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٣. تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة
الأولى، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٤. تهذيب التهذيب، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

*الحربي: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م).

٣٥. غريب الحديث، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم
القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

*ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي
(ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).

٣٦. جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.

*الحميري: محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م).

٣٨. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.

*ابن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م).

٣٩. العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي، دار الخاني، بيروت، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٤٠. المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

*ابن حوقل: أبي القاسم بن حوقل النسيبي (ت ٣٧٠هـ / ٩٩٢م).

٤١. صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، سنة ١٩٧٩م.

*الخطيب البغدادي: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

٤٢. تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.

*ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر محمد بن الحسن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

٤٣. التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، تقديم: أ. د/ عبادة كحيله، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر (١٥٢)، ٢٠٠٦م، مصورة عن الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

٤٤. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم: أ. د/ عبادة كحيله، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م.

٤٥. مقدمة بن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

* ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

٤٦. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٨م.

* خليفة: خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م).

٤٧. الطبقات، تحقيق: د/ أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* الخوارزمي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م أو ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م).

٤٨. مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.

* الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م).

٤٩. سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ.

*دحلان: أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م):

٥٠. الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، دار صادر، بيروت، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

*الذهبي الدمشقي: حمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي.

٥١. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو، جدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

*الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).

٥٢. دول الإسلام، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٤م.

٥٣. سير أعلام النبلاء، تقديم د/ سيد حسين العفاني، تحقيق: خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٥٤. العبر في تاريخ من غير، تحقيق: د/ صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٤٨م.

*الرازي التميمي: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م).

٥٥. الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى،
سنة ١٢٧١هـ / ١٩٥٢م.

*الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م).

٥٦. مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،
طبعة جديدة، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

*الزبيرى: أبو عبد الله المصعب الزبيرى (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م).

٥٧. نسب قريش، نشر ليفي برفنستال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة
الثالثة.

*السرخسي: محمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م).

٥٨. المبسوط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٦هـ.

*ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م).

٥٩. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،
بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

*السمعاني: الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني
(ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م).

٦٠. الأنساب، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

*السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي
(ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

٦١. تاريخ الخلفاء، اعتنى به وخرج أحاديثه: ياسر رمضان، ومحمد سيف، دار ابن الهيثم، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٦٢. إسعاف المبطل برجال الموطن، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

* ابن شاهين: عمر بن أحمد أبو حفص الواعظ (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م).

٦٣. تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

* الشهرستاني:

٦٤. الملل والنحل، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٩٦٧م.

* الاصطخري: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (المعروف بالكرخي) (ت ٣٠٩هـ / ٩٢١م).

٦٥. المسالك والممالك، تحقيق: د/ محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سنة ٢٠٠٤م.

* الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).

٦٦. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

* الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م).

٦٧. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

*الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩١٣م).

٦٨. تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: مصطفى السيد طارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

*العكري الدمشقي: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (١٠٨٩هـ / ١٦٨٦م).

٦٩. شذرات الذهب، دار الكتب العلمية، بيروت.

*ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن العماد الحنبلي أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).

٧٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

*ابن عمرو الشيباني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني (ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠م).

٧١. الأحاد والمثاني، تحقيق: د/ باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

*أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).

٧٢. تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.

*الفراهيدي: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م).

٧٣. كتاب العين، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

*أبو الفرج: عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).

٧٤. صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، د/ محمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

*ابن فضلان: أحمد ابن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م).

٧٥. رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الي بلاد الترك والخزر والروس والصلالبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٦م.

*ابن الفقيه: أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت نحو ٣٤٠هـ / نحو ٩٥١م).

٧٦. مختصر كتاب البلدان، طبع بمدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل، ١٣٠٢هـ، دار صادر، بيروت.

*الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ابن محمد الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م).

٧٧. القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- * الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م).
٧٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- * ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م).
٧٩. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د/ حافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ.
- * ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله عبد مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م).
٨٠. المعارف، تحقيق: د/ ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.
- * القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م).
٨١. الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- * القزويني: زكريا محمد بن محمود القزويني (ت ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م).
٨٢. أثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- * القلقشندي: أبي العباس أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
٨٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة.

٨٤. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٥ م.

٨٥. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، سنة ١٩٥٩ م.

*الكتاب المقدس:

٨٦. سفر التكوين، طبعة دار الكتاب المقدس.

*ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

٨٧. البداية والنهاية، تحقيق: د/ أحمد عبد الوهاب فيتح، دار الحديث، القاهرة، الطبعة السادسة، سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

*الكرديزي: أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (٤٤٢هـ / ١٠٥٠م).

٨٨. زين الأخبار، ترجمة: د/ عفاف السيد زيدان، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

*ابن ماكولا: علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م).

٨٩. الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ.

*المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م).

٩٠. معجم الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، تقديم: أ.د/ محمود على مكي، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

*المراكشي: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محيي الدين (١٢٥٠م/٦٤٧هـ).

٩١. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٨هـ.

*المزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م).

٩٢. تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

*المسعودي: أبا الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م).

٩٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

*الإمام مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م).

٩٤. صحيح مسلم، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

*المطهر المقدسي: مطهر بن طاهر المقدسي (ت بعد ٣٥٥هـ/بعد ٩٦٦م).

٩٥. البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

*المعافري المالكي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المالكي (ت ٤٥٣هـ/ ١١٤٨م).

٩٦. العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق: د/ محمد جميل غازي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٧هـ.

*المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله البشاري (ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م).

٩٧. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لندن، سنة ١٩٠٩م.

*المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المؤرخ (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٤١م).

٩٨. جني الأزهار من الروض المعطار، تقديم وتحقيق وتعليق: د/ محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٩٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

*ابن النديم: محمد بن إسحاق الوراق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

١٠٠. الفهرست، تحقيق: محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

*النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

١٠١. المجتبى من السنن أو (سنن النسائي)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- * ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
١٠٢. لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- * النرشخي: أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي (ت ٣٤٨هـ/ ٩٤٣م).
١٠٣. تاريخ بخارى، تحقيق: د/ أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- * الواقدي: أبو عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).
١٠٤. فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، وقف على طبعة عزيز أفندي زيد، مطبعة المحروسة، القاهرة، سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.
- * ياقوت: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م).
١٠٥. معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- * اليعقوبي: أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).
١٠٦. البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف.
١٠٧. تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م.

ثانياً: المراجع العربية:

*آمنة إبراهيم أبو حجر:

١٠٨. موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار أسامة للنشر، الأردن، الطبعة الأولى، سنة، ٢٠٠٢م.

١٠٩. الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.

*د/ إبراهيم أحمد العدوي:

١١٠. المجتمعات الإسلامية "ماضيها وحاضرها"، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١١١. تاريخ العالم الإسلامي "عصر البناء والإنطلاق"، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨٦م.

*د/ أحمد أحمد غلوش:

١١٢. النظام السياسي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

*د/ أحمد أمين سليم:

١١٣. دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم "العراق. إيران"، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، سنة ١٩٩٠م.

*أ.د/ أحمد شلبي:

١١٤. الإسلام، سلسلة مقرنة الأديان رقم (٣)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة (١٢)، سنة ١٩٩٧ م.

١١٥. موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية "الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورة خلالها"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، سنة ١٩٨٤ م.

١١٦. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٠ م.

*أحمد عادل كمال:

١١٧. أطلس الفتوحات الإسلامية، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م.

١١٨. سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

*أحمد فريد:

١١٩. من أعلام السلف، دار الإيمان، الإسكندرية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م.

*أحمد محمود الساداتي:

١٢٠. محاضرات في التاريخ الإسلامي (شعبة آسيا)، القاهرة، دار الثقافة، سنة ١٩٧٢ م.

*د/ أرشيد يوسف بن أرشيد:

١٢١. الحضارة الإسلامية (نظم - علوم - فنون)، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

*د/ إسماعيل راجي الفاروقي، لوس لمياء الفاروقي:

١٢٢. أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة: د/ عبد الواحد لؤلؤة، مراجعة: د/ رياض نور الله، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

*الألباني: محمد ناصر الدين الألباني:

١٢٣. السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.

١٢٤. صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

*أمين واصف بك:

١٢٥. الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق: أحمد زكي باشا، طبعة بولاق، القاهرة، سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م.

*بسام العسلي:

١٢٦. قتيبة بن مسلم الباهلي، سلسلة مشاهير قادة الإسلام (٣)، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

*بطرس البستاني:

١٢٧. أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام " حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم"، دار مارون، عبود، القاهرة، سنة ١٩٨٦ م.

*بوربيوى أحمدوف:

١٢٨. العرب والإسلام في أوزبكستان، دار الرقى، بيروت.

*جرجي زيدان:

١٢٩. تاريخ التمدن الإسلامي، تعليق: د/ حسين مؤنس، دار الهلال، سنة ١٩٦٨ م.

*د/ حافظ أحمد حمدي:

١٣٠. الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة.

*د/ حسن أحمد محمود:

١٣١. الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٢ م.

*د/ حسن أحمد محمود، د/ أحمد إبراهيم الشريف:

١٣٢. العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٩٥ م.

*د/ حسن الباشا:

١٣٣. مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، سنة ١٩٩٨ م

*د/ حسن الهواري.

١٣٤. الأديان القديمة، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، دار الطباعة
المحمدية، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

*د/ حسن يونس حسن عبيدو:

١٣٥. دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، جامعة
الأزهر، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

*د/ حسين طنطاوي:

١٣٦. الشعر في خراسان من الفتح إلي نهاية العصر الأموي، دار الجيل،
بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

*د/ حسين عطوان:

١٣٧. سيرة الوليد بن يزيد، دار المعارف، القاهرة.

١٣٨. الشعر في خراسان "من الفتح إلى نهاية العصر الأموي"، الجامعة
الأردنية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

*د/ حسين فهد حماد:

١٣٩. موسوعة الآثار التاريخية "حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف،
لغات"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، سنة ٢٠٠٣م.

*حسين المسيري:

١٤٠. تجارة العراق في العصر العباسي، الكويت، سنة ١٩٨٢م.

*د/ حسين مؤنس:

١٤١. أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

*د/ حلمى عبد المنعم صابر:

١٤٢. نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة

الأزهر، مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

*د/ عبد الحلیم عويس:

١٤٣. بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيال الداخلي "دراسة حول

سقوط دولة بنى أمية فى المشرق"، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،

سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

*د/ حمدي شاهين:

١٤٤. الدولة الأموية المفترى عليها "دراسة الشبهات ورد المفتريات"، دار

الكتاب، القاهرة.

*د/ خالد محمد القاسمي:

١٤٥. موسوعة الأنساب العربية، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة،

الإسكندرية.

*ذكى على السيد أبو غضة:

١٤٦. الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، دار

الوفاء للطباعة، المنصورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

* رأفت غنيمي الشيخ:

١٤٧. المسلمون في العالم تاريخيا وجغرافيا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م.

١٤٨. آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، سنة ١٩٩٧م.

١٤٩. تاريخ العرب الحديث والمعاصر، كلية التربية، جامعة عين شمس، سنة ١٩٨٨م / ١٩٨٩م.

* د/ رجب عبد الحميد سعيد علي:

١٥٠. الفرق الإسلامية والمذاهب في ميزان الإسلام، جامعة الأزهر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

* د/ زبيدة عطا:

١٥١. بلاد الترك في العصور الوسطى "بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون"، دار الفكر العربي، الكويت.

* الزركلي: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م):

١٥٢. قاموس تراجم الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٤، سنة ١٩٩٩م.

* د/ زغلول النجار:

١٥٣. المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

*د/ أبو زيد شلبي:

١٥٤. الخلفاء الراشدون، مكتبة وهبة، القاهرة، سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

*سامى خشبة:

١٥٥. مصطلحات الفكر الحديث، سلسلة الفكر، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، مكتبة الأسرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٦م.

*د/ سعيد أحمد سلطان:

١٥٦. محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز (الواقع والتاريخ)، الدار

الثقافية للنشر، القاهرة، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

*د/ سعيد عبدالفتاح عاشور:

١٥٧. بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، بحث: العلم بين المسجد

والمدرسة ضمن تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة،

الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧م.

*د/ سعيد عبد المقصود ظلام، د/ السيد تقي الدين السيد:

١٥٨. تاريخ الأدب والنصوص "في عصر صدر الإسلام وبنى أمية"، جامعة

الأزهر، القاهرة، كلية التربية، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

*سليمان الخش:

١٥٩. الفتح العربي الإسلامي في سيرة مالك ابن الريب المازني، رياض

الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، كانون الثاني، سنة ١٩٩٤م.

*د/ السيد تقي الدين:

١٦٠. من أدب الجاهليين والإسلاميين، نهضة مصر للطباعة والنشر.

*السيد عبد المؤمن السيد أكرم:

١٦١. أضواء على تاريخ توران (تركستان)، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، سنة ١٤٠٤هـ.

*السيد محمود أبو الفيض:

١٦٢. الدين المقارن، نهضة مصر، القاهرة، سنة ١٩٩٠م.

*شاكر مصطفى:

١٦٣. موسوعة دول العالم ورجالها، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م.

*شرف الدين أحمد آدم:

١٦٤. محاضرات في حاضر العالم الإسلامي، جامعة الأزهر، المنار للطباعة الحديثة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

*د/ شرين عبد المنعم حسانين:

١٦٥. مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، دار التعاون للطبع والنشر، سنة ١٩٨٥م.

*د/ شكري فيصل:

١٦٦. حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، دراسة تمهيدية لنشأة الفتوحات الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

١٦٧. المجتمعات الإسلامية في القرن الأول "نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي"، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٨ م.

*د/ شوقي أبو خليل:

١٦٨. أطلس دول العالم الإسلامي "جغرافي، تاريخي، اقتصادي"، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان؛ دار الفكر، دمشق، سوريا، إعادة الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٦٩. أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية.

١٧٠. الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، سنة ١٩٩٦ م.

*د/ طه حسين:

١٧١. فلسفة ابن خلدون الاجتماعية "تحليل ونقد"، وضعه بالفرنسية: د/ طه حسين، نقله إلى العربية: محمد عبد الله عنان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، سلسلة المئويات، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٦ م.

*د/ طه عبد العليم رضوان:

١٧٢. في جغرافية العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

*الشيخ طه الولي:

١٧٣. المسجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

*د/ عبدالحليم منتصر:

١٧٤. تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف، مصر، الطبعة العاشرة.

*د/ عبد الحميد مدكور، د/ أحمد محمد جاد:

١٧٥. مقدمة في علم الكلام، دار الهاني، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

*د/ عبد الرحمن عميرة:

١٧٦. الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٦م.

*عبد السلام حمد الحبونى:

١٧٧. أنساب قبائل العرب، دار الزيني للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

*عبد السلام عبد العزيز فهمي:

١٧٨. تاجيكستان، ماضيها وحاضرها، القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

*د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف:

١٧٩. العالم الاسلامى في العصر الأموي "دراسة سياسية"، مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٨٠. دراسات في تاريخ الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م)، جامعة الأزهر، القاهرة.

*عبد العزيز عوض:

١٨١. التركمان بين الماضي والحاضر، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠١م.

*د/ عبد الغفار عزيز:

١٨٢. الدعوة الإسلامية بين التنظيم الحكومي والتشريع الديني "عصر الخلفاء الراشدين"، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

*د/ عبد الغني سعودي:

١٨٣. آسيا في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.

*عبد الفتاح مقلد الغنيمي:

١٨٤. الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

*عبد اللطيف أحمد على:

١٨٥. اليونان، النهضة العربية، سنة ١٩٧٦م.

*د/ عبد الله كامل موسى عبده:

١٨٦. الأمويون وآثارهم المعمارية "في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية"، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

*عبدالله مهدي الخطيب:

١٨٧. الحكم الأموي في خراسان، دار التربية، بغداد، مؤسسة الأعلى، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

*د/ عبد المعطي محمد بيومي:

١٨٨. الإسلام والدولة المدنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، سنة ٢٠٠٦م.

*د/ عبد المنعم ماجد:

١٨٩. التاريخ السياسي للدولة العربية "عصر الخلفاء الأمويين"، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، سنة ١٩٨٢م.

*د/ عبدالهادي محمد رضا محبوبة:

١٩٠. نظام الملك، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

*عثمان الخميس:

١٩١. حقبة من التاريخ، تقديم: د/ محمد بن اسماعيل المقدم، د/ السيد محمد نوح، دار الإيمان، الإسكندرية.

*عثمان الكعك:

١٩٢. الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، سنة ١٩٦٥م.

*د/ عزيزة فوال بابتي:

١٩٣. معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨ م.

*د/ عصام الدين عبدالرؤوف الفقي:

١٩٤. الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة.

*على الجمبلاطي، عبد المنعم قنديل:

١٩٥. عقبة بن نافع أو فاتح إفريقية، وزارة التربية والتعليم، الصف الأول الإعدادي، نهضة مصر، سنة ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ م.

*د/ علي جمعة:

١٩٦. المكاييل والموازين الشرعية، دار الرسالة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٢ م.

*علي الطنطاوي:

١٩٧. رجال من التاريخ، دار المنار، جدة، الطبعة الثانية، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

*د/ علي عبد الواحد وافي.

١٩٨. المساواة في الإسلام، نهضة مصر للطباعة، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، سنة ٢٠٠٧ م.

*د/ علي محمد الصلابي:

١٩٩. دولة السلاجقة و بروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

*د/ علي محمد عبد الوهاب:

٢٠٠. حضارة دين "درسات في الحضارة الإسلامية"، دار الطاعة المحمدية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

*عمر رضا كحالة:

٢٠١. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دمشق، سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

٢٠٢. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

*فاروق حامد بدر:

٢٠٣. تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، مكتبة الآداب ومطبعته بالجمايز، المطبعة النموذجية، القاهرة.

*د.١/ فاروق عمر فوزي:

٢٠٤. الإستشراق والتاريخ الإسلامي "القرون الإسلامية الأولى"، الأهلية، عمان، الأردن، سنة ١٩٩٨م.

*د/ فتحي أبو سيف:

٢٠٥. خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطاهري إلى بداية الحكم الغزنوي، سنة ١٩٩٤-١٩٩٥ م.

*د/ فليب حتي، د/ ادوارد جرحي، د/ جبرائيل جبور:

٢٠٦. تاريخ العرب، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٤ م.

*د/ كامل سعفان:

٢٠٧. موسوعة الأديان القديمة، معتقدات آسيوية "العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان"، دار الندى، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م.

*كمال السعيد:

٢٠٨. الإسلام في آسيا الوسطى، إعداد مكتب صحيفة المدينة بالقاهرة.

*د/ كمال مصطفى محمد:

٢٠٩. مقدمة في علم الدعوة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الأزهر، عالم الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

*كمال هاشم حمود:

٢١٠. الأطلس الإسلامي الجغرافي "اقتصاديًا، سكانيًا، تربويًا"، دار القلم،

حلب، سوريا.

*لظفي عبد الوهاب يحي:

٢١١. تاريخ اليونان، النهضة العربية، سنة ١٩٧٧م.

*د/ مجاهد توفيق الجندي:

٢١٢. التربية الإسلامية بالمؤسسات التعليمية في ديار الإسلام، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٠م.

*محمد إبراهيم سليم:

٢١٣. الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية وسفاح العراق، دار الطلائع، القاهرة.

*١.د/ محمد أحمد فؤاد، د/ هويدا محمد فتحي:

٢١٤. الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز"الحاضر والمستقبل"، مطبعة العمرانية للأوفست، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

*محمد أحمد محمد:

٢١٥. بخارى في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، سنة ١٩٩٢م.

*د/ محمد جمال الدين سرور:

٢١٦. تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق "من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري"، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

*د/ محمد حسن العمادي:

٢١٧. خراسان في العصر الغزنوي، تقديم: د/ نعمان جبران، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، اربد، الأردن، سنة ١٩٩٧ م.

*الشيخ/ محمد الخضري:

٢١٨. الدولة الأموية "محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية"، تحقيق وتعليق: ابراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

*د/ محمد رجب البيومي:

٢١٩. مع الأبطال، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ م.

*د/ محمد ضياء الدين الريس:

٢٢٠. الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٧ م.

*د/ محمد عادل عبد العزيز:

٢٢١. التفسير العلمي لحركة الفتوح الإسلامية والتعريب، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٦ م.

٢٢٢. تاريخ الإسلام في المشرق، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦ م.

* د/ محمد عبد الرحمن مرحبا:

٢٢٣. المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، دار الجيل، بيروت، لبنان،
الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

* أ.د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام:

٢٢٤. نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، دار البيان،
القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

* محمد عبد الغني حسن:

٢٢٥. بطل السند، دار المعارف، لبنان، دار المعارف، القاهرة، الطبعة
الرابعة.

* محمد عبد القادر أحمد:

٢٢٦. الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، مكتبة النهضة
المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٢م.

* د/ محمد علي عبد البار:

٢٢٧. المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة،
الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* د/ محمد علي عتاقى:

٢٢٨. المستشرقون ومنهجهم في دراسة التاريخ الإسلامي، جامعة الأزهر،
دار الإتحاد التعاوني للطباعة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

*د/ محمد عمارة:

٢٢٩. الإسلام والآخر "من يعترف بمن؟.. ومن ينكر من؟"، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

*الشيخ/ محمد الغزالي:

٢٣٠. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

*د/ محمد محمد عبدالقادر الخطيب:

٢٣١. تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

*د/ محمد مسفر الزهراني:

٢٣٢. نظام الوزارة في الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٨٦م.

*د/ محمد نصر مهنا:

٢٣٣. الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، سنة ١٩٩٠م.

*أ.د/ محمود حمدي زقزوق:

٢٣٤. الإسلام وقضايا الحوار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطابع الأهرام التجارية، قلوب، مصر، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

*د/ محمود زيادة:

٢٣٥. الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، رسالة دكتوراه مطبوعة، دار السلام، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

*مصطفى دسوقي كسبة:

٢٣٦. المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

*د/ مصطفى طه بدر:

٢٣٧. محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٩م.

*د/ مصطفى محمد رمضان:

٢٣٨. تاريخ الحركات الانفصالية في العالم الإسلامي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

*د/ معاذ عبد الله أبو غزاة:

٢٣٩. الدعوة إلى الإسلام أصول وآداب، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

*نصر الله مبشر الطرازي:

٢٤٠. تعلم اللغة الأوزبكية، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

*أ.د/ هدى درويش:

٢٤١. دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.

*د/ وائل غالي:

٢٤٢. تاريخ العلوم العربية وتحديث تاريخ العلوم "بحث في إسهام رشدي راشد"، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، سنة ٢٠٠٥م.

*د/ يحيى شامي:

٢٤٣. موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م.

*يسرى الجوهرى:

٢٤٤. آسيا الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٥م.

*يوسف توني:

٢٤٥. معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٩٦٤م.

*د/ يوسف القرضاوي:

٢٤٦. أمتنا بين قرنين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٤٧. ثقافة الداعية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة العاشرة، سنة ١٤١٦هـ /
١٩٩٦م.

٢٤٨. الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، مؤسسة الرسالة،
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

٢٤٩. الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة (٢٢)، سنة
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

د/ يوسف عيد:

٢٥٠. دراسات التبشير والإستشراق، جامعة الأزهر، مطبعة الحسين
الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

أولاً: رسائل الماجستير:

* أحمد عبد الباقي عبد الكريم حسن:

٢٥١. تاريخ جرجان وحضارتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة
ماجستير، مقدمة لمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية، قسم الحضارات
الأسيوية، جامعة الزقازيق، سنة ٢٠٠٥م.

* جوعان راشد سعيد الظهري:

٢٥٢. الآثار الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي (٤٠ - ١٣٢هـ)،
رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، سنة
١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

*خالد عبد الهادي يحيى بلانكشوب:

٢٥٣. العرب في خراسان من (٣١-١٣٢هـ)، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

*سميرة عماد محمد إسماعيل:

٢٥٤. الحياة الاجتماعية في مدن العراق حتى مستهل العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة الزقازيق، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

*عبد القادر عبد السميع أبو العزم:

٢٥٥. الديانة الزرادشتية من أسفارها، رسالة ماجستير مقدمة لمعهد البحوث والدراسات الآسيوية، قسم الأديان المقارنة، جامعة الزقازيق، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

*عماد على محمد السيد:

٢٥٦. السكان في إقليم تركستان الغربية "دراسة جغرافية مقارنة"، رسالة ماجستير مقدمة لمعهد البحوث والدراسات الآسيوية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الزقازيق، سنة ٢٠٠١م.

*فتحي السيد حسن سيد أحمد البسيشي:

٢٥٧. الصراع القبلي في العصر الأموي وأثره في الحياة السياسية الاجتماعية (٤٠ - ١٣٢هـ)، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

*محمد السيد إبراهيم البساطي:

٢٥٨. الحياة العلمية في مرو من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، سنة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

*محمد عبد الحميد الرفاعي:

٢٥٩. الدولة الغزنوية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٥م.

*محمد عبدالرحيم غنيمه:

٢٦٠. مقدمة لتاريخ التعليم الجامعي في الإسلام، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، سنة ١٩٥٣م.

*محمود محمود أبو الفيض:

٢٦١. الطرق الصوفية في آسيا الوسطى والقوقاز ودورها في نشر الإسلام والحفاظ على الهوية الإسلامية، رسالة ماجستير مقدمة لمعهد البحوث والدراسات الآسيوية، قسم الأديان المقارنة، جامعة الزقازيق، سنة ٢٠٠٧م.

*مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى:

٢٦٢. التراث الحضاري الإسلامي في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية (دراسة للعمارة والفنون) من القرن (٣-١٠هـ / ٩-١٦م)، رسالة ماجستير مقدمة لمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الحضارات الآسيوية، جامعة الزقازيق، سنة ٢٠٠٢م.

*نجيب عبدالفتاح جيلاني محمد:

٢٦٣. الحركة العلمية في مرو من بداية القرن الرابع الهجري حتى أوائل القرن السابع الهجري (٣٠١ - ٦١٨ هـ / ٩١٣ - ١٢٢١ م)، رسالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، شعبة الحضارة الإسلامية، سنة ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

ثانياً: رسائل الدكتوراه:

*إبراهيم علي البهي علي:

٢٦٤. التطورات الحضارية في خراسان في العصر السلجوقي الثاني (٤٨٥-٥٩٠ هـ / ١٠٩٢-١١٩٣ م) رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، فرع بنها، سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

*أحمد أمين محمد جمعة:

٢٦٥. المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى (دراسة حضارية معمارية أثرية)، رسالة دكتوراه، مقدمة لمعهد البحوث والدراسات الأسيوية، قسم الحضارات الأسيوية، جامعة الزقازيق، سنة ٢٠٠٢ م.

*عبدالباري محمد الطاهر الشرقاوي:

٢٦٦. مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية في خراسان وما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩٣ م.

* عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام:

٢٦٧. دور الدولة الأموية في خدمة الدعوة الإسلامية، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

رابعاً: المصنفات المترجمة:

٢٦٨. أساطير شعبية من أوزبكستان، ترجمة: عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.

* بارتولد: فاسيلي فلاديمير فتش بارتولد:

٢٦٩. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٦م.

٢٧٠. تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

* بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار:

٢٧١. تاريخ طبرستان، ترجمة: أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.

* توماس أرنولد:

٢٧٢. الدعوة إلى الإسلام "بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية"، ترجمة وتعليق: د/ حسن إبراهيم حسن، د/ عبد المجيد عابدين، د/ إسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٠م.

*جب (هـ. أ. ر):

٢٧٣. الفتوحات العربية في وسط آسيا، ترجمة إسماعيل حقي، استانبول،
سنة ١٩٣٠ م.

*ظهير الدين محمد بابر شاه:

٢٧٤. تاريخ بابر شاه المعروف بابرنامه، وقائع فرغانة، ترجمة وتقديم
وتعليق: د/ ماجدة مخلوف، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، سنة
١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.

*غوستاف لوبون:

٢٧٥. حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
مكتبة الأسرة، العدد ٢٠٠٠، سنة ٢٠٠٠ م.

*فامبري: أرمينوس فامبري:

٢٧٦. تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: د/
أحمد محمود الساداتي، القاهرة.

*كريستنسن: آرثر كريستنسن:

٢٧٧. إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: د/ يحيى الخشاب، دار النهضة
العربية، بيروت.

*كليفور د. أ. بوزورث:

٢٧٨. الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي دراسة في التاريخ والأنساب،
ترجمة: حسين علي اللبودي، مراجعة: د/ سليمان إبراهيم العسكري، مؤسسة

الشراع العربي بالاشتراك مع عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،
الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٥ م.

*كي لسترنج:

٢٧٩. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكور كيس عواد،
مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

*محمد رضا جليلي، تيري كيلينر:

٢٨٠. جيو- سياسة آسيا الوسطى، ترجمة د/ علي مقلد، منشورات دار
الاستقلال للثقافة والعلوم القانونية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة
٢٠٠١ م.

خامساً: البحوث والدوريات والمؤتمرات والندوات والموسوعات
العلمية:

٢٨١. دائرة المعارف الإسلامية: أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية
أئمة المستشرقين في العالم، النسخة العربية، إعداد وتحرير: د/ إبراهيم زكي
خورشيد، د/ أحمد الشنتناوي، د/ عبد الحميد يونس، مكتبة الشعب، القاهرة.

٢٨٢. دائرة المعارف الإسلامية، الجزء السادس والعشرين، القادسية،
قزوين، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

*طوني مفرج:

٢٨٣. موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط، دار نوبيليس،
بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٥ م.

*علي عبد السلام سيد أحمد:

٢٨٤. حركات المد العربي إلى بلاد ما وراء النهر خلال العصر الأموي،
مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، عدد ١٤، سنة ١٩٩٦م.

*أ.د/ علي عبد العال ربيع:

٢٨٥. الديانة التاوزمية في بلاد الصين "تاريخها، وتعاليمها، وطقوسها،
وكتبتها"، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العدد (١٥)، الأديان
والمذاهب، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

*فوزي محمد طایل:

٢٨٦. "الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا بين الاستقرار والاضطراب"،
ضمن أبحاث المؤتمر الدولي في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، سنة
١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٨٧. مجلة صوت الأزهر، الجمعة ١٩ من شهر جماد الآخرة ١٤٢٧هـ/
١٤ من شهر يوليو ٢٠٠٦م.

٢٨٨. مجلة العربي الكويتية، العدد ٥٨٧، رمضان، سنة ١٤٢٨هـ/ أكتوبر
٢٠٠٧م.

*مجمع اللغة العربية:

٢٨٩. المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

*محمد الجابري:

٢٩٠. موسوعة دول العالم "حقائق وأرقام"، مجموعة النيل العربية،
القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

٢٩١. موسوعة الأديان في العالم "الديانات القديمة"، دار كريس انترناشيونال، الطبعة الأصلية، سنة ٢٠٠٠ م.

٢٩٢. الموسوعة العربية الميسرة: باشراف، دار الجيل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

*نصر الله مبشر الطرازي:

٢٩٣. "الجمهوريات الإسلامية في رابطة الدول المستقلة ماضيها وحاضرها" مؤتمر: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، ٢٨-٣٠ سبتمبر، المجلد الرابع، سنة ١٩٩٣ م.

سادساً: من مواقع الشبكة الإلكترونية، الإنترنت:

٢٩٤. ar.wikipedia.org/wiki همالايا





المقدمة.....	٨
أهمية الموضوع وأسباب اختياره:	١١
منهج البحث:	١٣
الدراسات السابقة:	١٥
صعوبات البحث:	١٧
دراسة تحليلية لأهم مصادر ومراجع البحث:	١٨
تقسيم البحث وخطته:	٢٤
شكرٌ وعرفانٌ	٣٠
الفصل الأول: التمهيدي التعريف بآسيا الوسطى	٣٣
المبحث الأول: الإطار الجغرافي لآسيا الوسطى قديماً	٣٤
أولاً: موقع ومساحة آسيا الوسطى:	٣٤
ثانياً: أسماء آسيا الوسطى:	٣٥
ثالثاً: أقسام آسيا الوسطى:	٣٩
رابعاً: مكانة آسيا الوسطى:	٤٣
خامساً: المناخ والطقس:	٤٤
سادساً: السكان:	٤٥

- سابعاً: النشاط الاقتصادي لسكان آسيا الوسطى: ٤٨
- المبحث الثاني: الإطار التاريخي لآسيا الوسطى ٥٢
- أولاً: أهم اللغات الشائعة في آسيا الوسطى: ٥٢
- ثانياً: الحياة السياسية في آسيا الوسطى قبل الإسلام: ٥٣
- ثالثاً: الحياة الدينية في آسيا الوسطى قبل الإسلام: ٥٧
- رابعاً: الحياة الاجتماعية في آسيا الوسطى قبل الإسلام: ٥٩
- خامساً: الحياة الثقافية في بخارى قبل الإسلام: ٦٠
- المبحث الثالث: بداية معرفة آسيا الوسطى للدين الإسلامي ٦٢
- أولاً: آسيا الوسطى في عهد الراشدين: ٦٢
- ثانياً: آسيا الوسطى في العصر الأموي قبل الأمير قتيبة: ٦٨
- المبحث الرابع: آسيا الوسطى حالياً ٧٧
- أولاً: جمهورية أوزبكستان: ٨٢
- ثانياً: جمهورية طاجيكستان: ٨٤
- ثالثاً: جمهورية تركمانستان: ٨٦
- رابعاً: جمهورية كازاخستان: ٨٩
- خامساً: جمهورية قيرغيزستان: ٩١
- الفصل الثاني: التعريف بالأمير قتيبة بن مسلم ٩٩
- المبحث الأول: من هو قتيبة، أهله، أصل قبيلته، دخولها الإسلام ١٠٠
- من هو قتيبة؟ ١٠٠
- أهله: ١٠٤
- قبيلته باهلة ونظرة العرب إليها: ١٠٨

- ١١٥ دخول قبيلة باهلة في الإسلام:
- ١١٨ المبحث الثاني: مولده ونشأته
- ١٢١ المبحث الثالث: صفاته وأخلاقه
- ١٢٧ المبحث الرابع: اتصال قتيبة بالخلفاء والأمراء
- ١٣٣ المبحث الخامس: تولية قتيبة بن مسلم الإمارة
- ١٤٢ المبحث السادس: وفاة الأمير قتيبة بن مسلم
- ١٥٥ مقتل الأمير قتيبة:
- ١٦٢ المبحث السابع: موقف الناس من قتل الأمير قتيبة
- ١٦٢ أولاً: الشعراء وموقفهم من قتل قتيبة:
- ١٧٤ ثانياً: الخليفة سليمان وموقفه من قتل قتيبة:
- ١٧٤ ثالثاً: هيبة العجم من الأمير قتيبة وموقفهم من قتله:
- ١٨٣ الفصل الثالث: فتوحات الأمير قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر
- ١٨٤ **مقدمة**
- ١٨٩ المبحث الأول: فتح بيكند
- ١٨٩ أولاً: أهمية موقعها ومكانتها:
- ١٩١ ثانياً: الاستعداد لفتح بيكند:
- ١٩٢ ثالثاً: فتح مدينة بيكند:
- ٢٠٥ المبحث الثاني: فتح بخارى
- ٢٠٥ أولاً: فضلها ومكانتها:
- ٢٠٨ ثانياً: قتيبة يطرق أبواب بخارى:
- ٢١١ ثالثاً: فتح بخارى:

- المبحث الثالث: بعض النتائج التي ترتبت على فتح بخارى ٢١٨
- أولاً: صلح قتيبة مع الصغد: ٢١٨
- ثانياً: غدر نيزك: ٢١٩
- ثالثاً: فتح الطالقان: ٢٢٣
- رابعاً: قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان سنة (٩١هـ): ٢٢٤
- خامساً: غزو شومان وكس ونسف سنة (٩١هـ): ٢٣٤
- المبحث الرابع: صلح قتيبة مع ملك خوارزم، وفتح خام جرد سنة (٩٣هـ) ٢٣٨
- المبحث الخامس: فتح مدينة سَمَرْقَنْد سنة (٩٣هـ): ٢٤١
- أولاً: أهمية موقعها ومكانتها: ٢٤١
- ثانياً: التخطيط لها وفتحها: ٢٤٤
- المبحث السادس: فتح الشاش وفرغانة وكاشغر ٢٦٦
- أولاً: غزو الشاش وفرغانة سنة (٩٤، ٩٥هـ): ٢٦٦
- ثانياً: نهاية فتوح قتيبة (فتح كاشغر وغزو الصين، سنة ٩٦هـ): ٢٧١
- الفصل الرابع جهود الأمير قتيبة بن مسلم في الدعوة إلى الله تعالى في بلاد آسيا الوسطى ٢٨١
- المبحث الأول: موقفه من المعتقدات الفاسدة في البلاد المفتوحة ٢٨٢
- أولاً: جهود الأمير قتيبة في مواجهة الزرادشتية ٢٨٢
- ثانياً: البوذية وموقف الأمير قتيبة منها: ٢٨٥
- المبحث الثاني: جهوده في الإصلاح السياسي وبناء المجتمع ٢٨٩
- أولاً: الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة: ٢٨٩
- ثانياً: القضاء على الخلافات العربية في خراسان: ٢٩١

- ثالثاً: إشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب الدولة: ٢٩٢
- رابعاً: التحلي بالروح المعنوية العالية: ٢٩٤
- خامساً: الشدة في القضاء على أعداء المسلمين: ٢٩٧
- المبحث الثالث: جهود الأمير قتيبة في الإصلاح الديني والدعوي ٣٠٠
- أولاً: إقامة المساجد: ٣٠٠
- ثانياً: تسكين الأسر العربية مع سكان البلاد المفتوحة: ٣١٠
- ثالثاً: خطب الأمير قتيبة للجنود الفاتحين وأثر ذلك في الدعوة إلى الله ﷻ: ٣١٩
- رابعاً: اصطحاب الأمير قتيبة للعلماء والصالحين وأثر ذلك في الدعوة إلى الله: ٣٢٣
- خامساً: السماح بقراءة القرآن باللغة الفارسية: ٣٢٥
- المبحث الرابع: جهوده في الإصلاح الفكري والحضاري ٣٢٩
- أولاً: إنشاء الربط والزوايا: ٣٢٩
- ثانياً: تحويل بخارى إلى مركز إسلامي: ٣٣٤
- ثالثاً: الآثار الطيبة التي ترسخت على الإصلاح الفكري في هذه البلاد: ٣٣٥
- المبحث الخامس: جهود الأمير قتيبة بين المادحين والقادحين ٣٤٢
- أولاً: المادحين: ٣٤٢
- ثانياً: القادحين: ٣٤٣
- المبحث السادس: أحوال الدعوة الإسلامية في آسيا الوسطى بعد الأمير قتيبة ٣٥٠
- أولاً: الأمويون بعد قتيبة: ٣٥٠
- ثانياً: عهد الدولة العباسية في آسيا الوسطى: ٣٥٢
- ثالثاً: آسيا الوسطى تحت حكم الطاهريين: ٣٥٣
- رابعاً: آسيا الوسطى في عهد السامانيين: ٣٥٤

٣٥٥	خامساً: آسيا الوسطى في عهد الغزنويين:
٣٥٦	سادساً: آسيا الوسطى في عهد السلاجقة:
٣٥٧	سابعاً: آسيا الوسطى في عهد الخوارزميين:
٣٦٢	خاتمة البحث
٣٦٩	توصيات البحث
٣٧١	قائمة المصادر والمراجع
٤٢١	فهرس (فهرس)